جـامعة زيان عـاشور - الجلفة
كلية العلوم الاجتمـاعية والإنسـانية
قسم العلوم الإنسانية

محاضرات في

تاريخ وحضارة المغرب والأندلس

إعداد الدكتور
بن حاج ميلود

الموسم الجامعي
1441 - 1442هـ/ 2020-2021م

مقدمة :

تتنوع مواضيع التاريخ بحسب المواد المطروقة؛ فيوجد تاريخ الدول، وتاريخ الأعلام، وتاريخ المدن، وتاريخ العلوم، وهكذا، لهذا فتاريخ وحضارة المغرب والأندلس جاء ضمن تاريخ الأقطار وهو أشمل من تلك التواريخ السالفة الذكر بما فيها تاريخ الدول؛ إذ يعالج تاريخ ضفتي المغرب والأندلس بجميع الأحداث التي مرت بها، وفي مختلف المجالات سياسية، وإجتماعية، وإقتصادية وثقافية، وعلمية وعمرانية، لذا فهو يعالج حركة الإنسان المغربي والأندلسي، وما تعرض له، وما أنجزه منذ قبيل الفتح الإسلامي في القرن السابع للميلاد إلى غاية نهاية العصر الوسيط في آواخر القرن الخامس عشر للميلاد أي طيلة ثمانية قرون كاملة.

ويعد **مقياس** "**تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**" من بين أهم المواد التي لابد أن يتطرق إليها الطالب في مرحلة التكوين في **السنة الثانية الليسانس تاريخ (ل–م–د)** لما تكستي مواضيع هذا المقياس من أهمية؛ فهو يعالج الإطار التاريخي والحضاري للمغرب والأندلس، وما عرفه هذين القطرين من أحداث تاريخية، وإنجازات حضارية خلدها أسلافنا في الطرف الغربي من البلاد الإسلامية منذ الفتح، مرورا بعصر الولاة، والتبعية للمشرق الإسلامي في عصري الخلافة الأموية والعباسية ثم قيام الدويلات الإقليمية في المغرب، والأندلس، زيادة على النشاط الإقتصادي، والحياة الإجتماعية والثقافية، والعلمية، والنشاط العمراني، والفنون في المغرب والأندلس.

و**محاور المقياس** التي ينبغي على الطالب معرفتها فهي تتلخص في النقاط الآتية:

1 – أوضاع بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي.

2 – عصر الولاة .

3 – الدول الإقليمية: الأغالبة–الرستميون–الأدارسة–الدولة الأموية في الأندلس–عصر ملوك الطوائف–الفاطميون–الزيريون–الحماديون–المرابطون–الموحدون–الحفصيون–الزيانيون المرينيون – دولة بني الأحمر.

4 – الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي .

5 – الحياة الثقافية والفكرية في المغرب الإسلامي.

6 – العمارة والفنون في المغرب الإسلامي .

7 – الحضارة الإسلامية في الأندلس:

– الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الأندلس .

– العمارة والفنون.

ولقد اتبعت في هذه المطبوعة العلمية المنهج الوصفي التاريخي الذي يعتمد على السرد والوصف زيادة على التتبع الزمني، فقد أرخت لكل مرحلة بالسنوات الهجرية، وما يقابلها بالميلادي وهذا من خصائص الدراسات والأبحاث في التاريخ الإسلامي، واتبعت عرض المادة التاريخية بشكل مختصر، وموجز، ودقيق حتى يستوعبها الطالب بسلاسة خاصة وأن الطالب في هذه المرحلة يحتاج إلى تبسيط المعلومة التاريخية لفهمها دون إطناب، أو تعقيد.

وتتلخص **الأهداف العامة** المرجوة من هذه المطبوعة لدى طلبة السنة الثانية تاريخ ليسانس في النقاط التالية:

1-تمكين الطالب من التحكم في مراحل تطور بلاد المغرب والأندلس بعد الفتوحات الإسلامية ومعرفة الدويلات الإقليمية التي ظهرت في الغرب الإسلامي.

2-التعرف على طبيعة التغيرات الإقتصادية والإجتماعية والفكرية التي عرفتها بلدان الغرب الإسلامي في ظل الحضارة الإسلامية.

3-أخذ العبرة، والتعلم من التجربة ، والإطلاع على الإنجازات الحضارية التي خلدها أسلافنا في هذين القطرين، ومنها روح التسامح، وتقبل الآخر التي انتشرت خاصة في الأندلس بين المسلمين والنصارى، واليهود، وما أحوجنا لهذه القيم في عصرنا الحالي.

4-تكوين طالب في تخصص التاريخ الوسيط بمعرفة أهم المحاور التي تتعلق بتخصص تاريخ وحضارة المغرب والأندلس حتى يكون متمكنا، عارفا بطبيعة، وهوية هذا التخصص، ولما لا حتى يتطلع مستقبلا في التخصص أكثر في هذا الميدان في مرحلة ما بعد التدرج .

5-تدريب الطالب على أدوات، ومناهج البحث العلمي في تخصص التاريخ الوسيط من خلال توظيف المنهج الوصفي، والاستقرائي على الأحداث التاريخية التي عرفها المغرب والأندلس في العصر الوسيط عند تتبع منهجية وفصول هذه المطبوعة.

6-توجيه الطالب لمعرفة المصادر الأصيلة لهذا المقياس، زيادة على المراجع، والدراسات الحديثة حتى تساعده في إعداد البحوث في حصة الأعمال الموجهة للمقياس، ويتحقق هذا بالإطلاع على هوامش صفحات المطبوعة كل محاضرة على حدا أو بالرجوع إلى قائمة المصادر والمراجع في آخر المطبوعة.

ولقد أخذ إعدادي لهذه المطبوعة من الوقت، والجهد، ما يعلمه الله، لهذا أرجوا انني وفقت في تقديم قاعدة معلوماتية تاريخية أساسية لطلبة هذا المستوى حتى تعينهم في فهم طبيعة هذا المقياس، وتساعدهم كمعين ودليل عند الحاجة للتعمق أكثر بالرجوع إلى هوامش المطبوعة وقائمة المصادر والمراجع، وبالله التوفيق، والسداد.

المحاضرة الأولى: مدخل لشرح بعض المصطلحات

1 - شرح مصطلح المغرب:

ارتبط ظهور مصطلح المغرب في التاريخ الإسلامي بعصر الفتنة بين الخليفة علي كرم الله وجهه، ومعاوية بن سفيان رضي الله عنه قبل منتصف القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، حيث استعمل في هذه الفترة ليقصد به الجزء الغربي من العالم الإسلامي المقابل للمشرق، وقد كان يشمل مصر والشام وما يتبعهما، وأما المشرق فقد كان يقصد به العراق، وفارس، وما وراء النهر انطلاقا من الخطاب الذي نسب للخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في الكوفة إلى عامله على البصرة عبد الله بن عباس في حربه مع معاوية بن أبي سفيان الذي كان ببلاد الشام، فقال : " قد أجمعنا، على المسير إلى عدونا من أهل المغرب"[1] .

وأما في الإطار الجغرافي فقد اختلف الجغرافيون في الأقاليم التي يضمها المغرب؛ فالمقدسي مثلا يذكر بأنه يضم مصر وما يليها من الغرب، وصقلية، والأندلس [2] ، بينما يرى ابن عذارى المراكشي بأن حد المغرب يبدأ من الضفة الغربية لنهر النيل بالإسكندرية إلى مدينة سلا المغربية بالإضافة إلى إقليم الأندلس[3]، بينما اختار الجغرافي ابن حوقل (ت367هـ) الحواجز الطبيعية أساسا لتعريفه بلاد المغرب ؛ فيرى بأن نهر النيل هو الحد بين المغرب والمشرق[4] ، ثم حدد لنا تخوم بلاد المغرب فرسمها على الشكل التالي ":وحدّه من مصر الإسكندرية على النيل وأرض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات إلى بريّة تنتهي إلى ارض النوبة،آخذا إلى البحر المحيط وممتدًا إلى حقيقة الغرب بنواحي ارض غانة وأودغشت،ثم يستمر عاطفًا إلى الشمال ما اً ر على بلاد برغواطة وماسة إلى فوهة بحر الروم الذي يأخذ من بحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الأندلس و راجعًا حده من أرض طنجة على البحر إلى نواحي تنس وإلى تونس والمهدية من أرض افريقية

---

[1] موسى لقبال، **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 18.

[2] المقدسي البشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، مكتبة مدبولي، ط 3، القاهرة، 1991، ص 215 وما بعدها. حسين مؤنس، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة النهضة الدينية، ص 13.

[3] ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، تحقيق: ج.س. كولان، ليفي بروفنسا ل، دار الثقافة، ط3، بيروت 1983، ص ص 5- 6.

[4] ابن حوقل النصيبي ، **صورة الأرض**، القسم الأول، مطبعة بريل، ط2، ق1، ليدن،ص64.

مقبلا على أرض طرابلس، وبرقة إلى الإسكندرية[1]، فبلاد المغرب عند ابن حوقل تمتد من غرب مصر عند الإسكندرية شرقًا إلى البحر المحيط غربًا ومن بحر الروم إلى أرض الصحراء وبلاد السودان جنوبًا، وتدخل هذه الرقعة الجغرافية بلاد الأندلس حسب ابن حوقل.

وعلى العموم فمصطلح المغرب يطلق على كل الأقاليم التي تقع غرب بلاد مصر شرقا الى المحيط غربا، ومن بحر الشام(البحر الأبيض المتوسط)شمالا الى حدود جنوب الصحراء (مشارف إفريقيا المدارية والاستوائية) جنوبا [2]، وتشمل هذه المنطقة المغرب الأدنى(تونس وليبيا حاليا) والمغرب الأوسط(الجزائر حاليا)،والمغرب الأقصى[3]، بالإضافة إلى السودان الأوسط والغربي.

وقسم الجغرافيون العرب بلاد المغرب، إلى ثلاث أجزاء، لكل واحدة منها طابعها الخاص الذي تتميز به،وهذه الأجزاء هي:المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى[4].

1 – **المغرب الأدنى:** ويطلق عليه كذلك اسم إفريقية، ويشمل تونس الحالية، وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت عاصمة هذا الإقليم مدينة القيروان[5] منذ أن أسسها الفاتح عقبة بن نافع(عاش بين 1ق هـ-63هـ/621-683م) إلى عصر الأغالبة، ثم المهدية[6] أيام العبيديين، ثم

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 60-61.

[2] حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987، ص 178.

[3] حمودة عبد الحميد حسين، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي_ منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية**، ، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2006، ص 11 .

[4] سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1978 ، ص70 .

[5] القيروان اسم معرب وهو بالفارسية كاروان، وهي مدينة عظيمة بإفريقية، وقاعدة ملك المغرب، بدأ عقبة ببنائها سنة 50هـ/671م وليس بالغرب مدينة اجل منها إلى أن قدمت العرب إفريقية واخربت البلاد ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر،مج 4، بيروت، ص420 . محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار** تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 2، بيروت، 1984، ص ص 486-487.

[6] مدينة محدثة بساحل إفريقية، فيها مرفأ للسفن القادمة من الاسكندرية، والشام، وصقلية، والاندلس، وغيرها، ولقد بنيت في موضع كان يقال له: "جمة"، وبناها عبيد الله المهدي الشيعي نسبة إليه ؛ فشرع في بنائها سنة303 هـ/ 916م، وأكمّل سورها سنة 305هـ/ 918م، وانتقل إليها في شوال308 هـ/921م، وبينها وبين القيروان ستون ميلا.أبوعبيد البكري، **المسالك والممالك**، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن، أندري فيري ، بيت الحكمة ، قرطاج ، 1992، 683 . محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 561.

ثم مدينة تونس[1] منذ عهد الحفصيين إلى يومنا هذا، وأطلق اسم المغرب الأدنى لأنه اقرب إلى بلاد العرب، ومركز الخلافة الإسلامية[2].

2 -المغرب الأوسط: يعد إقليم المغرب الأوسط حلقة وصل بين أجزاء المغرب الإسلامي، فهو يربط المغرب الأدنى (ولاية افريقية) بالمغرب الأقصى، ويشكل هذا الموقع أهمية بالغة ضمن دائرة التجارة الدولية حيث كان التجار يتجهون من عاصمة الخلافة إلى أوربا شرقا، وإلى شمال إفريقيا فالأندلس؛ فأوربا في دائرة مغلقة[3].

وتتجلى أهمية موقع المغرب الأوسط كذلك بأنه يعد أحد المعابر لكل الشعوب القادمة من جوف الصحراء إلى شمال المغرب ، واشتهر هذا الإقليم أكثر بعد غزو الهلاليين على المغرب الأدنى وتخريب مدنه وأبرزها القيروان؛ فمن هنا ظهرت أهمية مدن المغرب الأوسط أكثر.

وظهرت أهمية المغرب الأوسط بصورة واضحة حين ظهرت ثورات الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي حيث استفاد الخوارج من فراغ السلطة في المغرب الأوسط لتقوية مراكزهم فظهرت على إثر ميلاد أول دولة في المغرب الأوسط مستقلة عن مركز الخلافة العباسية في المشرق ألا وهي الدولة الرستمية (144-296هـ/764-914م) وعاصمتها تيهرت[4].

3 المغرب الأقصى:

وهو أبعد المغارب السالفة الذكر عن مركز الخلافة في المشرق لهذا سمي بالأقصى ويحده من جهة الشرق وادي ملوية مع جبال تازا، ومن الغرب بحر المحيط، ومن الشمال بحر الروم، ومن الجنوب جبل درن[5].

---

[1] مدينة بإفريقية محدثة إسلامية ، قاعدة الحكام الحفصيين، بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، وسميت تونس لأن المسلمين كانوا لما فتحوا افريقية ينزلون بإزاء صومعة ترشيش التي كان فيها راهب، فيأنسون بصوت الراهب فيقولون: هذه الصومعة تؤنس؛ فلزمها هذا الاسم . محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 144.

[2] حمودة عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص 11.

[3] لومبارد موريس، **الإسلام في مجده الأول**، ترجمة العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979 ، ص ص 325 - 326.

[4] نسبة إلى عبد الرحمن بن رستم (ت 171هـ/787م) وهو من فقهاء، وعلماء الإباضية ، نشأ في القيروان ورحل إلى البصرة سنة 135هـ/ 752 م، ثم عاد إلى المغرب، ولما تغلب أبو الخطاب على افريقية، استخلفه على القيروان، وزحف ابن الأشعث ودخل القيروان، وقتل أبا الخطاب سنة 144هـ، ففر عبد الرحمن نحو غرب القيروان؛ فنزل بموضع تيهرت، فقام بنشر المذهب سنة 145هـ/ 757م ، أسس وأتباعه مدينة تيهرت عاصمة هذه الدولة سنة 161هـ، فاختير عبد الرحمن بن رستم أول حاكما لها ، وهي أول دولة إسلامية مستقلّة بالمغرب الأوسط. اشتهر بالزهد والتواضع، وله كتاب في التفسير.ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1 ، ص 196 وما بعدها. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ط16، ج3 بيروت، 2005، ص 306.

[5] السلاوي أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1 ، د ت، ص34 .

ولقد قامت في هذا القطر العديد من الدول في العصر الوسيط منها على سبيل المثال لا الحصر الدولة المستقلة الثانية عن مركز الخلافة في المشرق وهي دولة بني مدرار الصفرية وعاصمتها سجلماسة (140- 296هـ/ 757-909م)، والدولة العلوية السنية وعاصمتها فاس (172- 375هـ/ 788 - 985م)، ويضم المغرب الأقصى على خمس أقاليم[1] وهي: فلس[2]، ومراكش[3]، والسوس[4]، ودرعة[5] وتافيلالت.

II/- الأندلس:

1 شرح مصطلح الأندلس:

اختلفت الكتب التاريخية في تحديد أصل مصطلح الأندلس، فمنهم من يرى بأنه مشتق من اسم الوندال (Vandalus) وهي إحدى قبائل الجرمان التي احتلت شبه الجزيرة الإيبيرية منذ حوالي القرن الثالث إلى القرن الخامس الميلادي؛ وبهذا سميت: فاندلسيا (Vandalusia) أي الوندال ثم حرفت بالعربية إلى كلمة الأندلس[6].

ويرى المقري(ت 1041هـ/1631م) نقلا عن ابن سعيد المغربي(685هـ/ 1286م) بأن اصل كلمة الاندلس ترجع الى اندلس بن طوبال بن يافث بن نوح عليه السلام لانه نزل بها[7].

---

[1] حمودة عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص14 .

[2] وهي مدينتين مقترنتان، يشق بينهما نهر كبير يسمى وادي فاس، تعد قطب بلاد المغرب الأقصى، تأسست على يد إدريس الثاني(177-213هـ/793 -828م) في سنة 192هـ/726م.فيها عدوتين عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين . ابن أبي زرع الفاسي **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، دار المنصور، الرباط، 1972 ص20 وما بعدها. عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 434.

[3] أكبر مدن المغرب الأقصى، بناها الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين سنة 470 هـ، وقيل سنة 459 هـ، وهي في وطاء من الأرض، وكان بناؤها من الطين والطوب، ثم استخرجوا مياهها فكثرت فيها البساتين والجنات وهي كثيرة الزرع، والضرع.محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، 540.

[4] تقع في أقصى بلاد المغرب، وهي مدينة جليلة وأهلها أخلاط، وهي قرى وعمارات كثيرة متصلة ببعضها البعض، تشتهر بصناعة الخز العتيق ، وبها فواكه كثيرة كالجوز، والتين والعنب والسفرجل والرمان.نفسه، ص329 .

[5] تقع في جهة سجلماسة، وعرفت بدرعة بواديها، الذي يجري من المشرق إلى المغرب، وهوينبعث من جبل درن، عليه عمارة متصلة نحو سبعة أيام، وهي مدينة عامرة آهلة بالسكان، بها جامع وأسواق كثيرة، ومتاجر،و فيها جميع الفواكه من النخل والزيتون وغيرهما، بالإضافة إلى الحناء التي تتوفر بها بكثرة.نفسه، ص235 .

[6] محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق ، ص32؛ ابن الكردبوس وابن الشباط: **تاريخ الأندلس ووصفه** ، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1971، ص127 وما بعدها؛ ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق، ج2، ص1 وما بعدها. عبد الرحمن علي الحجي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ/711-1492م**، دار القلم، ط5، دمشق، 1997، ص37.

[7] المقري التلمساني ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر، ط1 ، بيروت، 1998، ص 117.

وعموما فإن كلمة الأندلس لا تدل على كل شبه الجزيرة الإيبيرية، وانما على المناطق الجغرافية التي فتحت من طرف المسلمين، وسكنوها، وخضعت إلى حكمهم من آواخر القرن الأول الهجري/ بدايات القرن الثامن الميلادي إلى أواخر القرن التاسع الهجري/ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي[1].

المحاضرة الثانية: أوضاع بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي:

I)- سير الفتوحات الإسلامية ومراحلها:

بعد نجاح عمرو بن العاص في فتح برقة بعد قتال يسير مع أهلها من اللواتيين والهواريين من القبائل البربرية الزناتية، وفرض الجزية عليهم بداية من أواخر سنة 22هـ/ أوائل سنة 643م، وهي آخر حواضر مصر من جهة الغرب [2]، واصلت حملات الفاتحين نحو المغرب لضمه هو كذلك ضمن حظيرة الدولة الإسلامية، ولقد مر فتح العرب للمغرب بمرحلتين بارزتين:

- مرحلة الاستكشاف(22- 50هـ/ 643- 670م).
- مرحلة التحرير المنظم (50- 90هـ/ 670- 709م).

أ)- مرحلة الاستطلاع والاستكشاف(22-50هـ/643-670م): وتبدأ هذه المرحلة بجهود عمرو بن العاص فتح المدن التي تلي برقة من جهة الغرب، وتنتهي بتولي عقبة بن نافع الفهري ولاية المغرب.

- حملات عمرو بن العاص لاستكمال فتح ماوراء برقة نحو الغرب(22-23هـ/643-644م):

بعد إتمام فتح مصر توجه عمرو بن العاص لفتح المغرب، وهذا لتحقيق هدفين بارزين، وهما: تأمين حدود مصر الغربية من غزوات البيزنطيين الانتقامية وصد محاولاتهم استرجاع المدن والمواقع المفتوحة، والهدف الثاني وهو استراتيجي من خلال القضاء على الوجود البيزنطي من جهة الغرب بمواصلة عمليات الفتوح.

وتجهز عمرو بن العاص لتحرير المغرب؛ فجهز قوتين: قوة رئيسية اتخذت الطريق الساحلي وهدفها مدينة طرابلس ومايليها من المدن الساحلية، وكانت تحت قيادته، وقوة فرعية ، وهدفها المناطق الصحراوية الجنوبية لتأمين المناطق الداخلية حتى زويلة ومنع أي رد فعل قد يعيق تقدم القوات الساحلية، والتي اسندت قيادتها إلى عقبة بن نافع الفهري[3].

---

[1] عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 37. محمد سهيل طقوش، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس، ط3، بيروت، 2010، ص 14.

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 134.

[3] عبد الواحد ذنون طه وآخرون، **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الاسلامي، ط1، بيروت، 2004، ص 65.

افتتح عقبة بن نافع الفهري في سنة 22هـ/ 642م حملته بفتح فزان [1]، وزويلة صلحًا[2] وفي نفس السنة وصل عمرو بن العاص إلى مدينة أجدابية فافتتحها صلحًا على أن يدفع أهلها خمسة آلاف دينار، ولكن ما لبثوا على دفع الجزية إلا قليلاً، حتى أسلم معظم أهلها، وذلك لما رأوه من الفاتحين من أخلاق سامية كالعدالة، والمساواة، والصدق، والأمانة، والطهارة، والعفة وهو ما لم يروه من قبل في قادة جيوش الإمبراطورية البيزنطية بالمنطقة[3] .

ومن اجدابية واصل عمرو بن العاص حملته نحو مدينة سرت، ثم لبدة فافتتحهما، حتى وصل طرابلس سنة 23هـ/643 فافتتحها بعد قتال عنيف مع الحامية البيزنطية ومن انضم إليها من قبيلة نفوسة البربرية[4].

-حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح[5] (23- 45هـ/644- 666م):

بعد تولي عثمان بن عفان- رضي الله عنه – خلافة المسلمين عزل عمرو بن العاص – رضي الله عنه- عن ولاية مصر سنة 26هـ/ 646م، وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي بدأ سياسته في فتح افريقية ببعث السرايا، وباتجاهات مختلفة؛ فكانت تلك السرايا تنتشر في إرجاء افريقية وترجع إلى القاعدة (برقة)، وبعد عدة محاولات قرر ابن ابي سرح الإستئذان من الخليفة عثمان بن عفان-رضي الله عنه- لاستكمال الفتوحات؛ فكانت الموافقة من طرف الخليفة بشرط إعداد جيش كبير يضم مشاهير رجال العرب، والقبائل العربية ؛ فكان الاجتماع بمصر، وأطلق على تلك القوة في المصادر بـ"جيش العبادلة" أو "غزوة العبادلة" نسبة إلى أسماء كبار ابناء الصحابة الذين كانوا من ضمنه كعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب...الخ[6].

وسار جيش العبادلة من مصر نحو مدينة سُبيطلة عاصمة البيزنطيين في افريقية، ودخلت معهم في حرب سنة 27هـ/ 647م اشتهرت بمعركة سُبيطلة، انتهت بانتصار المسلمين، وهي

---

[1] ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب، قيل بأنها سميت بفزان بن حام بن نوح عليه السلام، تشتهر بكثرة النخيل والتمر، وقاعدتها مدينة زوان السودان، والغالب على أهلها من السود. ياقوت الحموي، المصدر السابق م4، ص 260.

[2] ابن الأثير الجزري (علي بن أبي الكرم)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية م2، بيروت، 1987، ص 423 .

[3] محمد علي الصلابي ، **الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي**، مؤسسة إقرأ،ط1، القاهرة، 2007 ، ص 74.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 8. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 134.

[5] صحابي من أهل مكة، وأخو عثمان بن عفان من الرضاعة، فاتح إفريقية، أسلم قبل فتح مكة، يعد من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، بعد فتحه لافريقية عاد إلى المشرق ؛ فتوجه إلى الشام بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، توفي وهويصلي بعسقلان سنة 37هـ/657م . ابن الأثير الجزري، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار ابن حزم،ط 1، بيروت، 2012، ص ص 677- 678. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص ص 88-89.

[6] ابن خياط العصفري، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط2، الرياض، 1985 ص159.

المعركة التي قتل فيها قائد البيزنطيين الملقب بالبطريق " Partricius " ، واسمه "جريجوريوس" أو عند العرب بـ "جرجير"، زيادة على حصول المسلمين على الكثير من المغانم[1].

لكن اشهر المعارك التي انتصر فيها عبد الله بن ابي سرح على البيزنطيين كانت معركة ذات الصواري سنة 34هـ/654م في البحر الابيض المتوسط، والتي تمكن فيها الاسطول الاسلامي من تدمير القوات البيزنطية قرب ناحية زوارة التي تقع مابين ساحل طرابلس وتونس[2].

إلا أنه بعد مدّة حدثت في بلاد المشرق ومركز الخلافة فتنة بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، وما تلاها من أحداث، حيث أثرت في نشاط الفتوحات الإسلامية؛ إذ لم يستطع القادة والجند مواصلة الفتوحات، بعد أن شبت نيران هذه الفتنة،لأن المدد قد انقطعت عنهم، وتوقعوا أن تحول حروب الداخل دون إرسال الجند إلى الأطراف؛ فتركوا ما بأيديهم، ولبث بعضهم حيث هو ينتظر نتيجة الصراع المحتدم، وعاد البعض الآخر إلى الحجاز والشام[3] .

-حملة معاوية بن حديج(45-50هـ/636م-670م): وكانت هذه الحملة في سنة**45هـ/ 636م** وقبل هذا التاريخ؛ كانت حملات الفتح قد توقفت بسبب الفتنة التي حدثت بالمشرق، ولم تستأنف إلا بعد أن استتب الحكم لمعاوية بن سفيان، وبتولية واليه على مصر عقبة بن عامر بن قيس الجهني فتح افريقية، والذي بدوره كلف معاوية بن خديج بهذه المهمة، ومن انجازاته :

- بناء معسكر بالطوب في موضع عند جبل القرن ، فانتشرت الدور والمساكن، وأطلق على هذا الموضع فيما بعد بالقيروان، ومن هذا الموضع كان بث السرايا والبعوث لفتح المغرب[4] .

- حفر آبار عند معسكر القرن عرفت تاريخيا بآبار حديج، يشرب منها الجند وخيولهم، وسقاية من استقر بهذا الموضع[5] .

- فتح بعض المدن كسوسة، وبنزرت، وجلولاء، وجربة، وسوسة ، كما جهز حملة على جزيرة صقلية[6].

---

[1] نفسه، ص ص 159- 160. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص134. عبد الواحد ذنون طه وآخرون المرجع السابق، ص ص 68- 69.

[2] عبد الواحد ذنون طه وآخرون، المرجع السابق، ص 72.

[3] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب(مرجع سابق)، ص110 .

[4] موسى لقبال، المرجع السابق، ص ص 31.

[5] نفسه.

[6] حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، ص 121 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص ص 260-261.

ب)-مرحلة التحرير المنظم (50- 90هـ/ 670- 709م):

-حملة عقبة بن نافع الأولى(50-55هـ/970-975م):

تعد ولاية عقبة بن نافع الفهري للمغرب الحد الفاصل بين عهدين : عهد الإستكشاف وبعث السرايا، وعهد التحرير المنظم، والبناء الحضاري، ومن أبرز مميزات ولاية عقبة بن نافع:

-بناء مدينة القيروان سنة 50هـ/970م رابع الأمصار العربية بعد الكوفة، والبصرة، والفسطاط فأسس بها جامعا واتخذ دارا للإمارة[1].

-سمح للمسلمين العرب، والبربر ببناء دورهم وإتخاذ الخطط.

-حملة أبي المهاجر دينار(55-62هـ/975-681م):ولما جاء أبو المهاجر دينار لولاية إفريقية دخل الكثير من البربر إلى الإسلام ، ومنهم بعض قادتهم ك كُسيلة وقومه واتبع دينار سياسة اللين مع البربر، فدخلوا في دين الله أفواجًا، ومن أبرز أعماله حملته على قرطاجنة البزنطية، وزحفه نحو تلمسان، وإخضاعه لقبائل أوربة البربرية، وفتح مدينة ميلة[2].

-حملة عقبة بن نافع الثانية(62-64هـ/681 -683م): وهي حملته الكبرى إذ قام بالعديد من الأعمال الجريئة منها: فتح الكثير من مواطن البربر التي تمردت عليه خاصة في جبال الأوراس كما واصل سير فتوحاته حتى بلغ بحر الظلمات، وفي أثناء سيره فتح الكثير من المواضع كمواطن بربر قبائل مصمودة الكبرى بجبال الأطلس الكبرى، وإقليم السوس، ودخل العديد من المدن كتارودانت، ورأس غير(أغادير) حتى بلغ سواحل البحر ودخله بفرسه، وأشهد الله أنه بلغ نهاية الغرب، وعاد في طريقه، حيث بنا العديد من المساجد، وأنشأ رباطا إسلاميا على نهر تانسيفت وعين فيه قائدا وداعية إسلامية يسمى شاكر، فسمي الموضع برباط شاكر، ولكن لم يدرك عقبة في طريق عودته بأن المناوئين له وعلى رأسهم زعيم قبيلة أوربة البربرية كسيلة يدبرون مكيدة لقتله، فكانت معركة تهودة الشهيرة سنة 64هـ/683م التي استشهد فيها مع بقية جيشه[3].

-حملة زهير بن قيس البلوي(69-71هـ/688-690م): يعتبر أبرز هدف لهذه الحملة هو القضاء على كسيلة والأخذ بثأر عقبة بن نافع وجيشه، واستطاع زهير تحقيق هذا الهدف فقد قضى على كسيلة في موضع يقال له ممس بجبال الأوراس ، ثم عاد زهير إلى القيروان وأشرف على تنظيم إدارة ولايته، لكنه لم يلبث أن غادر القيروان، حيث جاءته أخبار عن هجوم البيزنطيين

---

[1] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 134.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 28-29. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص86.

[3] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 135.

على برقة، وأسرهم للكثير من المسلمين ؛ فدخل معهم في معركة كانت نتائجها لصالح البيزنطيين إذ أستشهد القائد زهير في هذه المعركة وذلك سنة 63هـ/ 689م[1].

-حملة حسان بن النعمان الغساني (71-85هـ/690-704م): يعد حسان من أبرز القادة الشاميين شهرة، فقد كان مقربا من الخلفاء الأمويين، وصاحب شخصية قوية، ويتمتع بثقة حكام الدولة حتى أنه كان يلقب بالشيخ الأمين[2].

ومن أبرز الأعمال التي قام بها حسان: تخريب مدينة قرطاجنة سنة 74هـ/694م بهدف القضاء على بقايا البيزنطيين في افريقية والمغرب، وأسس مدينة تونس وميناءه عند موضع حلق الوادي وكان ذلك سنة 84هـ/703م، كما استطاع أن ينتصر على زعيمة البربر الكاهنة في معركته الثانية معها بعد فشله في الأولى، حيث قتلها في موضع يقال له وادي نيني أو مسكيانة، كما قام حسان بإعادة تنظيم ولايته إداريا، فأنشأ الدواوين(ديوان الجند، ديوان الرسائل والكتب، ديوان الخراج)، وغيرها من الأعمال[3] .

- حملة موسى بن نصير(85-92هـ/704 - 711م): أول أعماله إخضاع بعض الجيوب المناوئة كقلعة زغوان [4]، وجهز حملات إخضاع بعض الجيوب في المغرب الأوسط، وطنجة وجنوب المغرب الأقصى، والسوس، ثم عين طارق بن زياد عاملا له على طنجة وماولاها، وكلفه بفتح الأندلس وكان ذلك سنة 92هـ/711[5].

وواصل موسى بن نصير جهود سابقيه في تنظيم ولاية المغرب إداريا فقسمها إلى أربع: ولاية افريقية وتضم طرابلس كذلك، ولاية المغرب الأوسط، ولاية المغرب الأقصى، وسجلماسة والسوس[6].

وكلف موسى بن نصير بعض العرب أن يعلّموا البربر القرآن، وأن يفقّهوهم في الدِّين، وترك في المغرب الأقصى سبعة وعشرين فقيهًا لتعليم أهله[7].

---

[1] عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص ص 97-98.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص31. موسى لقبال، المرجع السابق، ص67.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص36. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 99ومابعدها.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص40.

[5] نفسه، ص 40، وما بعدها . عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 110 ومابعدها. موسى لقبال، المرجع السابق، ص93 وما بعدها.

[6] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 135.

[7] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1 ، ص42.

II)- تعريب المغرب، والانجازات الحضارية:

1- تعريب المغرب : وتجسد ذلك في الخطوات والأعمال التالية:

-أثر انتصار المسلمين الفاتحين في معركة سبيطلة(أواخر 28هـ/649م): وهي المعركة التي قضى فيها عبد الله بن سعد بن أبي سرح على قوات البطريق جريجوريوس(جرجير)، وكان من نتائجها أن دخل في الإسلام عدد كبير من زعماء القبائل البربرية (مغراوة، وزناتة)، ومنهم مثلا القائد وزمان أو وزمار بن صقلاب أمير قبائل مغراوة الزناتية الذي قيل بأنه قد وقع أسيرا في معركة سبيطلة ، وأرسل إلى الخليفة عثمان بن عفان؛ فأسلم على يديه ، وأمَّرَهُ على قومه بعد رجوعه للجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام في انحاء بلاده[1].

- كما ضمت حملات الفاتحين الكثير من أبناء الصحابة والتابعين والدعاة، الذين قاموا بدور كبير في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية، فقد اشتهر جيش عبد الله بن سعد بن أبي سرح **بجيش العبادلة** لوجود سبعة من أبناء الصحابة يسمون بعبد الله، ومنهم على سبيل المثال: عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن مروان بن الحكم، زيادة على عبد الملك بن مروان[2].

- نجاح أبي المهاجر دينار إدخال قبائل أَوْرَبة البربرية إلى الإسلام[3].

- دور القائد عقبة بن نافع من خلال إنشاء قاعدة القيروان - المعسكر-وبنا فيها مسجدا جامعا ودام تأسيس هذه المدينة خمس سنوات(50-55هـ/670/675م)، كما بنا رباطا إسلاميا على نهر تانسيفت في الغرب، وعين عليه قائد وداعية إسلامية يعرف ب **شاكر**؛ فاشتهر المكان برباط شاكر[4].

وتكمن أهمية بناء مدينة القيروان بأنها احتضنت العلماء والفقهاء؛ فكانوا يقومون بنشر هذا الدين الجديد بين البربر حديثي الإسلام، وتدريس القرآن الكريم، وتعليمهم لغته، وسرعان ما عمرت هذه المدينة بالبيوت، والمساجد، والمنشآت، فأقبل الكثيرون ممن أسلموا من البربر للإقامة فيها وتعميرها، واختلطوا مع العرب، وتعايشوا معهم[5].

---

[1] عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص ص 171- 172.

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 134.

[3] عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص172.

[4] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 135. وروي بأن عقبة بن نافع كان معه خمس وعشرين من الصحابة. المالكي، **رياض النفوس**، تحقيق: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994،ج1 ص10.

[5] حسين مؤنس، أطلس ، ص30.

-وأما حسان بن النعمان (71-85هـ/690-704م) فقد أدخل الكثير من البربر في جيشه ليستكمل فتح افريقية[1]، وكان يقسم الفيء بين البربر والعرب؛ فدانت له افريقية، كما دون الدواوين (ديوان الجند- ديوان الخراج- ديوان الرسائل)، وجعل العربية اللغة الرسمية في البلاد[2].

كما عين الخطط؛ فجعل لكل قبيلة كبيرة خطة لها مركز ينزل بع عامل عرب إفريقية، ويتولى إدارة منطقته بالتعاون مع زعماء القبيلة، ودعمه في هذا الاتجاه القرار الذي أتخذه الخليفة عبد الملك بن مروان(حكم بين 65-86هـ/685-705م) إذ أرسل قاضيا للقيروان بنفس الإجراء الذي يتخذه في عواصم الولايات الكبرى، وعمر حسان القيروان، وزاد في بناءه[3] .

كما قام حسان بن النعمان بإنشاء مدينة تونس عند حلق الوادي عام 84هـ/ 703م التي أصبح التاريخي والحضاري يضاهي مدينة القيروان بل وتتجاوزها في بعض المراحل التاريخية[4].

وبانشاء القيروان وتونس تضاعفت هجرات القبائل العربية نحو المدن اولا ، ثم الى عمق مواطن القبائل البربرية ناشرة للاسلام واللغة العربية.

- وأثمرت جهود موسى بن نصير(85-92هـ/ 704-711م) في ميدان الإدارة باستحداث الولايات؛ فقد قسم المغرب الى اربع ولايات : ولاية افريقية بما فيها طرابلس، ولاية المغرب الاوسط، ولاية المغرب الاقصى، ولاية السوس(سجلماسة)، كما واصل حملات الفتح لبعض الجيوب في عمق المغرب[5] .

ومما ينسب إلى موسى بن نصير ارساله لسبعة وعشرين فقيها من أجل تعليم البربر أصول الدين الإسلامي عندما عين طارق بن زياد واليا على طنجة؛ فعلموهم القرآن الكريم، واللغة العربية، وما يحتاجونه من فرائض هذا الدين[6].

ونتج عن إنتقال البربر إلى الإسلام انتشار اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، وعزز هذا الهدف أن قام التابعون بتأسيس عدد من المساجد في المغرب كمسجد الرباطي الذي بناه ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري، وجامع الزيتونة الذي بناه اسماعيل بن عبد الله المعروف بتاجر الله،

---

[1] المالكي، المصدر السابق، ص 56.

[2] حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، مراجعة ووضع الفهارس:عادل أبو المعاطي، ط8، دار الرشاد، القاهرة، 2008 ص48.

[3] أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ج2، ص 12. المالكي ، المصدر السابق، ص ص56-57. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 45.

[4] حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي ، ص135.

[5] نفسه.

[6] الرقيق القيرواني(أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم)، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968، ص ص 69-70. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص43. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص ص 178-179.

وتعد هذه المساجد بمثابة مراكز علمية للدراسة والتحصيل قبل ان تظهر المدارس والجامعات؛ فكانت تعقد فيها الحلقات العلمية في الفقه، اللغة، الحديث، القراءات، وغيرها من الدروس الدينية واللغوية[1].

2- دور القيروان الحضاري قبل عصر الولاة:

بعد تأسيس القيروان سنة 50هـ/970م، سرعان ما أصبحت مركزا للحضارة الإسلامية بالمغرب وعاصمته العلمية، منها انطلق الدعاة، وإليها رحل طلاب العلم من الآفاق، ولا شك أن الصحابة الذين كانوا في جيش عقبة قد جلسوا للتدريس فيه على النمط الموجود في مدن المشرق آنذاك، فقد كان مع عقبة أثناء تأسيس القيروان ثمانية عشر صحابيا[2] ، وقد مكثوا فيها خمس سنوات كاملة كان عملهم فيها – ولا شك – نشر اللغة العربية، وتعليم القرآن والسنة في جامع القيروان، وذلك أثناء بناء مدينة القيروان، حيث لم تكن هناك غزوات كبيرة تتطلب غيابًا طويلاً عن القيروان، أمّا في غزوة عقبة الثانية فقد كان معه خمسة وعشرون صحابيا، وسائر جيشه من التابعين[3].

ولقد استقطبت القيروان أعدادًا هائلة من البربر المسلمين الذين جاءوا لتعلم الدين الجديد قال ابن خلدون عند حديثه عن عقبة" : فدخل إفريقية وانضاف إليه مسلمة البربر، فكبُرَ جمعُه ودخل أكثر البربر في الإسلام ورسخ الدين"[4]، ولا شك أن الفاتحين قد خصصوا لهم من يقوم يقوم

بهذه المهمة، ومن القيروان انتشر الإسلام في سائر بلاد المغرب، فقد بنا عقبة بالمغربين الأقصى، والأوسط عدة مساجد لنشر الإسلام بين البربر، كما نرك صاحبه شاكوا في بعض مدن المغرب الأوسط لتعليم البربر الإسلام[5].

III)-فتح الأندلس 92-95هـ/711- 714م:

أولا: مقدمات الفتح:

كان الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية نتيجة طبيعية لسير الفتوحات الإسلامية بالمغرب من خلال اتباع استراتيجية تميزت بها فتوحات المسلمين وهي تأمين حدود البلاد المفتوحة، لهذا كانت خطة والي إفريقية موسى بن نصير بعد استكمال الفتوحات بالمغرب أن يوجه أنظاره لفتح الأندلس.

---

[1] نفسه، ص 176.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص20.

[3] نفسه، ص23.

[4] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج4 ، ص186 .

[5] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص27.

1-أوضاع الأندلس قبيل الفتح الإسلامي: خضعت إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي ل حكم القوطي "لوذريق" الذي اغتصب السلطة من حاكم إسبانيا "غيطشة"؛ فقد عزله؛ وقتله سنة91هـ/ 710م، ثم تولى العرش من بعده، وتختلف الروايات حول مصير أبناء غيطشة أصحاب الحق الشرعي في تولي الحكم بعد وفاة أبيهم، فمنهم من رأى بأنهم عبروا إفريقية للاستنجاد بالعرب الفاتحين، والثأر لأبيهم؛ فزينوا للعرب سهولة فتح الأندلس[1]، أو أنهم اتصلوا بيليان صاحب سبتة وبمساعدته اتصلوا بالعرب الفاتحين يرغبونهم في غزو الأندلس[2].

بينما تذكر بعض المصادر الإسلامية كابن القوطية مثلا بأن سنة عزل غيطشة كان أولاده صغارا، وأنهم تفرقوا بعد هذه الحادثة، ولم يظهروا إلا بعد أن فتح المسلمون الأندلس؛ فطالبوا ببعض الضياع التي كان يملكها أبوهم قبل الغدر به، ؛ فأعطاهم المسلمون جزءا كبيرا منها لكسب ودهم، بل أن بعضهم دخل في الإسلام، وحسن إسلامه[3].

ووافقت هذه الأحداث تذمر يوليان من لذريق بسبب اغتصابه لابنته "فلورا" بالقصر في العاصمة طليطلة[4]، فقد جرت عادة ملوك القوط بأن يرسلوا أبنائهم وبناتهم ليتأدبوا بآداب الملوك السلطانية فكان يوليان صاحب سبتة قد أرسل ابنته إلى طليطلة قاعدة حكم القوط الغربي في اسبانيا في ضيافة لذريق تنفيذا لهذا التقليد وحدث الذي حدث بين لذريق وابنة يليان، وهو ما جعل هذا الأخير يراقب الأحداث، ويتحين الفرصة للانتقام من لذريق[5].

2-حملة طريف بن مالك الإستطلاعية رمضان 91هـ/710م: بعد إجتماع كلمة حاكم سبتة يوليان مع أبناء غطشة على التحالف مع المسلمين للاطاحة بلذريق، اتصلوا بطارق بن زياد ، ورغبوه في دخول الأندلس مع تأكيدهم له بسهولة المهمة ، وتقديم يد المساعدة، فما كان من طارق إلا أن استشار أميره موسى بن نصير الذي استشار بدوره الخليفة الوليد، الذي لم يتردد في الموافقة لكن بعد اتخاذ الاحتياطات اللازمة فقد أمره بإرسال حملة استكشافية لجس النبض والتأكد من صدق نوايا جوليان [6]، فأرسل حملة سنة 91هـ/710م تحت قيادة "طريف بن مالك المعافري"

---

[1] حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص57.

[2] السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت،1981، ص 66.

[3] ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري بيروت، القاهرة، 1989، ص29.

[4] نفسه، ص 34. مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص37.

[5] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 34. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 2، ص 7. رينهرت دوزي، **المسلمون في الأندلس**، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، 1998، ج1 ص43.

[6] ابن القوطية، المصدر السابق، ص20. ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص5 وما بعدها.

الملقب بأبي زرعة في خمسمائة (500) مقاتل منهم مئة فارس على أربع (04) سفن سنة وانطلقت الحملة من سبتة، وجازت الزقاق أو المضيق الفاصل بين المغرب والأندلس فنزلت في جزيرة بالوما " Isla de las Palomas"، وهي الجزيرة التي ستشتهرت فيما بعد باسم قائد هذه الحملة " جزيرة طريف" "Tarifa"، والتي عادت بغنائم بعدما دخلت أرض الأندلس[1].

وقبل عودة طريف بالغنائم إلى طنجة فقد قام بحملات إستطلاعية ناجحة إنطلاقا من الجزيرة التي نزل بها ؛ فجس نبض بعض سواحل الأندلس الجنوبية ومنها بالأخص الجزيرة الخضراء فوقف على عوراتها، وهي المعلومات التي سيستغلها قادة الفتح في الحملات التالية الرسمية.

ثانيا: مراحل الفتح الإسلامي:

شجع نجاح حملة طريف السالفة الذكر والي إفريقية موسى بن نصير بإرسال حملة أخرى في رمضان عام 92هـ/ جوان 711م بقيادة والي طنجة "طارق بن زياد " على رأس جيش من سبعة آلاف جندي أغلبهم من البربر، والقليل من العرب[2]، على متن أربع مراكب تجارية قدمها يوليان للمسلمين الفاتحين، ولم يجد طارقا صعوبة كبيرة في دخول البلاد[3]، وقام طارق بوضع التحصينات اللازمة في هذا الموضع حيث بنا سور سمي فيما بعد بـ: " سور العرب" حتى يكون قاعدة انطلاق للحملات القادمة في فتح الأندلس، وحتى يحمي ظهره في توغله داخل الأندلس.

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 2، ص 4 وما بعدها.المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 1، ص 187 وما بعدها. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ص 35. ويذكر بعض المؤرخين بأن موسى بن نصير قام بتجهيز حملة بقيادة ولده عبد الله سنة 89هـ/708م قبل حملة طريف، فافتتح ابنه عبد الله جزيرتي ميورقة، ومنورقة . أنظر: الحافظ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية،ج 1، ص77. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص ص 44-45.

[2] يذكر ابن عذارى المراكشي، والمقري التلمساني بأن تعداد جيش طارق الذي عبر به إلى الأندلس كان اثنا عشرة جندي جلهم من البربر، بينما المرجح أن جيش طارق كان يضم سبعة آلاف جندي من البربر، ثم أرسل إليه موسى بن نصير خمسة آلاف جندي آخر من العرب بعد اجتيازه وطلب طارق المدد من موسى ؛ فأصبح المجموع اثني عشر جندي. ابن عذارى، المصدر السابق،ج2، ص6. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1 ص ص 188- 189. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص70.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص17. ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص254، محمد ابن جرير الطبري **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ص11؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص 6، 13-14. وتختلف الروايات التاريخية في تحديد شهر هذه الحملة ؛ فمنهم من يرى أنها كانت في شهر ربيع الثاني كحسين مؤنس، ومنهم من يقول انها في شهر رجب كما صرح به محمد سهيل طقوش نقلا عن ابن عذارى، بينما يذكر ابن القوطية بأنها كانت في رمضان، ويقدم حسين مؤنس استنتاجه في هذه القضية بأن هذه الحملة بدأت في أواخر ربيع الثاني، وانتهت في شهر رمضان. أنظر: ابن القوطية، المصدر السابق، ص 33.ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص6. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 67. محمد سهيل طقوش المرجع السابق، ص36.

-فتح قرطاجنة والجزيرة الخضراء: لما عبر طارق المضيق نزل بجبل كالبي" Mons Calpe" الصخري المنيع ، والذي سيعرف فيما بعد باسمه: "جبل طارق" ، وبعد أن سيطر على هذا الموضع، واستكمل تجمع جيشه، واستعدادته بسرية، ارسل قوة عسكرية بقيادة عبد الملك بن أبي عامر؛ فسارت بمحاذاة ساحل الأندلس متقدمة؛ فافتتحت حصن قرطاجنة على سفح جبل طارق والمقابل لمدينة الجزيرة الخضراء التي افتتحها المسلمون هي الأخرى بعد الحصن[1].

-معركة وادي لكــة [2] 28 رمضان 92هـ/ 19 جويلية 712م : بعد فتح الجزيرة الخضراء تقدم طارق بن زياد باتجاه الغرب حتى بلغ بحيرة خندة التي تقع جنوبي غربي الأندلس، وهي البحيرة التي يقطعها نهر برباط عبر وادي لكة، وعسكر في هذا الموضع، وأما لذريق فإنه كان في أربونة في أقصى شمال إسبانيا في حروبه ضد البشكنس، فلما سمع بدخول المسلمين الأندلس، وما قاموا به من فتوحات، توجه إلى طليطلة، وجهز جيشا ضخما قيل بأنه بلغ مائة ألف مقاتل، وقيل سبعين ألفا، وقيل أربعين ألفا [3]، قادهنحو الجنوب لملاقاة جيش المسلمين واتخذ شذونة نقطة تجميع جيوشه[4]، وعلم طارق عن طريق جواسيسه بما جهزه لذريق لملاقاة المسلمين؛ فأرسل إلى موسى بن نصير يطلب النجدة والمدد؛ فأرسل إليه خمسة آلاف ، وبهذا يصبح تعداد جيش المسلمين اثنا عشرة جندي [5]، والتقى الجيشان عند وادي لكة أو واد برباط في شهر 28رمضان 92هـ/19جويلية711م، وجرت معركة ضارية بينهما، دامت لثمانية أيام [6] انتهت بإنتصار المسلمين على حساب الجيش القوطي، وأما ملكهم لذريق فتختلف الروايات في مصيره، فمنهم من

---

[1] ابن القوطية ، المصدر السابق، ص 35. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص9. محمد سهيل طقوش المرجع السابق، ص 37. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص52.

[2] تختلف المصادر التاريخية في تسمية هذا الوادي، فيذكره الحميري، والمقري، وابن عذارى باسم لكة، بينما يذكره ابن القوطية باسم بكة، قبل أن يصححه المحقق باسم لكة . أنظر: ابن القوطية، المصدر السابق، ص 33. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص8، الحميري ، المصدر السابق، ص 511. المقري التلمساني المصدر السابق، ج1، ص 208. ويضيف حسين مؤنس، والسيد عبد العزيز سالم بأنه هناك من يطلق على هذا الوادي اسم نهر برباط أو اليرباط، ومنهم من يسميه بوادي الطين لكثرة وجود الطين به. حسين مؤنس، فجر الأندلس ص ص 76، 79. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص81.

[3] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 18. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص75.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 8. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 206. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 136. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص76.

[5] مجهول، المصدر السابق، ص17.ابن عذارى، المصدر السابق،ج 2، ص6 . المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، 241.

[6] اختلفت الروايات التاريخية في تحديد أيام هذه المعركة، فقيل أنها جرت في يوم، أو يومين ، وقيل ثلاثة، وقيل أسبوع، أو أسبوعين ، لكن الراجح أنها جرت في ثمانية أيام بحسب رواية ابن عذارى، والحميري. أنظر: ابن عذارى،المصدر السابق،ج 2، ص ص8، 9، 11.الحميري، المصدر السابق، ص 169. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 136 .السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص79.

يقول بأنه قُتل في المعركة، ومنهم من يقول بأنه غرق في الطين بوادي لكة حيث عثر على خفه، ومنهم من يقول بأنه اختفى عن الأنظار، وفر بجلده بعد هزيمته في المعركة، وهو الرأي الأرجح[1].

والجدير بالذكر بأنه منذ وصول المسلمين إلى الأندلس تحالف أبناء غيطشة مع طارق بن زياد ضد لذريق، ويورد ابن القوطية نصا يبين فيه هذا التعاون بقوله : " لما تقابلت الفئتان أجمع ألمُند وأخواه على الغدر بلذريق وأرسلوا في ليلتهم تلك إلى طارق يُعلمونه أن لذريق إنما كان كلبا من كلاب أبيهم وأتباعه، ويسألونه الأمان على أن يخرجوا إليه بالصباح، وأن يُمضي لهم ضياع أبيهم بالأندلس وكانت ثلاث آلاف ضيعة، سمّيت بعد ذلك صفايا الملوك"[2].

وبانتصار المسلمين في معركة وادي لكة، واختفاء ملك القوط لذريق، توجه طارق بن زياد إلى المدن الإسبانية الوسطى والشمالية ؛ ففتح مالقة، وإستجة، وغرناطة، وجيان، وقرطبة، وإلبيرة، وطليطلة عاصمة القوط، وقاعدة ملكهم التي افتتحها أوائل عام 93هـ/712م[3].

-دخول موسى بن نصير سنة 93هـ/ 712م: كتب طارق بن زياد إلى مولاه موسى بن نصير يخبره ما تحقق من انتصارات، وفتوحات، وهو ما شجعه على العبور إلى الأندلس في رمضان عام 93هـ/ جوان 712م فسلك طريق غير طريق طارق بن زياد وهو الشمال الغربي؛ فدخل الأندلس من موضع يقال له مرسى موسى، وسار بجيشه الذي بلغ ثمانية عشر ألف جندي معظمهم من العرب على ساحل شذونة؛ فافتتح العديد من المدن كقرمونة، وإشبيلية، لقنت، ودخل ماردة صلحا، ووصلت فتوحاته إلى برشلونة شرقا، وأربونة، وقادش في الجنوب، ووصل إلى جيليقية في الشمال الغربي[4].

---

[1] ابن القوطية، المصدر السابق، ص7. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص9.ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص ص 8 وما بعدها. حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص72. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص80. ويضيف حسين مؤنس في موسوعته أطلس التاريخ الإسلامي بأن لذريق لم يقتل في المعركة وإنما فر في إتجاه تُدمير أو مرسية ، وظفروا به في مكان قريب من مدينة لورقة على مجرى وادي الطين. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 136.

[2] ابن القوطية، المصدر السابق، ص29-30 . ينظر كذلك: المقري: المصدر السابق، ج1، ص249.

[3] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص19 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص9 وما بعدها. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 136.

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص35. محمد سهيل طقوش، **التاريخ الإسلامي الوجيز**، ط5، دار النفائس بيروت، 2011، ص208. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 136.

وكان طارق بن زياد لما سمع بدخول موسى بن نصير وتقدمه، خرج إليه من طليطلة، وإلتقى به في موضع قريب منها يدعى: "طَلَبيرة" [1]، وواصلا فتح أقصى الشمال الإسباني، كسرقسطة وما حولها من حصون وقلاع[2].

وواصل موسى بن نصير فتوحاته بالأندلس فبعد فتح سرقسطة البيضاء، توجه نحو جيليقية التي صالحه أهلها، ثم فتح بلاد البشكنس، وأوغل فيها، وغزا بلاد الإفرنجة، فافتتح قرقشونة، وناربون، ووصل إلى مدينة ليون [3]، واما طارق فقد دخل إلى فج سمي فيما بعد باسمه" فج طارق" ومنه دخل إلى جيليقية ، ومنها واصل إلى استرقة التي إلتقى بها بالوالي موسى بن نصير، وفي هذا الموضع ورد كتاب الخليفة الوليد بن عبد الملك يطلب فيه موسى بن نصير بالإنصراف والقدوم إلى عاصمة الخلافة دمشق في محرم 95هـ/ سبتمبر 714م؛ فخلف موسى ابنه عبد العزيز على الأندلس، واسكنه اشبيلية كقاعدة ملكه، وعين له حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع وزيرا له، وبهذا يكون عبد العزيز بن موسى بن نصير أول ولاة الأندلس، و عاد موسى بن نصير إلى عاصمة الخلافة محملا بالهدايا الثمينة، رُفقة قائده طارقا وجماعة من الأعيان العرب والبربر له[4].

المحاضرة الثالثة: عصر الولاة بالمغرب(97-184هـ/716-800م):

1)- المقصود بعصر الولاة في المغرب وأهم خصائصه:

تجدر الإشارة إلى انه يوجد اختلاف في تحديد بداية ونهاية عصر الولاة بين المغارب الثلاث بحسب المؤرخين؛ فعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يتفقون على سنوات نهاية هذا العصر بحسب الأقاليم الثلاث (المغرب الأدنى، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى) إلا أن بدايات هذا العصر تختلف من مؤرخ إلى آخر.

فيتوافق رأي المؤرخ عبد العزيز فيلالي مع ما أورده المؤرخ عبد الواحد ذنون طه بأن عصر الولاة يبدأ بعد انتهاء حملات الفتح أي الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك لموسى بن نصير من بلاد المغرب والأندلس سنة 96 هـ/ 715م حتى قيام الدول

---

[1] أسهبت المصادر عن هذا اللقاء، فقالت بأن موسى بن نصير أصابته الغيرة من قائده طارق بن زياد، حيث كان يريد أن ينسب الفتح لنفسه، فقيل بأنه وبخه، وضربه بالسوط، وحلق رأسه، ثم سار به إلى طليطلة، وسبب ذلك أنه استمر في الفتح دون إذن الوالي وهذا مخافة وقوع أي طارئ أو هجوم مفاجئ من طرف القوط، فيغرر بالمسلمين، ولقد تصالحا ، ثم توجها معا في فتح بعض المواضع كسرقسطة على سبيل المثال لا الحصر. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج 2 ص16. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص91.

[2] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 19. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص91.

[3] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 19 وما بعدها. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص208.

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص ص 35-36. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2 ص 16 وما بعدها .

المستقلة عن السلطة المركزية في هذه المنطقة بعد ثورات المغاربة، وتوقف دار الخلافة عن ارسال ولاتها الى هذا القطر؛ أي انقطاع التبعية المباشرة لدولة الخلافة [1].

ويفصل المؤرخ حسين مؤنس في بدايات عصر الولاة بحسب كل إقليم فيرى أن:

– المغرب الأ دنى يبدأ عصر الولاة به من إنشاء القيروان سنة 50هـ/ 670م إلى قيام دولة الأغالبة بإفريقية سنة 184هـ/ 800م.

– وأما المغرب الأوسط فيبدأ من حوالي سنة 85هـ/704م بتولي موسى بن نصير وإتمام فتوحات المغرب الأوسط إلى غاية قيام الدولة الرستمية بتيهرت سنة 160هـ/ 776م.

– وأما المغرب الأقصى؛ فيبدأ من حوالي سنة 90هـ/ 709م وهي السنة التي أنشأ فيها موسى بن نصير ولايتي المغرب الأقصى، والسوس أو سجلماسة، وينتهي سنة 172هـ/ 788م، وهي السنة التي قامت فيها دولة الأدارسة في فاس[2].

ومما سبق ذكره فإننا نحدد عصر الولاة بصفة عامة للمغرب ككل بإنتهاء حركة الفتوحات الإسلامية بالمغرب،وتعيين أول والٍ عليها، وهو محمد بن يزيد القرشي من طرف الخليفة سليمان بن عبد الملك (96–99هـ/ 715–717م)،وينتهي هذا العصر بظهور دولة الأغالبة التي قامت بالمغرب الأدنى سنة 184هـ/ 800م، وهذا الإطار الزماني يتوافق مع رأي أغلب المؤرخين أمثال عبد العزيز فيلالي وعبد الوحد ذنون طه.

2)– ولاة المغرب: تناوب على المغرب خلال عصر الولاة سواء في الخلافة الأموية أو العباسية الكثير من الولاة بلغ عددهم إحدى وعشرين واليا، وكان يعين واليها من طرف الخليفة في المشرق وفي بعض المرات يعين من طرف والي مصر، كما توجد بعض الحالات التي يتفق فيها كبار القادة، ورجال الولاية على تنصيب احدهم وال لفترة محددة خاصة في فترت الفوضى والاضطراب كما ان بعض الحالات عرفت إعتلاء الولاية بالتمرد والاغتصاب كما جرى الحال مع عبد الرحمن بن حبيب الفهري سنة 127هـ/745م[3].

وفيما يلي عرض لمن تقلد ولاية افريقية والمغرب مع ذكر أهم أعمالهم، وما تميزت به فترات ولاياتهم:

---

[1] فيلالي عبد العزيز، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، ص21 .عبد الواحد ذنون طه المرجع السابق، ص 125.

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 178. وتجدر الإشارة هنا بان المصادر الوسيطية تبدأ بذكر مصطلح "ولاية" بتولي عقبة بن نافع على افريقية والمغرب. أنظر: الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 45. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص19.

[3] عبد الواحد ذنون طه المرجع السابق، ص 127.

-**محمد بن يزيد القرشي (97-100هـ/715-718م):** عين من طرف الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان، تميز عهده بالأمن، والاستقرار، والعدل ، فقد كان رجلا تقيا، ومن أهم أعماله إرسال السرايا إلى المناطق الداخلية بالمغرب الأقصى، ولعدله فقد كان يقسم الغنائم بين المقاتلين وهي السياسة التي ساهمت في دخول الكثير من البربر إلى الإسلام، وخضوع القبائل المتمردة إلى طاعته[1] .

-**إسماعيل بن عبد الله بن ابي المهاجر [2](100-102هـ/718-720م):** وكان خير أمير وخير وال على حد تعبير ابن عذارى المراكشي؛ فقد كان فقيها، فاضلا، ورعا، وهو أحد العشرة التابعين، عينه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز واليا على المغرب ، فانصبت إهتماماته على نشر الإسلام وتفقيه البربر أمور الدين، فاسلمت على يديه عدد كبير من القبائل البربرية، وفي عهده أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز بعثة الفقهاء العشرة من كبار التابعين لتعليم البربر الإسلام والعربية، فانتشروا في مناطق مختلفة من المغرب لهذا الهدف[3].

والجدير بالذكر أن ولايتي محمد بن يزيد القرشي، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر تعتبران من الفترات التي تتميز بالهدوء، والاستقرار، والأمن، وتحقيق العدل بين سكان المغرب، كما تتميز بجهود الواليين لنشر الإسلام واللغة العربية بين القبائل البربرية التي لم تسلم بعد، وبوفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة 101هـ/ 719م وتولي الخليفة يزيد بن عبد الملك تبدأ سياسة جديدة من طرف الولاة الجدد، تتميز بالشدة؛ والعنف.

-**يزيد بن أبي مسلم (102هـ/ 720م):** ولاه الخليفة يزيد بن عبد الملك، وكان الوالي الجديد يزيد بن أبي مسلم قبل توليه ولاية افريقية والمغرب يشتغل كاتبا عند الحجاج بن يوسف الثقفي(ت 95هـ/ 714م) ، وصاحب الخراج على العراق ، فلما عين على إفريقية قلد سياسية الحجاج القاسية على الرعية، وعمد على وشم حرسه بكتابة اسم الجندي في يده اليمنى، وكتابة عبارة " حرسي" على يساره، وهو التقليد الذي كانت تقوم به روما على جنودها، الأمر الذي تذمر منه البربر بأن يشبهوا بالنصارى، واتفقوا على قتله؛ فقتلوه بعد أشهر من تعيينه[4].

---

[1] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص59-60.

[2] يكنى: أبو عبد الحميد، مولى بني مخزوم، توفي بالقيروان سنة 132هـ/ 750م. الدباغ(أبوزيد عبد الرحمن بن محمد)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تعليق: أبوالفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي،ج1 ص 203 . خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 319.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص48.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 319.

[4] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص64.

واجتمع الناس على تعيين المغيرة بن أبي بردة لكن ابنه عبد الله أشار عليه برفض الولاية حتى لا يتهم بقتل يزيد بن أبي مسلم، فتم إختيار محمد بن أوس قائد الأسطول البحري بعد عودته من غزو صقلية محملا بالغنائم، فبعد تعيينه راسل الخليفة يزيد بن عبد الملك، وأعلمه بما جرى من حادثة يزيد بن أبي مسلم[1].

-بشر بن صفوان(102-109هـ/721-727م): استدرك الخليفة يزيد بن عبد الملك الخطأ الذي وقع فيه بتعيينه يزيد بن أبي مسلم المتسلط؛ فسارع إلى إصلاح الوضع بتعيين شخصية ذات كفاءة عالية في التسيير الإداري، وامتصاص الغضب المحلي من خلال تعيين بشر بن صفوان الكلبي والي مصر بين سنتي 101- 102هـ/ 720-721م .

وتميزت سياسة بشر بن صفوان على الرعية بإقرار العدل، والمساواة، وحسن المعاملة، فنتج عن هذه السياسة السلام، والأمن، والهدوء، ومن أهم أعماله أنه تتبع قتلة الوالي السابق يزيد بن أبي مسلم فقبض على عبد الله بن موسى بن نصير وأنصاره وأودعهم في السجن، وصادر أموالهم كما قام بإعدام عبد الله بن موسى بن نصير، ومن أعماله كذلك قيامه بغزو صقلية[2].

-عبيدة بن عبد الرحمن السُّلَمِي (110-114هـ/728-732م): عين واليا على المغرب والأندلس معا من طرف الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان (105-125هـ/723-742م) واشتهر بأنه كان عنيفا في سياسته، فقد أخذ عمال الوالي السابق بشر بن صفوان، وأغرمهم وعذبهم، وممن عانوا من هذه السياسة القاسية الشاعر أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الذي تقلد بعض المهام الإدارية على الأقاليم في ولاية بشر بن صفوان، ولقد أرسل أبو الخطار الحسام أبياتا شعرية إلى الخليفة هشام بن عبد الملك يشكوا فيها سياسة عبيدة ، فعزله الخليفة [3]، واستخلف من بعده عقبة بن قدامة إلى غاية تعيين عبيد الله بن الحبحاب السلولي سنة 116هـ/734م[4].

-عبيد الله بن الحبحاب السلولي (116-123هـ/734-741م): كان واليا على مصر [5]؛ فنقله الخليفة هشام بن عبد الملك إلى افريقية؛ ومن أهم أعماله أنه اتخذ بتونس دار لصناعة المراكب

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 48-49.

[2] نفسه، ج1، ص49. ابن عبد الحكم(ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)، **فتوح مصر وأخبارها** ، مطبعة بريل، ليدن، 1920، ص ص 215-216.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 50-51.

[4] نفسه، ج1، ص51.

[5] تقلد الكتابة في مصر، ثم عامل الخراج بها سنة109هـ/727م، وصف بأنه كان " رئيسا نبيلا، وأميرا جليلا وكاتبا بليغا، وحافظا لأيام العرب وأشعارها، ووقائعها، وأخبارها، وكان يقول الشعر" . الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص 66. ابن عذارى

البحرية، وأنشأ الجامع الأعظم بتونس(جامع الزيتونة)سنة 116هـ/734م[1]، وقسم المغرب الأقصى إلى قسمين: قسم السوس الأدنى الذي يضم طنجة وماولاها، وعهده إلى ابنه إسماعيل ثم إلى عمر بن عبد الله المرادي، وقسم آخر يضم السوس الأقصى، وأرض السودان، وشاع في السوس الأقصى الفوضى والتمرد فعين عليه حبيب بن أبي عبد الفهري سنة 116هـ/735م الذي استطاع أن يخضع القبائل، وتنظيم ولايته[2].

ومن انجازاته أنه جهز الحملات إلى صقلية بقيادة حبيب بن أبي عبيدة مع ابنه عبد الرحمن بن حبيب سنة122هـ/740م؛ فبلغ مدينة سرقوسة أعظم مدن صقلية، وفرض على أهلها الجزية[3].

شهدت ولاية ابن الحبحاب تسلط بعض العمال، والقادة الإداريين، ومنهم عامله على طنجة عمر بن عبد الله المرادي الذي فرض الضرائب والجزية على البربر [4]، وهذا ما أدى إلى ظهور أولى الحركات الخارجية بالمغرب في سنة 122هـ/740م، والتي تزعمها رأس الصفرية بالمغرب ميسرة المطغري نسبة إلى قبيلته مطغرة، ولقب كذلك بميسرة السّقاء لانه كان يبيع الماء بالقيروان وبميسرة الفقير، وبميسرة الحقير [5]، الذي استغل خروج حبيب بن أبي عبدة إلى صقلية وأعلن عصيانه، وتحالفت معه القبائل المحلية كبرغواطة، وغمارة ، ومكناسة، وعينوه إماما عليهم ، وبدأ حملته بمواجهة مع عمر بن عبد الله المرادي حاكم طنجة وما ولاها، واستطاع الانتصار عليه وقتله، وسقطت طنجة تحت قبضته؛ فعين عليها عبد الأعلى بن حديج الافريقي الرومي الأصل ثم زحف ميسرة الى السوس الأدنى؛ فالتقى عاملها إسماعيل بن الحبحاب؛ فدخل معه في قتال شديد انتهت بهزيمة إسماعيل ومقتله[6].

وعلى إثر هذه الانتصارات التي حققها ميسرة قام الوالي ابن الحبحاب باستدعاء قائده حبيب بن أبي عبدة الفهري من صقلية، كما أرسل قواته بالقيروان تحت قيادة خالد بن حبيب الفهري بغرض وقف زحف المتمردين نحو القيروان، واستطاعت قوات خالد بن حبيب أن تشل تقدم أصحاب

المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص 51. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 4، ص192. عبد الواحد ذنون طه المرجع السابق ص 134.

[1] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 66. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص51.

[2] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص ص 66-67. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص51.

[3] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص67.

[4] نفسه. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 51-52.إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ** ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج1، 2000، ص ص 82-83.

[5] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص67. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص52. عبد الواحد ذنون طه المرجع السابق ص136.

[6] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص67. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص52.

ميسرة في موقعة جرت قرب وادي الشلف، وهو ما أدى بميسرة إلى التراجع، وانسحب بقواته عائدا إلى طنجة، الأمر الذي أنكره البربر على ميسرة؛ فعزلوه، وقتلوه، وعينوا أميرا جديدا عليهم هو خالد بن حميد الزناتي، وكان خالد بن حبيب الفهري يريد ان يسترجع مدينة طنجة فدخل في قتال شديد مع البربر المتمردين بقيادة خالد بن حميد الزناتي، انتهى باستشهاد خالد بن حبيب ومعظم جنده من أشراف العرب عرفت في المصادر التاريخية بواقعة الأشراف، أو غزوة الأشراف[1].

وبعد أن اختلت الأمور على ابن الحبحاب ، اجتمع الناس لعزله، وبلغ هذا الخبر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك فقال: " والله لأغضبن لهم عربية ولأبعثن لهم جيشا أوله عندهم وآخره عندي" ثم كتب لابن الحبحاب بالقدوم إليه[2].

-كلثوم بن عياض القشيري(123هـ/741م): أراد الخليفة هشام بن عبد الملك الانتقام لما حدث في موقعة الأشراف، ووضع حد لتمرد البربر والخوارج، فجهز جيشا ضخما قوامه اثنا عشر ألف مقاتل من عرب الشام، ومن عمال مصر ،وبرقة ،وطرابلس [3]، ووصل هذا الجيش إلى افريقية في رمضان سنة 123هـ/741م، وتجنب كلثوم دخول القيروان، ونزل موضع على مسافة يوم من القيروان يقال له " سبيبة"، وكان نائبه في هذه الحملة ابن أخيه بلج بن بشر الذي طلب من أهل افريقية بأن لا يغلقوا أبوابهم حتى يعرف أهل الشام أبوابهم، مع كلام يغيظهم فيه، فكتب أهل افريقية إلى حبيب بن أبي عبدة يشكون تصرف بلج بن بشر، فبعث حبيب كتابا إلى كلثوم يشكو ما قام به بلج بأهل افريقية، وعلى الرغم من اعتذار كلثوم عن هذا الفعل إلا أن الأحقاد بقيت في نفوس العرب الشاميين بقيادة بلج بن بشر، والعرب البلديين بقيادة حبيب بن أبي عبدة [4]، فبعد إن التحق جيش كلثوم ونائبه بلج بجيش حبيب بن أبي عبدة بالشلف قام بلج بن بشر بسب حبيب بن أبي عبدة، وكاد أن يدخل الطرفان في حرب، إلا أنه حدث صلح في الأخير [5]، ولقد أدت هذه

---

[1] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص68. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 53-54.

[2] نفسه، ج1، ص 54.

[3] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص65. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 54.

[4] يعرف حسين مؤنس العرب البلديين بالمغرب بأنهم العرب المحليون، إذ كانوا يعيشون في شكل جماعات في المدن وحولها، وكانت تؤيدهم بعض الجماعات البربرية من زناتة في الغالب ممن اسلموا واستعربوا، فأصبحت قوة سياسية محلية لا يستهان بها، سيبرز دورها خاصة في عهد الوالي عبد الرحمن بن حبيب الذي سيأتي ذكره فيما بعد، وتتركز مواطنهم خاصة في القيروان، وتونس، المسيلة، وطبنة(إقليم الزاب)، وأما العرب الشاميون فيقصد بهم رجال الولاية المركزية، ومن انضم إليهم من أهل المغرب في العاصمة القيروان، ومعسكرات الجند المنتشرة في نواحي إقليم افريقية وخاصة تونس، وطرابلس، وإقليم الزاب، وأقوى عناصرهم كانت تتركز في القيروان وتونس. حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد،2004 ص76.

[5] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص65. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 54-56.

الانقسامات إلى ضعف قوة جيش كلثوم التي ستترتب عنه عواقب وخيمة في أول مواجهة مع البربر المتمردين.

في ظل هذه الظروف من الانقسامات، والاحقاد تقدمت جيوش كلثوم بن عياض نحو المغرب الأقصى ، فدخلت في مواجهة مع قوات من المتمردين الصفرية بقيادة خالد بن حميد الزناتي في موقعة "بقدورة" على نهر سبو من أعمال طنجة، أسفرت عن هزيمة جيوش كلثوم بن عياض واستشهاده هو وحبيب بن أبي عبدة ، وبعض قادة الجيش كمغيث الرومي، وسليمان بن أبي المهاجر دينار، وهارون القرني [1]، وفر عبد الرحمن بن حبيب وهو من الفرع اليمني إلى الأندلس تحت ضيافة ابن عمه ووالياها عبد الملك بن قطن الذي كان يمنيا أيضا [2]، وأما بلج بن بشر ومن معه فقد لجأوا إلى سبتة، وتحصنوا بها حيث حاصرهم البربر، وقطعوا عنهم الإمدادات، فعبروا إلى الأندلس، الذي اشترط عليهم واليها عبد الملك بن قطن بأن لا تتجاوز مدة إقامتهم بالأندلس السنة[3]، وسنذكر ماترتب عن هذه الإقامة من أحداث وتداعيات لما نصل إلى ذكر ولاة الأندلس في موضع لاحق.

-حنظلة بن صفوان(124-126 هـ/742-744م): كان حنظلة بن صفوان واليا على مصر قبل أن يكلفه الخليفة هشام بن عبد الملك بولاية افريقية للانتقام من مقتل كلثوم بن عياض، حيث دخلها في ربيع الآخر من سنة 124هـ/742م فاستقر في القيروان، وجهز جيشا للقضاء على شوكة الخوارج الذين هددوا عاصمة الولاية، وكانوا قد اجتمعوا بالزاب تحت قيادة زعيمين لهما هما: الخارجي الصفري عكاشة بن العرب الفراري، وعبد الواحد بن يزيد الهواري، وزحفت جيوشهما نحو القيروان، فسلك عكاشة طريق مجانة، بينما اتخذ عبد الواحد الهواري طريق الجبال؛ فنزل موضع يقال له بطساس، فرأى حنظلة بأن يهاجم قوات عكاشة أولا قبل أن يجتمعا عليه، فزحف إليه حتى التقى به في موضع القرن، وجرى بينهم قتال شديد انتى بهزيمة عكاشة ومن معه[4].

بعد هذا الانتصار توجه حنظلة إلى القيروان فجهز جيشه، واستعد لمواجهة عبد الواحد الهواري الذي انضمت إليه جموع كثيرة من الخوارج بلغت الثلاثمائة ألف أو تزيد ، واجتمعا الطرفان في موضع الأصنام على بعد ثلاث أميال من القيروان حيث جرت معركة شديدة اسفرت عن انتصار

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص55. عبد الواحد ذنون طه ، المرجع السابق ص 142. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص 231.

[2] الحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ، 1966، ص271. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 83.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص55-56.

[4] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 69 . ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 58.

حنظلة بن صفوان، ومقتل زعيم الصفرية عبد الواحد الهواري، وتحطيم معظم قواته حيث بلغ عدد القتلى مائة وثمانين ألفا، ولاحق جيش حنظلة بعض الفارين وتمكنوا من إلقاء القبض على عكاشة الذي اقتيد إلى حنظلة فقتله[1].

بعد أن حقق حنظلة انتصاراته على زعيمي الصفرية قام بتنظيم أمور الولاية؛ فعين على الأندلس أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي سنة 125هـ/743م لوضع حد للفوضى والاضطراب التي شهدتها الأندلس في تلك الفترة، فاستفتتح أبو الخطار ولايته بتتبع رؤوس الفتنة، والزعماء المتصارعين من أجل السلطة، ومنهم عبد الرحمن بن حبيب الذي فر من الأندلس، وحل بمدينة تونس في جمادى الأولى من سنة 126هـ/744م[2].

-عبد الرحمن بن حبيب(126-137هـ/744-755م): بعد دخوله إلى تونس دعا عبد الرحمن بن حبيب لنفسه، وبايعه أهلها، فسار بهم إلى القيروان، ولقد ساعدت العديد من العوامل لمبايعة أهل تونس عبد الرحمن بن حبيب، ومنها انتسابه إلى جده الأعلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري كما أنه يعد من العرب البلديين، وجُمعت فيه بعض المواصفات كونه فارسا مشهورا، وقائدا حربيا جريئا، وخطيبا بليغا[3].

زيادة على ما سبق فقد ساعدت عبد الرحمن بن حبيب الظروف التي كانت تمر بها الخلافة الأموية في أواخر أيامها؛ إذ بعد وفاة هشام بن عبد الملك تقلد الوليد بن يزيد الخلافة الذي لم تستمر مدة حكمه إلا سنة؛ فقد أغتيل سنة 126هـ/ 744م من طرف يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي خلفه في الحكم، ولم يستمر طويلا هو الآخر في الحكم؛ إذ توفي فجأة بعد أشهر فقط من توليه، ثم تولى من بعده مروان بن محمد الجعدي(127-132هـ/744-750م) آخر خلفاء بني أمية في المشرق، وهو الخليفة الذي أقر بعبد الرحمن بن حبيب على ولاية افريقية والمغرب [4] بعد ان امتنع حنظلة بن صفوان من قتال عبد الرحمن بن حبيب إذ كان ذا ورع ودين، وكره قتال

---

[1] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 69 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 58-59. الناصر السلاوي(أحمد بن خالد)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج1، ص 51.

[2] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 72 . ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 58. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص51.

[3] ابن الأبار القضاعي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله)، **الحلة السيراء**، وضع حواشيه وعلق عليه: علي إبراهيم محمود،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008، ص ص345-346. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج3، ص 302.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 59-60. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1. ص ص 52-53. محمد سهيل طقوش، التاريخ الاسلامي الوجيز، ص ص 137-138.

المسلمين، فاضطر حنظلة إلى مغادرة القيروان التي دخلها عبد الرحمن بن حبيب في جمادى الأخرة سنة 127هـ/745م واليا على افريقية والمغرب[1].

وبعد قيام الخلافة العباسية أقره أبو العباس السفاح على ولاية افريقية [2]، وأما أبوجعفر المنصور فقد بعث إلى عبد الرحمن بن حبيب يدعوه إلى الطاعة، فأجابه ودعا له، وبعث له بهدايا، وكتب إليه بأن افريقية اسلامية كلها، وقد انقطع منها السبي؛ فغضب منه أبو جعفر المنصور، وكتب إليه يتوعده، فغضب عبد الرحمن بن حبيب منه، وخلعه من الخطبة والدعاء له في المنابر، ثم دعا بخلع لبس السواد وقال بأن هذا لباس أهل النار في النار[3].

ومن أبرز الأحداث التي شهدتها ولايته أنه ثارت عليه بربر صنهاجة تحت زعامة ثابت الصنهاجي الذي تغلب بباجة، كما ثارت عليه قبائل هوارة بطرابلس الذين كانوا على الإباضية تحت زعامة عبد الجبار والحارث؛ فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عيسى القيسي عندما خرج يدعوهم إلى السلم، فزحف إليهم عبد الرحمن بن حبيب على رأس جيش سنة 131هـ/ 749م فقضى على ثابت الصنهاجي وقتله، وقضى على حركة هوارة وقتل قادتها المتمردين ثم زحف إلى عروة بن الوليد الصفري الذي ثار بتونس فقتله، وقضى على أتباعه [4]، كما ثار عليه عرب الساحل بين سوسة، وصفاقس، بزعامة أبو عطاف عمران بن عطاف الأزدي الذي اتخذ طساس قاعدة لحركته[5]، وفي سنة 135هـ/ 755م توجه بجيش نحو تلمسان لاخماد تمرد بعض القبائل فظفر بهم ، كما غزا صقلية وسردينية[6].

وبعد سقوط دولة الأمويين بالمشرق وفد إلى عبد الرحمن بن حبيب أبناء الخلفاء الأمويين وأحفادهم، ومعهم حرمهم، ومنهم عبد الرحمن بن معاوية الذي سرعان ما فر إلى الأندلس بعد أن أحس بأن عبد الرحمن بن حبيب يدبر مكيدة لقتله بوشاية من أحد مستشاريه اليهود[7].

وممن وفد على ابن حبيب من أمويي المشرق كذلك ابني الخليفة الوليد بن يزيد، وابنة عمهما التي تزوجت بأحد إخوة عبد الرحمن بن حبيب وهو إلياس، لكن الوالي عبد الرحمن بن حبيب أمر

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص62. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص53. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 83. عبد الواحد ذنون طه المرجع السابق ص146.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص65.

[3] نفسه، ج1، ص 67. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص54.

[4] الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص53.

[5] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 69 . ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 58.

[6] نفسه، ج1، ص ص 61-65. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص53.

[7] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 41. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص53. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 140.

بقتلهما بعد أن خاف على سلطانه من أمراء بني أمية، ومكانتهم كسادة العرب، وأشرافهم [1] وامتعضت ابنة عمهما لمقتلهما،وأغرت بزوجها إلياس عن أخيه عبد الرحمن، خاصة بعد أن عرف إلياس بأن عبد الرحمن حول ولاية العهد من بعده لابنه حبيب، وهو الذي كان يظن بأن ولاية العهد له من بعده ، كما كان عبد الرحمن بن حبيب يوجه أخاه إلياسا غازيا؛ فكان ينسب أي إنجاز يقوم به إلى ابنه حبيب، كل هذه الأمور أثارت حقد إلياس عليه؛ فعمد إلياس إلى قتله بعد أن وافق أخوه عبد الوارث، وبعض وجهاء العرب بالقيروان، فقتله إلياس، وخلفه على ولاية افريقية والمغرب[2].

-**إلياس بن حبيب 137هـ/755م:** أول تحدي واجه إلياس بعد تقلده الولاية هو مواجهة الزحف الذي قام به أخيه عمران بن حبيب صاحب تونس الذي استنجد به ابن أخيه حبيب بعد مقتل أبيه من طرف عمه إلياس، وقد زحفت قوات عمران ومن معه ، ومن والاهم من افريقية باتجاه القيروان وقد خرج إليهم إلياس، وكاد أن يحدث بينهما القتال إلا أنهما اتفقا على الصلح بأن يتولى عمران حبيب ولاية تونس، وصطفورة، والجزيرة، ويكون حبيب على قفصة، وقسطيلية، ونفزاوة، وسائر الجريد، وأن يتولى إلياس القيروان ما تبقى من ولاية افريقية، والمغرب، لكن سرعان ما انقلب إلياس على ما اتفقوا عليه إذ قام بقتل أخيه عمران، وأكره ابن حبيب للخروج إلى الأندلس مع عمه عبد الوارث، لكن قاربهما عاد إلى طبرقة بسبب هول الريح البحرية[3].

ويبدوا أن حبيبا بن عبد الرحمن كان يتحين الفرصة للقضاء على عمه المتغلب إلياس إلى أن ان دخل القيروان مستغلا تواجد إلياس في تونس، الذي ما لبث راجعا بقواته إلى القيروان، ولما أصبح على مشارفها دب الانقسام في جيش إلياس إذ خرج الكثير من جنوده، وانضموا إلى جيش حبيب، واقتصرت المواجهة في المبارزة المباشرة بين حبيب وعمه إلياس، إذ انهزم فيه إلياس، وقتل في رجب 138هـ/ 758م[4] .

-**حبيب بن عبد الرحمن(138-140هـ/756-758م):** دخل حبيب بن عبد الرحمن في مواجهة بمدينة قابس مع عاصم بن جميل زعيم ورفجومة، وكانت المعركة شديدة بين الطرفين أدت بلجوء حبيب إلى جبال الأوراس، فنظم أموره وقام بهجوم على قوات عاصم انتهى بانتصار حبيب ومقتل

---

[1] الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص53. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 177.

[2] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص ص 77- 78 .ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 67- 68. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص ص 53- 54.

[3] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص ص 78- 79 .ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص68.

[4] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص ص 79- 80 .ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص68. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 54.

عاصم، وفي طريقه لاسترداد القيروان دخل في مواجهة أخرى مع قوات عبد الملك بن جعد انتهت بمقتله في محرم سنة140هـ/757م[1].

ووقعت القيروان في سنة140هـ/757م تحت قبضة الخوارج الصفرية من أهل ورفجومة،وزعيمها أبوالجعد(ت141هـ/758م) الذين استباحوا المحرمات، وحدود الشرع، وربطوا دوابهم في المسجد الجامع، وتتبعوا أهلها من قريش، وغيرها من الأعمال المنكرة[2]؛ بعدها إلتجأ أهل القيروان إلى زعيم الإباضية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المتغلب على طرابلس، الذي توجه إلى القيروان وبالقرب منها دخل في معركة مع قبائل ورفجومة انتهت بهزيمة ورفجومة، ومقتل قائدهم أبو الجعد، ودخل أبو الخطاب القيروان في سنة 141هـ/758م، وعين على ولاية إفريقية صاحبه عبد الرحمن بن رستم، بينما توجه هو وقواته إلى مدينة طرابلس[3].

-محمد بن الأشعث الخزاعي(144-148هـ/761-765م): بعد أن وقعت القيروان في قبضة الصفرية ثم الاباضية توجه بعض عرب القيروان إلى الخليفة أبي جعفر المنصور يستنجدونه فعين والي مصر محمد بن الأشعث الخزاعي على ولاية إفريقية والمغرب وكلفه بالخروج بنفسه لاستعادة القيروان من قبضة رأس الإباضية أبي الخطاب بن السمح؛ فخرج في جيش قُدر بأربعين ألف مقاتل ضم ثمانية وعشرون قائدا حربيا منهم الأغلب بن سالم، والمخارق بن غفار الطائي، وفي المقابل جمع أبو الخطاب جيش ضخم حتى قيل بأنه بلغ حدود مائتي ألف مقاتل، الذي سرعان ما دب الخلاف في وسطه بين زناتة وهوارة ، إذ اتهمت قبائل زناتة ميل وإنحياز أبي الخطاب لقبائل هوارة؛ فانسحبوا من جيشه، ورجعوا إلى أوطانهم، وهو الأمر الذي استغله محمد بن الأشعث فزحف إليه، ودخل معه في قتال شديد في 144هـ/761م، انتهى بانتصاره، وقتل أبي الخطاب فأرسل ابن الاشعب رأس أبي الخطاب إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، ثم خرج عليه في ربيع الأول من سنة 144هـ/761م بعض أصحاب أبي الخطاب وهو أبو هريرة الزناتي في جيش تعداده ستة عشر ألف مقاتل، فهزمه ابن الأشعث[4].

ولما علم عبد الرحمن بن رستم بانهزام ابي الخطاب ومقتله خرج من القيروان وفر إلى المغرب الأوسط؛ فأسس دولته التي انتسبت إليه بتيهرت [5]، وفي هذه المرحلة التاريخية الهامة والخطيرة

---

[1] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص80. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص70.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 70.

[3] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص81. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص71.

[4] نفسه، ج1، ص72. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق ص159.

[5] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 71. محمد عيسى الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160-296هـ)**، ط3، دار القلم، الكويت 1987، ص83 وما بعدها.

انفصلت عن ولاية افريقية المغرب الأقصى إذ تأسست في جنوبه دولة خارجية أخرى تمثلت في الصفرية التي ظهرت من مكناسة بالمغرب الأقصى، وأسس أصحابها دولتهم وهي دولة بني مدرار ،وعينوا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود ثم اختطوا مدينة سجلماسة عاصمة دولتهم سنة 140هـ/758م[1]، وبهذا أصبح المغربين الأوسط والأقصى خارج نطاق ولاية إفريقية.

ومن أهم الأعمال التي قام بها محمد بن الأشعث أنه أمر بتحصين القيروان فبدأ بتدشين بناء سورها من شهر ذي القعدة 144هـ/761م، وأتمه في رجب 146هـ/763م، وأخمد تمرد بعض القبائل الإباضية في سنة 145هـ/762م في زويلة وودان،وقتل عبد الله بن حيان زعيم هذه الحركة[2] .

وانقلب على محمد بن الأشعث كبار قادته، وجنده، وارغموه على الانسحاب، والخروج من القيروان،والعودة إلى المشرق، واتفقوا على تولية عيسى بن موسى بن عجلان الخراساني في شهر ربيع الآخر من سنة 148هـ/765م[3].

-**الأغلب بن سالم التميمي(148-150هـ/765-767م)**: ولاه المنصور بعد حادثة طرد الجند للوالي السابق محمد بن الأشعث، وثار عليه بالقيروان الحسن بن حرب الكندي في سنة 150هـ/ 767م صاحب تونس مستغلا تتبع الأغلب للحركة الصفرية بزعامة أبي قرة المغيلي إلى تلمسان وطنجة كما انسحب من جيش الأغلب الكثير من الجند الذي استثقلوا السير في حملته ضد الصفرية؛ فأنضموا إلى حركة الحسن بن حرب، ولما عاد الأغلب بن سالم لاسترداد القيروان دخل في حروب مع قوات الحسن بن حرب، إلى أن قتل الأغلب بسهم أصابه في شعبان سنة 150هـ/ 767م بالقرب من تونس، وواصل أحد قواد الأغلب وهو المخارق بن غفار الطائي بتتبع الحسن بن حرب إلى أن ظفر به وقتله في نفس السنة[4].

-**عمر بن حفص بن قبيصة المهلبي(151-154هـ/768-770م)**[5]: أرسله المنصور على رأس جيش ضم نحو خمسمائة فارس فدخل القيروان، واستتب له الأمر نحو ثلاث سنوات، ثم بدأ في تحصين المدن، فقصد مدينة طبنة قاعدة الزاب في المغرب الأوسط لتحصينها، واستخلف على

---

[1] الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 54. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 84.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 72-73.

[3] نفسه، ج1، ص 73. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص 39.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 74-75. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق ص160.

[5] وصف بأنه كان شجاعا، بطلا مقداما، حكيما، ولقب باللغة الفارسية بهَـزَارمَرْد أي ألف رجل، وكان أمير السند ثم عينه المنصور على ولاية افريقية. ابن الأثير، المصدر السابق،ج5، ص ص195،191.خير الدين الزركلي المرجع السابق، ج5، ص 44.

القيروان نائبه حبيب بن حبيب بن يزيد بن المهلب فثارت عليه البربر وتقدموا نحو القيروان، وخرج إليهم حبيب فهزموه، ثم ثارت الإباضية بطرابلس التي سقطت في أيديهم، وولوا عليهم أبا حاتم يعقوب بن لبيب المغيلي[1].

واستغلالا لهذه الظروف اتفقت القبائل المتمردة على عمر بن حفص بغرض حصاره في طبنة فاجتمعوا في اثني عشرة جيشا، فقد ضمت تلك الجيوش زعيم زناتة أبو قرة الصفري المغيلي المتمرد بتلمسان وجيشه الذي بلغ الأربعين ألفا، وجيش عبد الرحمن بن رستم الاباضي الذي بلغ خمسة عشر ألفا، وأبو حاتم صاحب طرابلس الذي جاء بعدد كثير،وجيش عاصم السدراتي الذي اعلن تمرده بالقيراون، وغيرهم، في المقابل كان جيش عمر بن حفص لا يتجاوز خمسة عشر ألفا وخمسمائة[2]، ولما اشتد الحصار على عمر بن حفص لجأ إلى الحيلة للتفرقة بين جيوش القبائل المحاصرة فقد أرسل رسوله محملا بالمال إلى جيش أبي قرة الصفري للانسحاب والعودة إلى موطنهم، فانصرفت الجيوش الصفرية، ثم تشتت قوى القبائل المتمردة ، ثم أرسل عمر بن حفص جيشا إلى عبد الرحمن بن رستم فدخلوا معه في قتال بتهودة أسفر عن انهزامه ومقتل نحو ثلاث ألاف من أصحابه ثم فر إلى تيهرت مع ما تبقى من جيشه[3].

وبعد فكه لحصار طبنة توجه عمر بن حفص نحو القيروان فعمل على تزويد المدينة بالطعام والمؤنة تحسبا لأي حصار محتمل في المستقبل إذ صدقت توقعاته فقد حاصره مرة أخرى القبائل الخارجية المتمردة ومنها قوات أبي حاتم يعقوب المغيلي، وطال على أهل القيروان الحصار حتى نفذت المؤنة، وبلغ عمر بن حفص أن الخليفة المنصور قد أرسل يزيد بن حاتم في جيش يضم ستون ألفا لفك الحصار فقال: " لا خير في الحياة بعد أن يقال: يزيد أخرجه من الحصار إنما هي رقدة وأبعث إلى الحساب"، فأصبح يخرج كل يوم يقاتل مع جنوده إلى أن استشهد في ذي الحجة في سنة 154هـ/ 770م، ثم ولى الناس عليهم أخاه لأمه جميل بن صخر[4].

-يزيد بن حاتم المهلبي(154-170هـ/770-786م): وكان قد تقلد ولايات كثيرة منها ارمينية السند، اذربيجان، ومصر بين سنتي 144-152هـ/761-768م، ثم عينه المنصور على افريقية بعد سماعه الحصار الذي فُرض على الوالي السابق عمر بن حفص، فقدم يزيد على رأس جيش ضم جند من الشام، والعراق، وخراسان فنزل طرابلس، ودخل في قتال شديد مع الخارجي الصفري

---

[1] الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 58.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص75. الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 81. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 58.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص76.

[4] نفسه. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 58. ابن الأثير، المصدر السابق،ج5، ص197.

أبي حاتم، فانهزموا الخوارج وقُتل أبي حاتم مع ثلاثين ألفا من أصحابه، وتتبع يزيد بقيتهم، وعين على اطرابلس عامله سعيد بن شداد ثم دخل القيروان، وأخذ في ترميم أسواقها، فجعل لكل صناعة جهتها وبابها، وأعاد بناء المسجد الجامع في سنة 157هـ/ 773م فجعله في غاية الحسن والجود على حد تعبير المؤرخ ابن عذارى المراكشي[1].

ومن انجازات يزيد أنه اخضع التمردات ومنها حركة أبي يحيى بن قرياس الهواري بطرابلس التي تصدى لها عامله بها عبد الله بن السمط الكندي، كما أرسل قواته إلى عبد الرحمن بن حبيب الصقلبي الذي كان بجبل كتامة فاضظر إلى الفرار إلى الأندلس، كما أرسل قائده المخارق بن غفار إلى الزاب فقضى على حركة البربر المتمردين بطبنة[2].

وتوفي يزيد بن حاتم في رمضان من سنة 170هـ/ 786م، وبلغت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر فشملته ولايته جزء من خلافة المنصور، وخلافة المهدي، والهادي،وجزء من خلافة هارون الرشيد، وأعرف أنه كان يجزل العطاء للشعراء، كما احتفت القيروان بالعلماء والفقهاء ومنهم قاضيه الفقيه والمحدث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الذي تأثر بوفاته سنة 162هـ/ 779م، والفقيه عبد الله بن الفروخ، وغيرهما[3].

وكان يزيد بن حاتم قد استخلف في مرضه قبل موته ابنه داود؛ فقضى هذا الأخير فترة حكمه التسعة أشهر ونصف في تتبع الحركات الخارجية وتمردات القبائل في باجة وغيرها حيث قضى عليها، وبقي واليا إلى أن قدم عمه روح بن حاتم واليا على افريقية، وأما داود فقد عينه الخليفة هارون الرشيد على ولاية مصر سنة 174هـ/791م، ثم على السند إلى أن توفي[4] .

-روح بن حاتم المهلبي (171-174هـ/787-790م): كان روح بن حاتم أكبر سنا من أخيه يزيد، وأكثر منه تقلدا للولايات فقد كان واليا على السند، البصرة، والكوفة،وطبرستان، وفلسطين ثم ولاه الخليفة هارون الرشيد على ولاية افريقية بعد أن بلغه خبر وفاة يزيد بن حاتم؛ وكان روح بن حاتم موصوفا بالحزم ، والشجاعة، والكرم ، والعلم[5].

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص78-79. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 58. ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، م2، 1994، ص 306.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص79. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 58.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص80-81. الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 91 وما بعدها. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 59.

[4] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص97. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 59.

[5] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص ص 98-99. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص84. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 59. خير الدين الزركلي المرجع السابق، ج3، ص 34.

عرفت ولاية افريقية في عهده الهدوء والاستقرار، فقد هادن عبد الرحمن بن رستم صاحب تيهرت الوالي الجديد روح بن حاتم، توفي في رمضان سنة 174هـ/790م، كما قام ببعض الاصلاحات الإدارية في ولايته؛ فبعد أن ثبت عامله العلاء بن سعيد على طرابلس قام بعزل المهلب بن يزيد عن طبنة وعين عليها ابنه الفضل، ثم عين على تونس الجنيد بن سيار ثم عزله وعين عليها إسحاق بن يزيد بن حاتم، وولى ابنه قَبِيْصة على برقة، وتوفي روح بن حاتم في رمضان سنة 174هـ/790م[1].

- **نصر بن حبيب المهلبي (174-177هـ/790-793):** وكان نصر صاحب الشرطة ليزيد بن حاتم لما كان واليا على مصر، وإفريقية، عينه الخليفة هارون الرشيد بعد وفاة روح بن حاتم، وكان محمود السيرة، واشتهر بالعدل في أحكامه[2].

-**الفضل بن روح بن حاتم المهلبي(177-178هـ/793-794م):** ولاه الخليفة هارون الرشيد في محرم177هـ/793م، والذي على الرغم من السرور، واستبشار أهل افريقية بقدومه؛ فقد نصبت له القباب على طول طريقه إلى دار الإمارة بمدينة القيروان إلا أنه كان سئ السيرة، قليل الحكمة في تسيير ولايته، فقد اتهم باستبداده في إتخاذ القرارات دون استشارة قادته، كما أنه ولى ابن أخيه المغيرة بن بشر بن روح عاملا له على تونس الذي كان هو الآخر قليل التجربة، واتهم كذلك من طرف بعض قادة تونس بسوء معاملته للجند، فشتكوا به إلى عمه الفضل والي افريقية الذي ماطلهم بالجواب، فثاروا في سنة 178هـ/794م واتفقوا على تعيين عبد الله بن عبد ربه بن الجارود قائدا لهم[3].

وعلى إثر تمرد أهل تونس عين والي افريقية الفضل بن روح عامله عبد الله بن محمد على تونس، وسيره إليها لكن المتمردين بقيادة ابن الجارود خرجوا إليه من تونس فدخلوا في قتال معه في موضع يقال له الزيتون انتهى بانتصار جيش ابن جارود، والذي واصل زحفه إلى القيروان وقبض على واليها الفضل بن روح وبعض من أبناء عمومته وخاصته، ونفيهم إلى قابس؛ ولكن

---

[1] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص99. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 60. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص85.

[2] الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص60. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص85. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص22.

[3] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص105. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص86.

ابن الجارود نصحه أصحابه بالتخلص من الفضل بن روح حتى لا يجمع شمله، ومواليه وينازعه في الولاية، فقام باعادته إلى القيروان وقتله في شعبان من سنة178هـ/794م[1].

-**هرثمة بن أعين(179-181هـ/795-797م):** كان واليا على مصر في سنة 178هـ/794م ولما عين على افريقية قام بالقضاء على ابن الجارود في تيهرت، ولقد أحسن السيرة؛ فأطاعته الرعية[2].

واشتهر هرثمة بن أعين بأعماله العمرانية كبناء القصر الكبير بالمنستير سنة 180هـ/796م،وبناء سور مدينة طرابلس، وقد طلب من الخليفة هارون الرشيد الاستعفاء من ولاية افريقية؛ فأعفاه[3].

-**محمد بن مُقاتِل العَـكِّي(181-184هـ/797-800م):** ولاه الخليفة هارون الرشيد على افريقية ولم يكن محمود السيرة فقد تتبع العلماء ومنهم على سبيل المثال الفقيه البهلول بن راشد الذي قبض عليه، وضربه بالسياط ظلما، وسجنه، حتى تأثر الفقيه البهلول بما حدث له فكان سبب وفاته، كما أنه الوالي الجديد محمد بن مقاتل اقتطع من عطاء الجند، مما ولد سخط العامة والجند عليه[4].

ونتيجة لسوء سياسته تمرد عليه مخلد بن مرة الأزدي [5]، ولكن أخطر قامت عليه هو تمرد عامله بتونس تمام بن تميم التميمي الذي زحف إليه على رأس جيش في رمضان 183هـ/799م؛ فخرج إليه محمد بن مقاتل ودخلوا في قتال شديد في موضع يقال له " منية الخيل" انتهت بهزيمة الوالي محمد بن مقاتل وهروبه إلى القيروان واختبأ في بيت غير دار الإمارة ، وبعد أن حاصره تمام أمنّه على دمه وأهله بشرط أن يخرج من القيروان، فخرج إلى طرابلس ثم إلى سرت ثم رجع إلى طرابلس[6].

وتدخل إبراهيم بن الأغلب عامل الزاب لاعادة الوالي محمد بن مقاتل إلى القيروان فجمع قواته وزحف بها إلى القيروان لقتال المتغلب تمام بن تميم ، ولكن هذا الأخير لما بلغه قدوم إبراهيم بن

---

[1] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص106 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص86. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 60. خير الدين الزركلي المرجع السابق، ج5، ص 149.

[2] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص120 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص89. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص60. ابن تغري بردي الأتابكي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف) **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ج2، ص92.

[3] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص124. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص89. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 60.

[4] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص123-124. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص89.

[5] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص89.

[6] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص124. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص ص89-90.

الأغلب انسحب إلى تونس؛ فدخل إبراهيم القيروان وأعاد واليها محمد بن مقاتل العكي، ثم أقبل تمام على رأس جيش، فخرج إليه محمد بن مقاتل وأصحابه، وإبراهيم بن الأغلب للقائه، فزحفوا إلى أن وصلوا موضع منية الخيل، وأقبل تمام إلى أن وصل موضع بطساس، ثم هاجمه إبراهيم بقوة من الفرسان، ودخلوا في قتال شديد انهزم على إثره تمام وفر ومن معه إلى تونس، وأقبل ابن مقاتل وابن الأغلب إلى القيروان[1].

وفي محرم سنة 184هـ/800م خرج إبراهيم بن الأغلب على رأس جيش إلى تونس لقتال تمام فلما علم تمام بقدومه طلب من ابن الأغلب الأمان فأمنه وأقبل به إلى القيروان ثم أرسله ومن معه إلى بغداد[2].

وبعد هذه الأعمال التي قام بها إبراهيم بن الأغلب في إخماد تمرد تمام بن تميم التميمي طلب أهل افريقية من الخليفة هارون الرشيد أن يولي عليهم ابن الأغلب، كما تعهد هذا الأخير بأنه في حال تقلده الولاية سيتنازل عن المائة ألف دينار التي كانت تمول بها مصر ولاية افريقية، بل تعهد بأن يدفع لبيت مال المسلمين أربعين ألفا، وبعد استشارة الخليفة خاصته أشار عليه هرثمة بن أعين على تعيين إبراهيم بن الأغلب على ولاية افريقية؛ فكتب الخليفة له بالعهد على الولاية في منتصف سنة 184هـ/800م[3].

-إبراهيم بن الأغلب ونهاية عصر الولاة بالمغرب(184-196هـ/800-812م): بتولي إبراهيم بن الأغلب دخلت ولاية افريقية مرحلة جديدة سميت تاريخيا بدولة الأغالبة؛ إذ استقلت إستقلالا ذاتيا عن الخلافة العباسية، وسيتوارث ابناء إبراهيم بن الأغلب، وأحفاده الحكم إلى أن تسقط دولتهم على يد العبيديين الشيعة سنة296هـ/909م.

وأما إبراهيم بن الأغلب فقد كان من الحكام المثقفين فقد كان فقيها، دينا، أديبا، شاعرا، خطيبا وكان محمود السيرة في حكمه، وابتنى العباسية بالقرب من القيروان، وانتقل إليها، وبها توفي[4].

---

[1] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص124 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص ص90-91.

[2] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص ص126-127. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص ص91-92.

[3] الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 60.

[4] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 127 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج 1، ص ص 92 وما بعدها. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج 1، ص 60. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص ص313-314. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 33.

المحاضرة الرابعة: عصر الولاة بالأندلس(95-138هـ/714-756م):

1)- التعريف بعصر الولاة بالأندلس وأهم خصائصه: يقصد به المدة الزمنية الواقعة بين استدعاء القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد من طرف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة 95هـ/714م، وتأسيس عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل الإمارة الأموية في الأندلس 138هـ/756م[1].

ولقد استغرق هذا العصر حوالي 43 سنة، وتولى حكم الأندلس عشرون واليا، وحكم منهم اثنان مرتين وهما: عبد الرحمن الغافقي، وعبد الملك بن قطن، وكان تعيين هؤلاء الولاة أما من طرف الخليفة الأموي بدمشق، أو من طرف والي إفريقية، وفي بعض المراحل يتم التعيين عن طريق إتفاق بين أهل الأندلس، ولقد اختلفت مدة حكم، وسياسة كل وال بما يتمتع به من حنكة، وقدرات سياسية وعسكرية، فبعضهم لم يمكث في الحكم إلا بضعة أشهر[2].

ومن بين أبرز سمات هذا العصر هو محاولة بعض الولاة -خاصة الأوائل- مواصلة حركة الفتوحات الاسلامية في شمال الأندلسي التي وصلت حتى إلى ماوراء جبال البرت وبلغت جنوبي مملكة الإفرنج، كما شهد هذا العصر فتن داخلية كالصراع بين العرب والبربر، وحتى فيما بين العرب كالصراع بين البلديين والشاميين، وبين القبائل القيسية واليمنية.

كما ان المجتمع الأندلسي يختلف عن المجتمع في افريقية والمغرب؛ فهو متنوع من حيث التركيبة فزيادة على العرب والبربر الفاتحين، فقد كانت فئات أخرى ظهرت نتيجة عمليات الفتح والسبي ودخول بعضهم للاسلام فظهر المولدون، والمسالمة، والصقالبة، زيادة على أهل الذمة كالمستعربون، واليهود وغيرهم، وكان لبعض هذه الفئات ثورات ضد السلطة الحاكمة على الرغم من روح التسامح الذي تمتع بها هؤلاء من طرف المسلمين في الأندلس حكاما وعامة، وعرف هذا العصر تفشي الروح العصبية القبلية العربية بين القبائل القيسية(المضرية)، واليمانية.

2)- ولاة الأندلس:

-عبد العزيز بن موسى بن نصير (95- 97هـ/714-716م) : هو أول بالأندلس ، عينه أبوه موسى بن نصير لما استدعي، وأقره الخليفة سليمان عبد الملك على ذلك، وقد كان قائدا ناجحا فقد رافق والده في معظم حملاته العسكرية، واكتسب خبرة في المجال الإداري والحربي، من أهم أعماله أنه ثم واصل حركة فتح الأندلس غربا حتى المحيط ، وشرقا خاصة بإقليم تدمير" مرسية" كما أنه عقد صلحا مع القائد النصراني تيودمير والذي تم بموجب هذا الصلح حفظ أملاك نصارى

[1] عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص131. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس ص67.

[2] عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص131.

شرق الأندلس وكنائسهم وغيرها [1]، فضبط الأندلس وحمى الثغور، وفتح المدائن في عهده التي لم تفتح في عهد أبيه، وأنشأ ديوانا لتطبيق الأحكام الشرعية، وشجع الزواج بين العرب والإسبان لخلق مجتمع متجانس، وتزوج هو –عبد العزيز بن موسى– بأمّ عاصم (أيله) وكانت امرأة لذريق، وسكن معها بإشبيلية وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وَقْت الفتح وباءت بالجزية، وأقامت على دينها إلى أن نكحها عبد العزيز [2]، ولما بدر منه إكرام للنصارى من أجل زوجته أم عاصم ، شاع خبر بأنه تنصّر، واتهم من طرف الجند بأنه وقع تحت تأثير زوجته، وبأنه يفكر في الإنفصال عن سلطة الخلافة والاستقلال بالأندلس [3]، كما اتهم بأنه تحدث في شخص الخليفة بكلام لا يليق لما فعله بوالده موسى، وهو ما جعل بعض قادته وعلى رأسهم حبيب بن أبي عبدة رفقة أيوب بن حبيب اللخمي (الذي سيخلفه مؤقتا) ، وزياد بن عذرة البلوي ينقلبون عليه، فقتلوه أثناء صلاته بأحد مساجد اشبيلية في شهر رجب عام 97هـ/ 716م، وقيل أن مقتله كان بيد الخليفة سليمان بن عبد الملك وذلك بعد الخلاف الذي حصل بينه وبين موسى بن نصير ، فكان الهدف من هذا الإغتيال القضاء على طموح أسرته في التفرد بالأندلس[4].

–أيوب بن حبيب اللخمي (98هـ/717م): بعد مقتل عبدالعزيز بن موسى بن نصير بقيت الأندلس مدة من الزمن بدون وال إلى أن اتفق قادة الأندلس على نقل عاصمة الولاية من اشبيلية إلى قرطبة، وعينوا أيوب بن حبيب اللخمي وهو ابن أخت موسى بن نصير واليا على الأندلس لكن ولايته لم تدم أكثر من ستة أشهر فقط حيث عزله والي افريقية محمد بن يزيد وعين بدلا منه الحر بن عبد الرحمن الغافقي [5]، وعلى الرغم من قصر مدة حكمه الى انه كثف حملاته العسكرية في ولايته القصيرة نحو الشمال لتطهير البلاد من اي مقاومة قوطية فترك اسمه على مدينة اسسها تحمل اسمه هي قلعة ايوب التي تقع في الشمال الشرقي من طليطلة[6].

---

[1] الحميري ، المصدر السابق، ص ص 131–132. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 136. يُنظر: ة VALLVÉ BERMEJO Joaquin : **Al–Andallus : Sociedad e Instituciones**, Real Academia de La Historia, Madrid, 1999., p103.

[2] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص270.

[3] مؤلف مجهول، **فتح الأندلس**، دراسة وتحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، ص43. ابن الأثير، المصدر السابق، م4، ص300.

[4] نفسه. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص23–25؛ ابن القوطية، المصدر السابق، ص36–37.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص25.

[6] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 134.

-**الحر بن عبد الرحمن الثقفي(98-100هـ/717-719م):** عينه والي افريقية محمد بن يزيد ووجه معه أربعمائة رجلا من أبرز أعيان ولاية افريقية [1]، ومن بين أعمال الحر أنه حاول قمع الفتن والنزاعات التي كانت بين العرب والبربر في وقته، ومطاردة الخوارج، وتنظيم الإدارة، ومحاولة مواصلة حركة الفتوحات في الشمال فقد ذكر بأنه غزا بلاد غالة حتى وصل مدينة أربونة لكن النزاعات الداخلية لم تترك له الفرصة في تحقيق الكثير من الانجازات والأعمال فعزله الخليفة عمر بن عبد العزيز وعين السمح بن مالك بدلا منه. [2]

-**السمح بن مالك الخولاني(100-102هـ/719-721م):** عرف بأنه كان رجلا فاضلا، حكيما خبيرا بأمور الإدارة، ولقد أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن يرفق بالرعية والعدل في الحكم فتولى الولاية بحزم، وقام بعدة أعمال إدارية، وعسكرية، وإقتصادية، وعمرانية، فقد خمس الأرض التي فتحت عنوة، وتحصيل جبايتها، وخراجها المستحق لبيت مال المسلمين بأمر من الخليفة عمر، وساعده في ذلك أن جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز ولاية الأندلس تابعة له مباشرة وفصلها عن ولاية افريقية، كما أرسل الخليفة إلى السمح بن مالك شخصية لها دراية بالشأن تخميس الأرض، وضبط أموالها، وتنظيم خراجها اسمه "جابر [3].

ومن أعماله العمرانية بناءه السور الغربي لمدينة قرطبة، وترميم قنطرتها التي استخدمت في ترميمها الحجارة الضخمة من اجزاء السور الروماني المهدمة بعد ترميمه؛ فأصبحت قنطرة قرطبة إحدى أعاجيب الدنيا، ولم يقم السمح بتلك الأعمال العمرانية إلا بعد استشارة الخليفة في ذلك[4].

ومن أعمال السمح بن مالك العسكرية مواصلة حركة الجهاد والفتوحات في غالة فقد استولى على أربونة عاصمة ولاية سبتمانية، ثم زحف إلى طرسكونة فاستولى عليها، ثم واصل سيره إلى أن وصل إلى طولوشة ثم دخل في قتال شديد بالقرب منها مع قوات الإفرنج تحت قيادة الدوق أودو (دوق أكيتانيا) انتهى بانهزام الجيش الأندلسي وقتل عدد كبير منهم، واستشهد فيه الوالي السمح بن مالك الخولاني وذلك في يوم عرفة من سنة 102هـ/721م ، ثم اجتمع المسلمون على تعيين عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي واليا عليهم الذي قاد الجيش الأندلسي إلى أربونة، وكانت

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص25.

[2] نفسه. ابن القوطية، المصدر السابق، ص37- 38.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص26. ابن القوطية، المصدر السابق، ص38. مؤلف مجهول، أخبار محموعة، ص 30.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص26. ابن القوطية، المصدر السابق، ص38. مؤلف مجهول، أخبار محموعة، ص 30.

هذه هي الولاية الأولى له للأندلس، والتي لم تدم أكثر من بضعة أشهر فقد عين يزيد بن أبي مسلم والي افريقية مكانه عنبسة بن سحيم الكلبي[1].

- **عنبسة بن سحيم الكلبي(103-107هـ/721-725م):** بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة101هـ/720م، وتولى الخلافة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م)الذي ارجع إدارة الأندلس إلى والي افريقية فكان تعيين والي الأندلس من طرف والي افريقية.

وعرفت ولايته اضطرابا، وحدوث فتن داخلية بسبب استفحال ظاهرة العصبيات بين القبائل العربية لهذا انشغل العرب بتصفية الحسابات بينهم على حساب تتبع بقايا القوط، لهذا كرس عنبسة سنواته الاولى في اخماد هذه الفتن وتنظيم امور دولته؛ وبعد ان استكانت هذه الاضطرابات حتى جدد العزم على استئناف حركة الجهاد في بلاد الإفرنج؛ فحصن الخط الدفاعي لمدينة أربونة ثم سار بجيشه إلى أن افتتح قرقشونة عنوة بعد أن حاصرها مدة، ثم مدينة نيمة التي أخذ من أهلها رهائن نقلهم إلى برشلونة ثم توغل بجيشه في بلاد غالة فسقطت المدن والمواقع الواحدة تلو الأخرى كمدينة أوزة، وفيفييه، وفالانس، وليون، وماسون، وشالون، ومن هنا انقسمت الجيوش الإسلامية إلى قسمين، قسم توجه نحو ديجون، وبيز، ولانجر، بينما توجه القسم الثاني إلى أوتون وبلغت جيوشه إلى مدينة سانس التي قاومت الجيوش الإسلامية بقيادة أسقفها إيبون ، ثم قرر عنبسة العودة إلى قرطبة فقد بلغته الأنباء بعودة الاضطرابات هنا، لكنه استشهد في طريق عودته في شعبان من سنة 107هـ/725م بعد أن تصدت له قوة إفرنجية في إحدى المواقع، فتولى قيادة الجيش عذرة بن عبد الله الفهري الذي سار بالجيش إلى أربونة[2].

-**عذرة بن عبد الله الفهري (107هـ/725م):** وهو الذي عينه أهل الأندلس بعد استشهاد عنبسة بن سحيم الكلبي، ولم تدم ولاية عذرة بن عبد الله أزيد من شهرين لهذا لم تكن له انجازات تذكر[3].

-**يحيى بن سلمة الكلبي(107-110هـ/726-728م):** عينه بشر بن صفوان الكلبي في شوال من سنة 107هـ/726م بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك، وكانت ولايته سنتين وستة أشهر[4] .

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق،ج2، ص26. ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد)، **تاريخ علماء الأندلس** الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص195. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص191.

[2] ابن عذارى ، المصدر السابق، ج2، ص27. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص377. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 138 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص91.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص27.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 49. ج2، ص27. ابن القوطية، المصدر السابق، ص38. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص191.

-**عثمان بن أبي نِسْعَة(110هـ/729م):** عينه كذلك عامل افريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي في شعبان من عام 110هـ/729م، ودامت ولايته خمسة أشهر فقط[1].

-**حذيفة بن الأحوص الأشجعي القيسي (111هـ/729م):** عينه عامل إفريقية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي في محرم سنة 111هـ/729م بكتاب من الخليفة هشام بن عبد الملك ، وكانت ولايته ستة أشهر فقط[2]، ويشير المقري بأن المؤرخين اختلفوا في تقديم عثمان بن أبي نسعة على حذيفة بن الأحوص[3].

-**الهيثم بن عبيد الكِنَانِي(111هـ/729م):** عين هو الآخر من طرف والي افريقية عبيدة بن عبد الرحمن، وعلى الرغم من قصر مدة ولايته التي بلغت عشرة أشهر وبضعة أيام إلا أنه قام ببعض الأعمال منها غزو أرض مَقوشة(بحسب رواية المقري) أو مُنُوسَة(بحسب رواية ابن عذارى) فافتتحها[4] .

-**محمد بن عبد الله الأشجعي(111هـ/730م):** قدموه أهل الأندلس على أنفسهم، وكانت ولايته شهرين فقط، وقيل أكثر[5].

-**عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي(112-114هـ/730-732) وهي (الولاية الثانية):** عينه والي افريقية عبيد الله بن الحبحاب بأمر من الخليفة هشام بن عبد الملك، ودخل الاندلس في صفر من سنة 112هـ/ 730م، وكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر أو ثمانية أشه، واشتهر بانه كان معروفا بحسن القيادة، والشجاعة، فقد جهز الجيوش لغزو غالة بلاط الإفرنج، فاجتاز جبال البرانس، وأوغل في مقاطعتي أكيتانية وبورغونية، واستولى على مدينة بوردو، وتغلب على جيوش إمبراطور الكارولنجيين في ذلك الوقت " شارل مارتل"، فجمع هذا الأخير جيشا كبيرا من الغاليين والجرمانيين لايقاف زحف جيوش المسلمين داخل الإمبراطورية الكارولنجية؛ فنشبت حرب في بواتييه(Poitiers) بالقرب من نهر اللوار عرفت في المصادر الإسلامية بمعركة بلاط الشهداء التي انهزم فيها، واستشهد فيها عبد الرحمن الغافقي والعديد من جنوده في رمضان من سنة

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 49. ج2، ص27. ابن القوطية، المصدر السابق، ص38. المقري التلمساني المصدر السابق، ج1، ص191.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص50. ابن القوطية، المصدر السابق، ص38. المقري التلمساني المصدر السابق، ج 1، ص191.

[3] نفسه. وقارن بين روايات المؤرخ ابن عذارى في كتابه البيان في الجزئين فمثلا في الجزء الأول يذكر بأن حذيفة تولى في غرة محرم من سنة 111هـ/729م، بينما يذكر في الجزء الثاني بأن ولايته كانت في سنة 110هـ/ 728. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص50. ج2، ص ص 27-28.

[4] نفسه، ج2، ص28. ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص392.المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1 ص191.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص28. المقري التلمساني المصدر السابق، ج1، ص ص191-192.

114هـ/ 732م ورجع من بقي على قيد الحياة نحو أربونة، وعاد شارل مكتفيا بالنصر الذي أحرزه، وقد أكبر به البابا في روما "غريغوري الثالث" ولقَّبَه بالمارتل، أي المطرقة، وه ذه المعركة يسميها المسلمون" بلاط الشهداء"، لكثرة من استشهد فيها من المسلمين، بينما يسميها المسيحيون بمعركة "بواتييه" نسبة لمكان المعركة[1].

-عبد الملك بن قطن الفهري (114-116هـ/732-734م) (ولايته الأولى): واصل عبد الملك بن قطن حركة الجهاد في الشمال؛ فغزا البشكنس سنة 115هـ/733م؛ فأوقع بهم، وتحصل على غنائم كثيرة، وعبر جبال البرت إلى بلاد لانجدوك وعمل على حماية الثغور، والمعاقل التي كانت بأيدي المسلمين مستغلا حالة الفوضى التي كانت تعيشها بلاد سبتمانيا وبروفانس، ثم عزل في رمضان من سنة 116هـ/734م لظلمه وجوره[2].

-عقبة بن الحجاج السلولي (116-121هـ/ 734-739م): دخل عقبة واليا على الأندلس من قبل عبيد الله بن الحبحاب أمير مصر وإفريقية في عصر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وواصل حركة الجهاد والغزو فقد فتح أربونة(Narbonne) وجيليقية، وبنبلونة(Pampelune)، وكان إذا أسر الأسير لا يقتله حتى يعرض عليه الإسلام ويقبح له عبادة الأصنام، فأسلم على يديه بهذه الطريقة أكثر من ألف رجل[3].

واشتهر عقبة بحسن سياسته وعدله فقد كان يشبه الوالي السابق عبد الرحمن الغافقي تقيا ورعا واختلفت الكتب التاريخية في ذكر سبب نهايته فمنهم من يقول بأنه لما غزا الفرنجة استشهد هو ومن معه في أرض بلاط الشهداء، وفيه رواية أخرى تقول بأن أهل الأندلس ثاروا ضد عليه وخلعوه بتحريض من عبد الملك بن قطن الذي تسلم الولاية من بعده[4].

-عبد الملك بن قطن الفهري(123-124هـ/741-742م) (ولايته الثانية): ارتبطت ولاية عبد الملك بن قطن ولايته هذه بالأحداث التي عرفتها ولاية افريقية في هذه الفترة، فقد استنجد به قائد جيش والي افريقية بلج بن بشر لما حاصره البربر بسبتة بعد معركة بقدورة الشهيرة سنة 123هـ/ 741م، وقد اخذ بلج بن بشر يستعطف الوالي الأندلسي عبد الملك بن قطن ويطلب منه ارسال

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص51. ج2، ص28. المقري التلمساني المصدر السابق، ج 1، ص ص 191-192. الحميدي ، المصدر السابق، ص ص 274-275. ابن الأثير، المصدر السابق، م4، ص ص403-404. خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج3،ص312. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق ص 140 وما بعدها.

[2] ابن عذارى ، المصدر السابق، ج2، ص28. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 31 . المقري التلمساني المصدر السابق، ج1، ص ص 192. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 77-78.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص29.

[4] نفسه، ج2، ص ص29-30. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 35. خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج4، ص 240.

السفن للدخول إلى الأندلس هو وأتباعه، وقد استشار عبد الملك خاصته، وحذروه من غدره، والانقلاب عليه، فرفض في أول الأمر، ثم أخذ بمماطلة بلج بن بشر إلى أن وافق في الأخير بشروط منها:

-مساعدته في إخماد ثورة البربر التي اندلعت في الأندلس سنة 123هـ/741م.

-أن لا تتجاوز مدة إقامة بلج بن بشر ومن معه في الأندلس العشر سنوات ثم يخرجون منها.

-أن يقبض عبد الملك بن قطن رهائن من بلج بن بشر، ويحتفظ بهم حتى يتم تنفيذ هذه الشروط[1].

ووافق بلج بن بشر، ودخل هو، وجنوده إلى الأندلس، وتمكنوا مع عبد الملك بن قطن من الانتصار على البربر في عدة معارك[2].

وبعد التخلص من ثورة البربر طالب عبد الملك بن قطن من بلج بن بشر الخروج من الأندلس رفقة جيشه، على ما اتفقوا عليه، لكنه رفض، وثار عليه الجند الشاميين، وطالبوا بإعتقاله ؛ فسلمه لهم بلج بن بشر فاعتقلوه ثم صلبوه، وهو شيخ هرم في التسعين من عمره أو أكثر، وأقاموا مكانه قائدهم بلجا بن بشر[3].

-بلج بن بشر القشيري 124هـ/742م: بعد أن قتل الشاميون (جند بلج) عبد الملك بن قطن عينوا بلج بن بشر واليا على الأندلس، فخرج عليه أمية، وقطن ابنا عبد الملك بن قطن، وحشدا أتباعهما في سرقسطة، وزحفوا إليه بقرطبة في جيش بلغ تعداده نيف وألف من مواليهم من العرب البلديين، والبربر، فخرج إليهم بلج وهو على رأس قوة يبدوا أنها كانت قليلة العدد إذ قدرت بأقل من خمس جيش ابني عبد الملك، ودخلوا في قتال شديد انتهت بهزيمة أمية وقطن، وانصرف بلج منتصرا إلا أنه أصيب بجراحات في المعركة، فلم يدم طويلا حتى توفي[4].

-ثعلبة بن سلامة العاملي (124-125هـ/742-743م): ولاه الشاميون بعهد من الخليفة هشام بن عبد الملك، استطاع أن يخمد ثورة البربر والعرب البلديين بماردة، لكن سياسته كانت قاسية جدا

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص30-31. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 42-43. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص86.

[2] جرت المعركة الأولى في وادي الفتح بشذونة التي انتصر فيها العرب، وأما المعركة الثانية فكانت بفك حصار قرطبة والتي تشتت على اثره جموع البربر نحو طليلطة، ولحق بهم عبد الملك بن قطن، واستطاع أن يتغلب عليهم في معركة بالقرب من وادي السليط جنوب طليلطة، فقد سحق البربر،ووطارد من نجا منهم. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص31. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص43 وما بعدها.

[3] ابن عذارى ، المصدر السابق، ج2،ص ص31 - 32. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 44-45.ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص 459.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2،ص32. المقري التلمساني، المصدر السابق،ج1، ص 192.

مع أسرى المعارك من العرب البلديين، حتى قيل أنه أسرى في معاركه أبناء البلديين الصغار وحتى الشيوخ، وباع بعضهم بأبخس الأثمان[1].

-أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي (125-128هـ/743-746م): ولاه حنظلة بن سفيان والي افريقية لما استنجد به البلديون من أهل الأندلس نظرا لسياسية ثعلبة بن سلامة القاسية[2] .

وكان أبو الخطار واليا حازما، شجاعا، فصيحا، شاعرا، من خيار أهل الشام من دمشق، وقد رضي به الشاميون والبلديون في بداية ولايته.

ومن أعماله أنه أطلق الأسرى والسبي، كما أنه فرق الشاميين عن قرطبة فوزعهم على ربوع الأندلس مع البلديين، فأنزل جند مصر في كورتي أكشونبة وباجة، وكورة تدمير، وأنزل جند حمص في كورتي لبلة وإشبيلية، وجند فلسطين في كورة شذونة والجزيرة، وجند الأردن في كورة رية ، وجند دمشق في كورة البيرة، وأنزل في كورة جيان جند قنسرين، ثم جعل لهم الثلث من أموال أهل الذمة، وأقر على البلديين ما بأيديهم من أموال، وضياع، وبهذا تقاسم الشاميون والبلديون مواضع الاندلس، والأراضي الخصبة[3].

لكن لم يدم هذا التوافق طويلا فما لبث أن تعصب أبو الخطار حسام بن ضرار لليمنية حيث حكم في خصومة بين يمني وقيسي، فمال لليمني ، الأمر الذي دفع القيسي إلى الشكوى عند زعيم القيسية آنذاك وهو الصّميّل بن حاتم، فتوجه هذا الأخير إلى الوالي أبي الخطار لرد حق صاحبه لكنه عُنّف، وشُتم، وأُسيئت معاملته؛ فخرج مغضبا، عازما على الثأر ؛ فشكا ذلك لبني قومه فلأعلنوا الثورة ضد أبي الخطار ، وقدموا ثوابة بن سلامة الجذامي قائدا عليهم، ولما سمع أبو الخطار ذلك خرج إليهم، ودارت المعركة بناحية نهر شذونة، وانتهت بلنتصرار ثوابة وجنده على جيش أبي الخطار، ودخل ثوابة قرطبة ظافرا، ومعه أبي الخطار مقيدا، وأودعه في السجن[4].

-ثوابة بن سلامة الجذامي(128-129هـ/746-747م): يعد الصميل بن حاتم هو الحاكم الفعلي للأندلس في هذه المرحلة؛ فهو الذي أشار لقومه الإستنجاد بثوابة بن سلامة وتعيينه قائما عليهم، ليرد الإعتبار للقيسية.

وربما الحدث الذي ميز ولاية ثوابة بن سلامة هو: ظهور أنصار الوالي السابق أبو الخطار بقيادة عبد الرحمن بن حسان الكلبي الذي هاجموا قرطبة ونجحوا في اخراج أبي الخطار من

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص32 وما بعدها. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 47-48.

[2] نفسه، ص48.

[3] نفسه. ابن الأبار، المصدر السابق، ص ص 43-44. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص175.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص 34-35. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص58.

السجن، الذي مالبث أن عاد محاولا لاسترداد حكمه؛ فقد شن هجوما مع أصحابه من اليمنية على قرطبة، لكن محاولته هذه باءت بالفشل بفضل الدور الذي قام به الصميل بن حاتم، فخذله أبي الخطار أصحابه حتى قبل بداية القتال؛ فانسحب من خوض المعركة، وهرب إلى باجة، وماعدا هذه الحركة عرفت الأندلس هدوءا نسبيا بقية فترة حكم ثوابة بن سلامة إلى أن بلغه الأجل[1].

- **يوسف بن عبد الرحمان الفهري(129-138هـ/747-755م):** بعد وفاة ثوابة بن سلامة عاد الصراع بين اليمانية والقيسية لمن يخلفه في الولاية؛ فبقيت الأندلس أربعة أشهر بدون والٍ إلى أن اتفق الطرفان في الأخير على أن يتقاسما السلطة بالتناوب فتكون سنة للقيسية، وسنة لليمنية فكان أول وال من تقلد الولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وهو من القيسية[2].

ولقد عرفت ولايته العديد من الأحداث الجسام كان لبعضها الأثر الكبير في المستقبل السياسي للأندلس، ومنها على سبيل المثال لا الحصر خروج اليمانية للمطالبة بدورها في تقلد السلطة فخرج عليه أبو الخطار، وحليفه حاكم رية اليماني يحيى بن ريث، وزحفت جيوش اليمانية نحو قرطبة لحصارها، وخرجت لهم قوات يوسف بن عبد الرحمن بقيادة الصميل بن حاتم، والتقى الجيشان بشقندة، وكان القتال الشديد، وحرب ضروس حتى أنها وصفت بأقوى معركة بين المسلمين على الإطلاق بعد موقعة الجمل، وصفين، وانتهت بانتصار جيش الصميل بن حاتم وأعتقل أبو الخطار، وابن حريث، ومن بقي منهم بعد المعركة ثم قتلوا[3].

وبعد انتصار الصميل بن حاتم على حركة أبي الخطار، وابن حريث أصبح هو الحاكم الفعلي للأندلس، ولم يكن ليوسف بن عبد الرحمن الفهري إلا لقب الوالي ظاهريا فقط.

وفي آواخر ولايته دخل الأندلس عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل الذي فر من المشرق بعد سقوط دولة أجداده الأمويين بيد العباسيين، واستطاع عبد الرحمن الداخل أن ينتصر على يوسف بن عبد الرحمن في طريقه إلى كرسي الحكم بقرطبة، ويؤسسه لملكه، وبنيه بالأندلس ويعلن عن قيام الإمارة الأموية بالأندلس في غرة ربيع الأول من عام 138هـ/755م منهيا بذلك عصر الولاة الذي دام ثلاثة وأربعون سنة.

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 35. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص58. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 15.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص35. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 193.محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص98.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص36-37. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص59-60.

المحاضرة الخامسة: الدول الإقليمية في المغرب والأندلس

شهد العصر العباسي تقلص سلطة الخلافة في بعض الولايات التي كانت تابعة لها أو داخلة في حدودها التي ورثتها عن الأمويين؛ مما مهَّد السبيل لكل ناقم على الدولة، أو مخالف لها بأن يقيم دولته التي احتكرها مع أبناءه، وأحفاده في أطراف الخلافة، ومنها الطرف الغربي الذي يشمل المغرب الإسلامي والأندلس، ومما يلي نبذة مختصرة عن أهم الدول التي قامت فيهما.

1-دولة الأغالبة في المغرب الأدنى(184-296هـ/800-909م): ظهرت هذه الدولة بإفريقية وكان مؤسسها إبراهيم بن الأغلب الذي كان قد تقلد ولاية افريقية منذ سنة 184هـ/800م بعهد من الخليفة العباسي هارون الرشيد ، و بتولي إبراهيم بن الأغلب دخلت ولاية افريقية مرحلة جديدة سميت تاريخيا بدولة الأغالبة؛ إذ استقلت إستقلالا ذاتيا عن الخلافة العباسية بموافقة الخلفاء العباسيين أنفسهم[1].

وأما إبراهيم بن الأغلب فهو القائد المؤسس للدولة الأغلبية بإفريقية، وكان من الحكام المثقفين فقد كان فقيها، دينا، أديبا، شاعرا، خطيبا وكان محمود السيرة في حكمه، وابتنى العباسية بالقرب من القيروان، وانتقل إليها، وبها توفي[2].

أ)-أصل الأغالبة: هم أسرة حكمت المغرب الأدنى، وتوارثت الحكم فيما بينها إلى أن سقطت سنة 296هـ/ 909م بيد العبيديين الشيعة، ويرجع نسبهم إلى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي، وكان واليا لإفريقية بين(148-150هـ/765-767م) من قبل الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وقبل توليه على افريقية والمغرب شارك مع أبي مسلم الخرساني حين قيام الدعوة العباسية [3].

ب)-نبذة عن التاريخ السياسي للدولة الأغلبية: تعد فترة الأغالبة في افريقية التي دامت لأكثر من قرن من أمجد الفترات التاريخية، فقد عرفت البلاد فيها نوع من الإستقرار السياسي النسبي قامت بإشراك البربر والعلماء في شؤون الحكم، وتقلد المناصب السياسية والعسكرية.

---

[1] حول ظهور إبراهيم بن الأغلب في مسرح الأحداث، ودوره في إخماد ثورات القبائل البربرية المتمردة، وكيفية تقلده الولاية أنظر: ص37 وما بعدها من هذه المطبوعة.

[2] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 127 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج 1، ص ص 92 وما بعدها. الناصر السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص 60. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص313-314. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 33.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص ص 74-75. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق ص160. وحول ولايته أرجع إلى ص ص 32-33 من هذه المطبوعة.

تمثل حكم الأغالبة بالتنظيم المحكم؛ فلا يتقلد الوظائف الإدارية إلا ممن ظلوا أوفياء لهم سواء من الموالي أو العامة أو الخدم والخصيان أو حتى من النصارى[1].

تعد الدولة الأغلبية من أقوى الدول التي قامت في المغرب الإسلامي من حيث الإستقرار وتحقيق بعض الانجازات العسكرية البحرية، أو من حيث المآثر العمرانية، وفيما يلي عرض لمن تناول مقاليد السلطة، ومميزات فترات حكمه.

-**إبراهيم بن الأغلب (184-196هـ/800-812م)**(مؤسس الدولة)، وخلفه في الولاية ولده عبد الله أبي العباس.

-**أبو العباس عبد الله بن إبراهيم(196-201هـ/812-817م):** كان واليا على طرابُلُس أثناء حكم أبيه، وأخذ أخوه زيادة الله البيعة له من رؤساء الجند، ثم دخل القيروان سنة 197هـ/ 812م وأقره الخليفة العباسي المأمون على ما بيده من إفريقية ، واشتهر بسياسته القاسية، وجوره على الرعية، محبا لجمع المال فقد أبطل عشر الحب وجعله بالدرهم، لكن فترة حكمه تميزت بتحقيق الإستقرار والهدوء[2].

-**زيادة الله بن إبراهيم(201- 223هـ/817-837م):** تولى بعد وفاة أخيه عبد الله، وأقره الخليفة المأمون، كان أديبا، فصيحا، لكنه اشتهر بكثرة شرابه للمسكر، زيادة على سياسته السيئة على الجند؛ فقد أكثر من سفك الدماء لسوء ظنه فيهم؛ فثاروا عليه في كل الجهات من افريقية كما ثارت عليه العامة حتى لم يبق في طاعته إلا قابس، والساحل، وطرابلس، وقبائل نفزاوة، واستطاع أن يخمد تلك الثورات[3].

وجهز سنة 212هـ/ 827م أسطولا ضخما قوامه سمعون مركبا محملا بسبعمائة فرس لغزو صقلية بقيادة الفقيه والقاضي أسد بن الفرات، ومعه أشراف إفريقية من العرب، والجند، والبربر والأندلسيين، وأهل العلم؛ فاستطاعوا بالاضافة إلى الإمدادات التي كان يرسلها زيادة الله بأن يستولوا على معظم حصونها، ومن أعمال زيادة الله كذلك توسعته للمسجد الجامع بالقيروان، وبناءه سور سوسة، وقنطرة ابن أبي الربيع[4].

---

[1] شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقية الشمالية** ، ج2، ترجمة: محمد مزالي البشير بن سلامة،الدار التونسية للنشر، تونس، 1978، ص ص67-68.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 95-96. ابن الأثير، المصدر السابق، م 5، ص ص 391- 392، 432-433. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4 ص ص251-252.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص96 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص 252 -253.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص102- 106. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص253 وما بعدها.

-أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب(223-226هـ/837-840م): ولي بعد وفاة أخيه زيادة الله، اشتهر بحسن السيرة، فقد أمّن الناس، وأحسن إليهم والجند، وأجرى على العمال الأرزاق وقبض أيديهم عن الرعية، كما أمر بمنع شرب أو تجارة النبيذ في القيروان، وفتحت في عهده عدة حصون في صقلية[1].

-أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب(226-242هـ/840-856م): ولي بعد وفاة أبيه أبي عقال الأغلب، كان قليل العلم ومحبا للهو، ورغم ذلك إلا انه حقق الكثير من الانجازات العمرانية كبناء قصر سوسة وجامعها في سنة 236هـ/851م، كما أن عهده عرف تقلد الفقيه المالكي سحنون عبد السلام القضاء بإفريقية في سنة 233هـ/848م بعد عام من تودد أبي العباس محمد بن الأغلب إلى أن أعطاه الأمان والعهود بعدم التدخل في أحكامه، كما يحسب إليه أنه استطاع إخماد الحركات التي قامت ضده [2].

-أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب(242-249هـ/856-863م): وكان حسن السيرة مرفقا بالرعية على الرغم من حداثة سنه، فقد تولى وهو ابن عشرين سنة، وكان جوادا سخيا، فقد أكثر العطاء للجند، مولعا بالعمران بالتشييد، فبلغ عدد الحصون التي بناها في افريقية نحو عشرة آلاف حصن، وزاد في جامع القيروان، ومسجد تونس، كما بنى سور سوسة سنة 245هـ/859م واستطاع أن يخمد تمرد الخوارج عليه بطرابلس، وفي أيامه افتتحت مدينة قصريانة بجزيرة صقلية وتوفي بتونس وهو ابن ثمانية وعشرين سنة[3].

-زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب(249-250هـ/863-864م): يعرف بزيادة الله الأصغر، تمييزا له عن زيادة الله بن إبراهيم، وكان عاقلا حتى قيل بأنه ماولي لبني الأغلب أعقل منه، حليما، حسن السيرة، جوادا، شجاعا، وكانت فترة حكمه قصيرة إذ لم تدم إلا سنة واحدة وسبعة أيام[4].

-أبو الغرانيق محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب(250-261هـ/864-874م): ولي بعد وفاة خلفه عمه زيادة الله الأصغر، اشتهر بالمبالغة بالجود إلى درجة الإسراف والتبذير، زيادة على ميله للهو والشراب؛ لهذا لقب بأبي الغرانيق نسبة لنوع من الطيور المائية التي كان يولع بصيدها، لكن في المقابل كان حسن السيرة مع الرعية، وشهدت ولايته حروبا كثيرة خاصة مع الروم في

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص107.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص107 ومابعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4 ص256.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج 1، ص ص112-113.ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4 ص256. ابن الأثير، المصدر السابق، م6، ص ص 126-127.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1،ص ص113-114.ابن خلدون، المصدر السابق، ج4 ص257.

صقلية الذين سيطروا على مواضع كثيرة منها، فوجه قواته نحو جزيرة مالطا التي افتتحها عام 255هـ/269م، وبنى حصونا ومحارس على طول الساحل مابين برقة إلى المغرب على مسيرة خمسة عشرا يوما[1].

-إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب(261-289هـ/874-901م): تولى بعد وفاة أخيه محمد، بايعه أهل القيروان، ثم مشاييخ افريقية، له مناقب كثيرة، فقد كان عادلا، حازما، فقطع البغي، والفساد، وجلس للمظالم، واستطاع أن يخمد الثورات التي ظهرت في عهده، وانتقل من القيروان إلى تونس سنة 281هـ/894م، فسكنها، وأكثر بها القصور، كما شيد الحصون والمحارس على طول الساحل حتى قيل بأنه كانت إذا وقدت النار في ساحل سبتة إنذارا بالعدو، يصل إيقادها بالاسكندرية في الليلة الواحدة، ومن أعماله العمرانية بناءه مدينة رقادة، وقصر الفتح، لكنه كان كثير سفك الدماء لخدمه، ومواليه، ونسائه، وبناته، وقتل اثنين من أبنائه، وثمانية من إخوته قيل بأنه أظهر التوبة في آواخر حكمه؛ فأطلق سراح المساجين، وزهد في الملك، وانقطع إلى غزو النصارى بصقلية، فتوفي بها، وهو يحاصر إحدى المواضع، وفي عهده ظهرت الدعوة العبيدية بكتامة من قبل أبو عبد الله الشيعي[2].

-أبو العباس عبد الله بن إبراهيم (289-290هـ/901-902م): تولى بعد وفاة أبيه، كان أميرا عادلا، أديبا، وفقيها، قرب العلماء وشاورهم في شؤون الحكم، بصيرا بالحروب، شجاعا، أظهر التقشف والجلوس على الأرض، لم تدم فترة حكم أكثر من سنة واثنين وخمسين يوما فقد قتل من طرف خدمه من الصقالبة، وفي زحف أبو عبد الله الشيعي نحو ميلة فسقطت في يده، ودخل في حروب كر، وفر مع الأغالبة في سطيف[3].

-زيادة الله بن عبد الله(290-296هـ/902-908م): آخر أمراء الدولة الأغلبية بإفريقية كان ميالا للهو، قيل بانه هو من دبر قتل أبيه، قام بقتل أعمامه وإخوته، وأهمل شؤون الحكم فاستفحلت الدعوة العبيدية التي استطاعت ضم العديد من المناطق، فسقطت سطيف، وطبنة وبلزمة، وباغاية، ومجانة، ومواطن قبائل نفزة، وأصبح أبو عبد الله الشيعي على مشارف مدينة القيروان، وحاول زيادة الله مقاومته، وهو برقادة لكنه فشل؛ فجمع أهله، وماله وفر إلى طرابلس، ثم إلى مصر، فمنعه عاملها دخولها إلا بعد موافقة الخليفة العباسي المقتدر، فقصد بغداد، ونزل الرقة

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص114 وما بعدها.ابن خلدون، المصدر السابق، ج4 ص257. ابن الأثير، المصدر السابق، م6، ص 161.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج1، ص116وما بعدها.ابن خلدون، المصدر السابق، ج4 ص259 وما بعدها.

[3] ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ج 1، ص ص 133-134.ابن خلدون،المصدر السابق،ج 4، ص262. ابن الأثير، المصدر السابق، م6، ص ص 414-415.

فآتاه كتاب من الخليفة يأمره بالعودة إلى افريقية، واسترجاعها من الشيعة العبيديين، وأمده بالرجال والأموال، وفي طريق عودته حل بمصر وبها أصابته علة، وسقط شعره، وقيل أنه دس له السم فخرج إلى بيت المقدس، وبه توفي سنة 304هـ/ 916م، فانقرضت به دولة الأغالبة[1] .

2 الدولة الرستمية في المغرب الأوسط(160-296هـ/776-908م):

أ)-**التأسيس:** هي دولة خارجية إباضية، أسسها عبد الرحمن بن رستم(ت 171هـ/787م)[2]، وقبل هذا كان أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري زعيم الإباضية لما تغلب بإفريقية قد أسس إمارته الإباضية بطرابلس سنة 140هـ/757م، وعين عبد الرحمن بن رستم واليا على القيروان لكن الخليفة أبي جعفر المنصور كلف واليه بمصر محمد بن الأشعث لاستعادة افريقية، فاستطاع هذا الأخير أن ينهي الحكم الإباضي بها، وقتل أبي الخطاب[3]، وهو الأمر الذي أدى بعبد الرحمن بن رستم أن يجمع أهله، وما خف من ماله والفرار نحو الغرب؛ فـقصد منطقة سوفجج واستقر بها مؤقتا، وهي من أمنع المناطق الجبلية في المغرب الأوسط ، وكان تحيط به قبائل لماية، ولواتة وهوارة البربرية وهي قبائل لها صلات قوية بالمذهب الإباضي، وبهذا الجبل قصده وجوه الإباضية، وعلماؤها من طرابلس، وجبل نفوسة ، وغيرهما، وقد بلغ عددهم أزيد من ستين عالما [4] ثم انتقل إلى تهودة التي كانت بمثابة القاعدة العسكرية لدعوته، وقد باغته والي افريقية عمر بن حفص فيها؛ فاضطر ابن رستم الانسحاب جنوبا نحو إقليم تيهرت[5].

وفي موضع تاهرت القديمة انعقد مجلس يضم وجوه الإباضية، واتفقوا على مبايعة عبد الرحمن بن رستم إماما لدعوتهم، وحاكما لدولتهم، ورأى ابن رستم بأن يختط عاصمة لدولته؛ فطاف هو وأصحابه في أرجاء إقليم تاهرت؛ فاستحسنوا موضع تاهرت الجديدة التي تبعد على تاهرت القديمة بخمسة أميال[6].

---

[1] ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق،ج1، 134 وما بعدها. ابن خلدون،المصدر السابق،ج4، ص ص263 -264.

[2] فارسي الأصل، هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بن بهرام، وبهرام مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، من فقهاء الاباضية، عرف بالزهد والتواضع له كتاب في التفسير. البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 735. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 306.

[3] لتفاصيل أكثر أنظر ولاية محمد بن الأشعث في: ص ص 32-33 من هذه المطبوعة .

[4] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص86.

[5] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص76.

[6] البكري ، المصدر السابق، ج2، ص 734.

ولقد تم تخطيط مدينة تاهرت الجديدة على النحو الذي اتبع فيه عند تشييد الحواضر الإسلامية الكبرى؛ فقد احتوت على المسجد الجامع، القصور، دور الخاصة، بيوت العامة، الأسواق الحمامات، الفنادق، كما شيد سور يحيط المدينة كما جرت عليه العادة في تأمين المدن[1].

ولقد بقيت تاهرت عاصمة سياسية للرستميين إلى أن سقطت الدولة بيد العبيديين الشيعة سنة 296هـ/ 909م، وتوارث أبناء عبد الرحمن بن رستم الحكم.

ب)-أئمة الدولة (حكامها): يطلق مصطلح **الإمام** على حاكم هذه الدولة، وعلى الرغم من أن الفكر الإباضي لا يحصر الإمامة في أسرة واحدة وهي أسرة الإمام المؤسس، وإنما الشورى في الإختيار إلا أنه حدثت مشكلة في إختيار خليفة عبد الرحمن بن رستم بعد وفاته؛ فقد ترك لهم الشورى في الإختيار بين سبعة من رجال الدولة الرستمية وكان منهم ابنه عبد الوهاب، فبقي الأعيان مدة شهر في حيرة من أمرهم إلى وقع الإختيار في الأخير بين الفقيه مسعود الأندلسي وعبد الوهاب بن رستم، ووقع الإجماع في الأخير على مسعود الأندلسي الذي فر يوم مبايعته زاهدا في الحكم، فلما يئس منه أعيان الدولة الرستمية عينوا عبد الوهاب عبد الرحمن بن رستم [2] ومن هذا الأخير توارث ابناء البيت الرستمي الإمامة حتى لا تقع مشكلة اختيار خليفة الإمام كالتي حدثت بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم، ومما يلي عرض لأئمة الرستميين، ومامميز فترات إمامتهم.

-عبد الرحمن بن رستم(160-171هـ/776-787م): وهو مؤسس الدولة.

-عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(171-211هـ/787-826م): تولى بعد شهر من وفاة والده عبد الرحمن بن رستم، وقد كان فقيها، عالما، شجاعا، ووقعت فتن في عهده استطاع أن يخمدها بدهائه، وسياسيته[3].

-أفلح بن عبد الوهاب(211-240هـ/826-854م): بويع له بعد وفاة والده الذي أوصى بان يخلفه في الإمامة نظرا لما كان يتصف به من شجاعة، ودهاء، وعلم، وقد ساد الهدوء، وازدهرت الدولة في عهده، فاخذ في بناء القصور، فانتشرت حركة التعمير والبناء، فشيد الخاصة قصورهم وضياعهم، حتى اصبحت تشييد القصور ظاهرة خاصة بهذا العهد، ونظرا لشخصية أفلح العلمية فقد ازدهرت الحركة العلمية والثقافية في عهده، فأصبحت حواضر الدولة الرستمية حاضنة للعلماء

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص98.

[2] الباروني النفوسي(سليمان بن عبد الله)، **كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية** ، ق2، ص ص 99-100. محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص109-110.

[3] الباروني، المصدر السابق، ص100 وما بعدها, ويمسيه ابن عذارى عبد الوارث. أنظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص197.

وقبلة ومقصدا لأهل العلم ؛ فبالإضافة إلى الفقه الإباضي، والأدب، والشعر راجت العلوم الأخرى كعلم الطب، والكيمياء، والرياضيات، والفلك، والتنجيم[1].

-**أبوبكر بن أفلح(240-241هـ/854م)**: تولى بعد وفاة أبيه، فقد بايعه أهل نفوسة إحدى أقوى القبائل الإباضية، لأنهم لم يجدوا غيره من البيت الرستمي، فقد قبض على أخيه أبي اليقظان وهو يحج من طرف العباسيين، فسجن ببغداد، على الرغم من أن أبا بكر كان سمحا، جوادا، مولعا بالأدب، والشعر، والتاريخ، إلا أنه لم يكن على مستوى، وحنكة والده أفلح، فقد كان قليل المعرفة بأمور بالسياسة، وشؤون الحكم، ولما أطلق سراح أخيه أبي اليقظان ترك له إدارة الدولة وانشغل هو بالملذات، وربما الحدث الأبرز في عهده هو إقدامه بقتل صهره محمد بن عرفة الذي هاله أنصاره ومكانته لدى العامة، وقد كان لقتله تداعيات خطيرة كادت أن تعصف بالحكم الرستمي لولا حنكة أخيه أبي اليقظان الذي قضى على هذه الثورة، ومهد لإمامته، وفر أبي بكر من تيهرت ناجيا بنفسه[2].

-**أبو اليقظان محمد بن أفلح(241-281هـ/855-894م)**: ذكر فيما سبق الدور الذي قام به في إخماد الثورة التي قامت على إثر مقتل محمد بن عرفة وتفرده بالسلطة في أيام إمامة أخيه أبي بكر، فلما فر هذا الأخير من تيهرت بويع له بالإمامة، وجمع في حكمه بين العمل السياسي والعطاء العلمي ، فقد كان يحكم، ويقضي، ويكاتب العمال والولاة، وفي المجال العلمي كان يدرس ويصنف الكتب، والرسائل في الرد على المعتزلة وغيرهم، وقد عرفت فترة حكمه استقرارا وهدوء حتى طالت مدة إمامته التي بلغت الأربعين سنة[3] .

-**أبو حاتم يوسف بن محمد أبي يقظان(281-294هـ/894-906م)**: تولى بعد وفاة أبيه، كان سمحا، كثير المروءة، واسع الإحسان، استقر له الأمر مدة عام ثم قامت الثورة عليه لابعاده شيخين من غير الإباضية خارج تيهرت؛ فخرج إلى حصن لواتة، وقامت حروب عظيمة بينه وبين أهل تيهرت الذي بايعوا عمه يعقوب بن أفلح الذي حكم مدة أربع سنوات ثم خلعوه سنة 288هـ/

---

[1] الباروني، المصدر السابق، ص166 وما بعدها, ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص197. محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص139.

[2] الباروني، المصدر السابق، ص222 وما بعدها, ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص197. محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص155 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص63.

[3] الباروني، المصدر السابق، ص236 وما بعدها, ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص197. محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص166 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص40.

901م، وقدموا أبا حاتم بن أبي اليقظان فصفا له الجو مدة ستة سنوات حتى قتله غدرا بنو أخيه "اليقظان"[1].

-يقظان بن أبي اليقظان(294-296هـ/906-908م): آخر الأئمة الرستميين بويع بعد مقتل أخيه أبي حاتم يوسف بن محمد، ولم تتجاوز مدة إمامته السنتين، شهدت فيها إنقساما داخليا وغزوا خارجيا؛ فأما الإنقسام الداخلي من خلال سخط الأئمة الإباضية، ومنهم شيوخ نفوسة الذين كانوا يرون بأن يقظان له يد في مؤامرة مقتل أخيه أبي حاتم، وأما الغزو الخارجي تمثل في الخطر العبيدي الشيعي؛ فقد استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يستولي على الزاب، ورقادة سنة 296هـ/ 908م، ثم زحف إلى تيهرت، واستدعى يقظان على بعد أميال من تيهرت، الذي خرج إليه رفقة أهله وأتباعه، فقتلهم كلهم في شوال 296هـ/908م، ودخل تيهرت عاصمة الرستميين، واستباحها ونهبها، وأحرق مكتبة المعصومة التي كانت تحتوي على نفائس الكتب من مختلف العلوم خاصة في الفكر الإباضي، وبهذا سقطت الدولة الرستمية.[2]

3- دولة الأدارسة في المغرب الأقصى(172-375هـ/788-985م):

أ)-نشأة الدولة: تنتسب دولة الأدارسة إلى العلوي السني أحد أحفاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والذي كان يحلم بتنفيذ مشروع إقامة دولة علوية التي لم يستطع تحقيقها أسلافه منذ تحالفهم مع العباسيين ضد الأمويين.

وكان العلويون يرون أحقيتهم في الخلافة بعد سقوط الدولة الأموية، فقامت عدة ثورات علوية ضد استئثار العباسيين بالخلافة، فثار محمد النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن في المدينة المنورة ضد العباسيين أيام الخليفة أبو جعفر المنصور، إلا أن الأخير استطاع أن يقضي على حركته في سنة 145هـ/762م[3].

وبقيت محاولات العلويين لتحقيق هذا المشروع إلى أن حدث وأن فر إدريس بن عبد الله من قبضة العباسيين بعد معركة فخ التي وقعت في سنة 169هـ/786م[4]؛ فقصد مصر، ومنها إلى

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص197. محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص174 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص247.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص197. محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص182 وما بعدها.

[3] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص 552 وما بعدها. محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ص 153.

[4] هي معركة جرت بضواحي مكة بين العلويين والعباسيين، وكان الخليفة الهادي (169-170هـ/785-786م) قد كلف أحد أعوانه للقضاء على حركة العلويين الذين ثاروا بالحجاز، وانتهت هذه المعركة بهزيمة العلوييين حيث قتل قائد العلويين الحسين بن علي بن الحسن، والحسن بن محمد الزكية، وفر اثنان من العلويين وهما يحيى بن عبد الله، وإدريس بن عبد الله، فأما يحيى فقد

المغرب مع مولاه راشد، وكان على بريد مصر واضح مولى صالح بن المنصور؛ فحمله على البريد إلى المغرب؛ ولما سمع هارون الرشيد بأمر واضح قتله وصلبه[1].

ونزل إدريس بحومة بلاد طنجة، ثم إلى وليلي عند إسحاق بن محمد بن عبد الحميد زعيم قبيلة أوربة البربرية الذي رحب به؛ فأجاره، وأكرمه، ثم جمع البربر على القيام بدعوته، فتمت مبايعته في سنة 172هـ/788م، وبمساعدة هذه القبائل جمع جيشا كثيفا وزحف نحو قبائل تامسنا لمحاربة البرغواطيين، ونشر الإسلام بين القبائل البربرية التي كانت لازلت تدين بالنصرانية واليهودية، ففتح شالة، وسائر الحصون المجاورة، ثم عاد راجعا إلى وليلي وكان ذلك في سنة172هـ/789م، وجهز حملة أخرى فأخضع قبائل مديونة، وبهلولة، وغيرهما من القبائل التي كانت متحصنة بالجبال والحصون المنيعة ثم رجع إلى وليلي سنة 173هـ/789م، وأقام شهرا في وليلي ثم استأنف حركته التوسعية؛ فتوجه هذه المرة نحو الشرق محاولا ضم العديد من الأقاليم التي كانت تابعة للدولة العباسية؛ فقصد تلمسان، وفي طريقه استولى على سبتة، وقبل وصوله إلى تلمسان خرج إليه صاحبها محمد بن خرز الذي أعلن مبايعته له، وتبعته في ذلك قبائل مغراوة، وبني يفرن[2].

وفزع الخليفة هارون الرشيد لما حققه إدريس بن عبد الله من إنجاز في تأسيس دولته العلوية في المغرب الأقصى التي عجز أسلافه عن تحقيقه سواء في المشرق أو المغرب، زيادة على توسعاته نحو المغرب الأوسط على حساب الأقاليم التي كانت تابعة للعباسيين حتى أصبح يهدد ولاية الأغالبة في المغرب الأدنى التابعة لهم اسميا؛ فأرسل إليه من حاشيته رجل اسمه سليمان بن جرير الشماخ ليدس له السم، الذي سرعان ما كسب ثقة إدريس بن عبد الله ودخل في خدمته وفي غفلة من حاشية إدريس تحيل على الأخير بعطر مسموم؛ فلما استنشق إدريس ذلك العطر توفي صريعا في ربيع الأول من سنة 175هـ/جويلية 791م، وقام بأمر البربر مولاه راشد، وترك إدريس بن عبد الله جارية بربرية تدعى" كنزة"؛ فولدت له غلاما سمي "إدريس" باسم أبيه، وتولى

قصد طبرستان، وظل متخفيا إلى عصر هارون الرشيد فحشد الاتباع وأعلن خروجه، واستطاع هارون أن يخمد حركته صلحا وأمانا، وأما إدريس فقد أسس دولته بالمغرب. الطبري، المصدر السابق، ج 8، ص 192 وما بعدها. أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت، ص76.

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 198. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 97.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص210. ابن أبي زرع (علي الفاسي)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، دار المنصور، الرباط، 1972، ص 20. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ص 126-127. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 97.

الإمارة بعد أبيه[1]، وأما سليمان بن جرير فقد استطاع الفرار ، وكافئه هارون الرشيد بأن قلده بريد مصر[2].

ب)-الأمراء الأدارسة:

-إدريس الأول بن عبد الله (172-177هـ/788-793م): الأمير المؤسس.

-إدريس الثاني بن إدريس الأول(177-213هـ/793-828م): توفي أبوه، وهو جنين في بطن أمه؛ ولما ولد بايعه القبائل وهو في المهد؛ فقام بأمور الدولة راشد مولى أبيه إدريس الأول، واهتم راشد بتربية إدريس الثاني، وتكوينه، وإعداده للإمارة إلى أن قتل راشد، فكفله شيخ من شيوخ القبائل يعرف بأبي خالد يزيد بن إلياس العبدي؛ فجدد البيعة، ومن معه من القبائل لإدريس الثاني في سنة 188هـ/804م في جامع وليلي[3].

ولما بلغ إدريس الثاني السابعة عشر من عمره أي في سنة 192هـ/808م تمت إعادة مبايعته ليستقل بالحكم، وقد كان عارفا بالحديث الشريف، فقيها، أديبا، شاعرا فصيحا، حازما، جوادا،أحبته الرعية، ووفد إليه المهاجرين خاصة من العرب من تونس، والقيروان، وطرابلس، والأندلس، ويبدوا أنه لم يرتاح لنفوذ قبائل أوربة البربرية، فاتخذ من بعض العرب الوافدين إليه وزراء، وكتاب، ومنهم مثلا عمير بن مصعب الأزدي القادم من الأندلس الذي عينه وزيرا له، وعين عبد الله بن مالك الخزرجي، واستقضى عامر القيسي الذي ورد إليه من الأندلس أيضا[4].

وأراد إدريس الثاني أن يؤسس عاصمته الجديدة لدولته؛ فدله أتباعه على واد يصلح لمدينة على أحد فروع نهر سبو بين جبلين، يسمى وادي فاس؛ فأنشأ فيه بلدة صغيرة سميت "عدوة ربض القرويين" ثم وفدت إليه جماعة مهاجرة من قرطبة، وأنشأوا قرية مجاورة عرفت باسم"عدوة الأندلسيين"، ومن العدوتين تكونت مدينة فاس، وابتنى إدريس في عدوة القرويين دارا للإمارة، وشرع في بناء المسجد الجامع بفاس، ثم انتقل إلى هذه الحاضرة الجديدة؛ وأصبحت عاصمة دولة الأدارسة ابتداء من سنة 192هـ/808م[5].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص210. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 97.ويضيف ابن أبي زرع عدة روايات لأسباب وفاته ومنها تسميمه بالعطر ، ومنها أنه سمم في حوت، ومنها أنه سمم في سنون لأنه كان يعاني من استرخاء لثته، ...الخ. أنظر ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص23-24.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص 199.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص 210-211. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص128.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص25. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 98.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص211. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص29وما بعدها. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص128-129.

ومن أعماله كذلك أنه غزا بلاد المصامدة، ودخل في حرب مع الخوارج الصفرية في جبال الأطلس، ودارت حرب طويلة بينه وبين البرغواطيين، كماغزا قبائل نفزة بالمغرب الأوسط الذين دخلوا في طاعته ثم زار مدينة تلمسان فأصلح سورها وجامعها، وأقام بها ثلاث سنوات ثم عاد إلى فاس، وضرب السكة باسمه، وتوفي بفاس بعد أن أصبحت دولة الأدارسة تمتد من السوس الأقصى إلى وادي شلف، وقد خلف من الأبناء اثني عشر ولد، وسيكون لهم دور في ضعف الدولة، وإنقسامها، وسقوطها[1] .

-محمد بن إدريس الثاني(213-221هـ/828-836م): تولى بعد وفاة أبيه، قام بتقسيم الدولة بين إخوته بناء على نصيحة جدته "كنزة"، وهو الأمر الذي أدى إلى ضعف الدولة وتشتتها فأعطى القاسم طنجة، وسبتة، وماوالاهما، ولعمر بلاد الهبط، ولداوود بلاد هوارة، وتسول، وتازا وما بينهما، ولعبد الله أغمات، وبلد نفيس، وجبال المصامدة، وبلاد لمطة والسوس الأقصى وليحيى أصيلا، والعرائش، وبلاد زواغة، ولعيسى مشالة، وسلا، وآزمور وتامسنا، وبرغواطة،ولأحمد مكناسة، وتادلا، ومابينهما، ولحمزة وليلي وأعمالها، ولابن عمه سليمان تلمسان، واحتفظ محمد بن إدريس لنفسه العاصمة فاس، ورئاسة الدولة، وإدارة هذه الأقاليم وتحصيل جبايتها، ولم يحض إخوته الصغار بأي نصيب من هذا التقسيم[2] .

ولقد أدى تقسيم الدولة إلى ظهور التنازع والتمرد بين الإخوة، فقد خرج على محمد بن إدريس أخوه عيسى الذي استقل بولايته ودعا لنفسه؛ فكلف محمد أخاه عمر للقضاء على حركته، وكان قبل ذلك قد كلف القاسم لكنه امتنع أن يواجه أخاه، فزحف عمر إلى أزمور وطنجة، وإستولى عليهما وأضافهما إلى مملكته بقرار من أخيه محمد بن إدريس، وإعتزل القاسم السياسة والحكم واختار حياة الزهد والتعبد في مسجد بناه قرب أصيلا طيلة حياته، وكلف محمد أخاه عمر بإخماد أي تمرد من إخوته، وضم أقاليمهم إلى ولايته التي اتسعت حتى اصبحت تضم نصف الدولة الشمالي، والغربي كله [3]، ولما توفي محمد بن إدريس ترك الدولة ضعيفة، ممزقة، ومقسمة بين الإخوة.

-علي بن محمد بن إدريس الثاني(221-234هـ/836-848م): يلقب بحيدرة بمعنى الأسد تيمنا بالإمام على بن أبي طالب الذي كان يلقب به، وعهد إليه أبيه الولاية قبل وفاته، وقد تولى

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابـق، ج1، ص211. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 129. خير الدين الزركلي المرجع السابق، ج1، ص 278.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص51 . حسين مؤنس، المرجع السابق، ص130.

[3] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 99.

الحكم، وهو صغير ابن التاسعة من عمره، فحكم تحت وصاية أقاربه ورجال الدولة، وكانت أيامه هدوء وسكون إلى أن توفي شابا، وعهد الأمر إلى أخيه يحيى الأول بن محمد[1].

-يحيى الأول بن محمد بن إدريس الثاني(234-245أو250هـ/848-859/864م): بلغت فاس في عهده أوج إزدهارها، وكان محبا للعمران؛ فنبى بفاس حمامات، وفنادق، وأقبل أهلها على البناء، والأوقاف، وأصبحت فاس مقصدا من جميع النواحي من الأندلس، وافريقية، وسائر بلاد المغرب؛ وضاقت فاس بسكانها؛ فبنيت الأرباض،والضواحي بخارجها، وفي عهده بني بفاس جامع القرويين المشهور على يد سيدة من أهل القيروان تدعى أم البنين، وهي فاطمة بنت محمد الفهري وشرعت في حفر أساس الجامع في سنة 245هـ/859م، ولم يعرف تاريخ وفاة يحيى بن محمد بالضبط[2].

-يحيى الثاني بن يحيى الأول بن محمد بن إدريس: ولي بعد وفاة أبيه، ولم تحسن سيرته وسياسته؛ فقد كان شابا طائشا بمعاقرته للخمر، والتعدي على الحرمات، والإعتداء على النساء فقد دخل على يهودية في أحد الحمامات ؛ فأغضب هذا الفعل أهل فاس؛فثاروا عليه؛ فتوارى عن الأنظار، وفر إلى عدوة الأندلس ريثما تهدأ الثورة، لكنه مات أسفا في مخبئه، ويجهل تاريخ وفاته بالضبط[3].

-علي بن عمر: بعد اختفاء ومقتل يحيى الثاني استولى على فاس عبد الرحمن بن أبي سهل فكتبت عاتكة بنت علي إلى أبيها تعلمه بالأمر(وهو صهر يحيى)، فاستدعى أهل الدولة من العرب، والبربر، والموالي وجمع جيشه، وسار نحو فاس؛ فاستولى عليها؛ وبهذا فقد انقطعت الإمارة عن بيت محمد بن ادريس الثاني ، وأصبحت تتراواح تارة في بيت عمر بن إدريس صاحب الريف، وتارة في بيت القاسم بن إدريس الزاهد[4].

وفي عهد علي بن عمر ثار عليه أحد زعماء الخوارج الصفرية يعرف بعبد الرزاق الصفري من مديونة بناحية فاس، وأصله من وشقة بالأندلس، واستطاع هذا الأخير أن يدخل فاسا ويستولي

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص20. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 130. إبراهيم حركات المرجع السابق، ص 99. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 323.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص20. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص 130-131. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 100. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص ص 163-164.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص211-212. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص20. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص131.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص212.ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص21.الناصري السلاوي المصدر السابق، ص 78.

عليها؛ ففر علي بن عمر إلى قبيلة أوربة، وانقطع خبره، واستطاع عبد الرزاق الصفري أن يستولي على عدوة الأندلسيين، ولكنه لم يملك عدوة القرويين ؛فاستغاث أهل عدوة القرويين بيحيى الثالث بن القاسم، وبايعوه[1] .

-يحيى الثالث بن القاسم بن إدريس (ت292هـ/904م): يلقب بالعدام أو الصرام، قيل بأنه تولى في نحو 265هـ/879م، واستطاع يحيى أن يُخرج عبد الرزاق الصفري من فاس، ثم صرف وقته، وهو يقاتل ويتتبع الخوارج الصفرية إلى أن قتله رجل يدعى الربيع بن سليمان بفاس، وفي عهده ساءت الأحوال الإقتصادية، وانتشرت الأمراض والأوبئة[2].

-يحيى الرابع بن إدريس بن عمر (292-309هـ/904-922م): وهو من أعاظم أمراء دولة الأدارسة، بايعه أهل عدوتي فاس، وامتد سلطانه سائر بلاد المغرب الأقصى، وكان فقيها، عارفا بالحديث، بطلا شجاعا، عادلا، فأحبته الرعية، وفي أيامه استتبب الأمر للعبيديين الشيعة بإفريقية الذين سيطروا على المغرب الأدنى والأوسط؛ وطمعوا في السيطرة على المغرب الأقصى؛ فكلفوا صاحب تيهرت مصالة بن حبوس الكتامي بالقضاء على حكم الأدارسة، ودخل في حروب طويلة مع يحيى بن إدريس انتهت بعجز هذا الأخير من الصمود في وجه قوات العبيديين، فاستسلم وتنازل عن الأمر للعبديين الذين أقروه بأن يحكم مدينة فاس لوحدها بينما عينوا موسى بن أبي عافية المكناسي شيخ مكناسة وهو أحد شيوخ البربر على باقي المغرب، وكان موسى يحقد على يحيى بن إدريس نظرا لمكانته بين العامة، وطمع موسى بن أبي عافية بأن يحل محل الأدارسة فضم فاس إلى إمارته بموافقة مصالة سنة 313هـ/ 925-926م، ثم تتبع باقي الأمراء الأدارسة القائمين بالأمر في بعض نواحي المغرب الأقصى، ونفى الباقين إلى قلعة حجر النسر في جبال الريف، وأما يحيى الرابع فقد قبض عليه مصالة بن حبوس سنة 309هـ/ 922م، فسجنه، وعذبه ثم نفي إلى أصيلة في ريف المغرب؛ فأقام بها، ثم جعل يتنقل بأهله إلى أن توفي بالمهدية سنة 332هـ/943م[3].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 212. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص131. إبراهيم حركات المرجع السابق، ص 100.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 212. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص21. حسين مؤنس المرجع السابق، ص131. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 100. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج8، ص162.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص ص 212-213. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص 79-80. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص ص 21-22. حسين مؤنس المرجع السابق، ص 131. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص100-101. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص137.

لم ينته تاريخ الأدارسة بزوال دولتهم في هذه المرحلة؛ وإنما دخلوا في مرحلة ثانية هي أقل شأن، وعظمة من المرحلة الأولى، فالبيت الأدريسي لم يستسلم للعبيديين؛ فبعد زوال دولتهم بفاس ثاروا لاسترجاع ملك أجدادهم، ونذكر من هذه الثورات على سبيل المثال لا الحصر ثورة حسن بن محمد الحجام(ت 313هـ/925م) الذي ثار سنة 310هـ/922م ضد والي فاس ريحان الكتامي واستطاع حسن أن يملك فاس سنتين، وأن ينفي ريحان، ودانت له لواتة ، وصفرون، ومكناسة واستقام له اظلمر إلى أن زحف إلى للقاء موسى بن أبي العافية، وكانت بينهما حروبا شديدة منها إحدى المعارك التي وقعت بالقرب من فاس قتل فيها من البربر حوالي ألفين قتيل، كما قتل فيها ابن موسى الذي يعرف بمنهال لكن حسن انهزم في هذه المعركة، وكر فارا إلى فاس، ثم تعرض للخيانة، والغدر فقد ثار عليه أهل فاس، واعتقله عامله عليها حامد بن حمدان الأوربي، ودعا موسى إلى فاس فوصلها، وملكها، وأراد موس أن يعدم حسن بن محمد؛ فكرّه عليه حامد هذا الفعل، واختلفت الروايات حول مصير حسن؛ فقيل بأنه قتل مسموما، وقيل بأن حامد ٱلأوربي لما أطلق سراحه أراد الخروج من فاس فتدلى من السور، فسقط، وانكسرت ساقه، فتحامل إلى أن وصل إلى عدوة الأندلسيين؛ فاختفى بها ثلاثة أيام وتوفي بسبب سقطته[1].

وقام موسى بن أبي عافية بنفي الأدارسة من فاس إلى الريف حيث ضيق عليهم الخناق في حجر النسر، وهو حصن عظيم بني سنة 317هـ/929م، ودانت لموسى المغربين الأقصى والأوسط، وأصبح أهل المغرب تارة تابعين للعبيدين بالمغرب، وتارة أخرى للأمويين بالأندلس، وأما الأدارسة، فقد بقي منهم في حجر النسر الذي اتخذوه معقلا لمقاومتهم إلى أن بعث الخليفة الأموي الحكم المستنصر أحد قادته لطرد جميع الأدارسة من هذه القلعة حيث تلاشوا، وانتشروا في شمال المغرب الأقصى[2].

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص 213. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص ص80-81. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 22. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص ص212-213.

[2] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 101وما بعدها.

المحاضرة السادسة: تابع للدول الإقليمية في المغرب والأندلس

4-الدولة الأموية في الأندلس (138-422هـ/756-1031م): ينقسم تاريخ الحكم الأموي بالأندلس إلى عصرين، وهما:الإمارة (138-316هـ/765-929م)، والخلافة (316-422هـ/ 929 -1031م).

أ)- عصر الإمارة الأموية (138-316هـ/765-929م):

أ-1)سقوط الدولة الأموية في المشرق وتتبع العباسيين لبقايا البيت الأموي : بعد أن سقطت الخلافة الأموية بالمشرق سنة 132هـ/750م، وقيام الخلافة العباسية، كانت أولى أعمال الخلفاء العباسيين الأوائل هو تتبع الأمويين للقضاء عليهم، وأول من ابتداء بذلك أول خلفائهم عبد الله السفاح؛ فاختبأ بنو أمية، وتشتتوا في كل مكان، حتى أعطاهم السفاح الأمان ليستدرج من بقي من الأمويين الفارين، فظهر الكثير منهم، وكان مصيرهم القتل، ولم يجب إلى هذه الدعوة كل من الأخوين يحيى بن معاوية بن هشام ، و عبد الرحمن، لكن سرعان ما اكتشف العباسيون مخبأهما فلحقت بهما جنود بني العباس التي ظفرت بيحيى، وقتلته، في حين نجا عبد الرحمن الذي كان في رحلة صيد ، الذي هرب في جوف الليل، وأوصى بأن يُتبع بولده أبي أيوب، وأختيه أم الأصبغ وأمة الرحمن[1] .

أ-2)- فرار عبد الرحمان بن معاوية[2] ودخوله إلى الأندلس: بعد أن عرف مصير أخيه يحيى، فر عبد الرحمن نحو فلسطين حيث انضم إليه مولاه بدر، وغلام أخته سالم أبي شجاع ، ثم توجه نحو المغرب لبعدها عن مركز الخلافة ، وكذلك لأنها موطن أخواله من بني نفزة، وكان والي القيروان آنذاك عبد الرحمن بن حبيب الفهري (حفيد الفاتح عقبة بن نافع) ، وقد استقل عبد الرحمن بن حبيب بعد سقوط الدولة الأموية، لكن هذا الوالي أخذ يتعرّض لبني أمية الوافدين على المغرب خوفا منهم على ملكه، حيث قتل ابني الوليد بن يزيد لما وفدا على إفريقية ، ثم تتبع عبد الرحمن بن معاوية لما وصله خبر دخوله المغرب الأدنى، فما كان من هذا الأخير إلا التوجه نحو المغرب الأقصى فلجأ عند قبيلة مغيلة، وقيل مكناسة، وقيل بقوم من زناتة؛ فأحسنوا إليه، ثم إلتحق بمليلة[3].

---

[1] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ص 50-51.

[2] هو عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الملقب بصقر قريش سماه أبوجعفر المنصور بذلك، وكنيته : أبو المطرف، وأبو زيد، وأبو سليمان، ويعرف بالداخل، ولد في دمشق سنة 113هـ/ 731م، أمه سبية بربرية من نفزة تسمى (راح)، نشأ يتيما (مات أبوه وهو صغير)، فتربى في بيت الخلافة، استطاع أن يؤسس دولته في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بالمشرق على يد العباسيين . ابن الأبار، المصدر السابق ص 28 وما بعدها. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 1، ص 258 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 338.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 41. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص258.

أرسل عبد الرحمن بن معاوية مولاه بدر إلى موالي الأمويين بالأندلس برسالة يدعوهم فيها لنصرته، وعبر بدر المضيق في ذي الحجة سنة136هـ/جوان754م، وقد نجح بدر في كسب تأييد الموالي، واستعدادهم لاستقبال عبد الرحمن بن معاوية، ونصرته؛ ف أرسل زعماء الموالي وفدا إلى عبد الرحمن ومركبا لعبوره إلى الأندلس، فعبر عبد الرحمن المضيق، ونزل على ساحل إلبيرة في جهة المنكب على الساحل الجنوبي الشرقي، وهذا في آخر ربيع الثاني 138هـ/ سبتمبر 755م واستقبله أبو عثمان عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد واصطحبوه إلى قرية طرش، التي أصبحت قاعدة له، ولدعوته، فقد توافد عليه أنصاره من الموالي من اليمنيين وغيرهم لبيعته وتزامنت هذه الأحداث بحملة يوسف الفهري آخر ولاة الأندلس مع عامله الصميّل بن حاتم في سرقسطة لاخماد حركة التمرد التي وقعت بها، وقد أتاه رسول من قرطبة يعلمه بخبر دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، واجتماع الناس عليه من الأمويين، ومواليهم، ولما سمع جيش يوسف الفهري بهذا الخبر حدث انشقاق في صفوفه؛ فقد انسحب الكثير منه، وقصدوا مدنهم، ولم يبق مع جيش يوسف إلا القليل من القيسيين[1].

لما تواردت الأنباء لدى يوسف الفهري حول دخول عبد الرحمن الداخل وحشده للانصار توجه يوسف إلى قرطبة لتدارس الوضع؛ فبدأ بالتفاوض معه تطبيقا لنصيحة الصميل بن حاتم، فأرسل إليه وفدا ليقدم له عرض يوسف الفهري، وينص هذا العرض بان يزوج يوسف الفهري ابنته لعبد الرحمن الداخل، وأن يختار الإقامة في أي موضع يريده إما بين جند دمشق بإلبيرة أو الأردن في رية أو يسكن بينهما كما بعث إليه بكسوة ومال، لكن هذه المفاوضات باءت بالفشل لأن مشروع عبد الرحمن الداخل كان أكبر من هذا وهو إحياء دولة الأمويين بالأندلس، كما أنه حدث خلاف وتصادم بين احد أعضاء الوفد المفاوض وهو خالد بن يزيد مع أبي عثمان عبيد الله أحد الأعوان اليمنيين لعبد الرحمن الداخل أدى هذا التلاسن إلى إلقاء القبض على خالد بن يزيد[2].

معركة المصارّة: بعد فشل محاولة الاتفاق بين الفهري والداخل كان لابد من المواجهة العسكرية بينهما، فقد حشد عبد الرحمن بن معاوية أنصاره من اليمنيين، بينما اختار الكثير من القيسيين الوقوف مع يوسف الفهري، وخرج عبد الرحمن بن معاوية من قاعدته طرش على رأس قواته متوجها نحو قرطبة لمواجهة يوسف الفهري، وكان كلما مر بمدينة إلا وبايعه أهلها، وانضموا إليه فباعه في طريقه أهل كورة رية وعاملها، وشذونة وعاملها، ومورور وعاملها، ومالقة وجندها، ثم برندة، ثم بشريش، ثم بإشبيلية التي خرجوا منها بثلاثة آلاف فارس، ولما وصل جيش ابن معاوية

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 44. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 72-73.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 45. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 76.

إلى مشارف قرطبة خرج إليه يوسف الفهري ومن معه، ولا يفصل بين الجيشين إلا نهر الوادي الكبير، وبقيا ثلاثة أيام متناظرين إلى أن بادر يوسف الفهري بعرض الصلح على الداخل، فتظاهر هذا الأخير بالقبول، الأمر الذي جعله يعبر النهر، نحو الضفة اليمنى، ليكون قريبا من جيش الفهري حيث عسكر بمكان يسمى"المصارة"(Alameda) الذي يقع جنوب غرب قرطبة ، وقد صادف ذلك يوم عرفة الخميس09 ذي الحجة 138هـ/13ماي 756م [1].

وفي اليوم الموالي الجمعة أي في عيد الأضحى دخل الطرفان في معركة ضارية، انتهت بهزيمة قاسية لجيش يوسف الفهري؛ فقد تكبد خسائر فادحة في الأرواح، وفر يوسف الفهري إلى طليطلة، وهرب الصميل بن حاتم إلى جيان، ودخل عبد الرحمن بن معاوية قرطبة معلنا بداية مرحلة جديدة، هي عصر الإمارة الأموية.

أ-3)- الأمراء الأمويون:

-عبد الرحمن بن معاوية الداخل(138-172هـ/756-788م): لما تولى عبد الرحمن بن معاوية تلقب بالأمير، ولم يدع لنفسه بالخلافة حتى لا يشتت كلمة المسلمين، وترك الخطبة لأشهر لأبي جعفر المنصور ثم قطعها عنه، وأعلن إستقلال إمارته عن الخلافة، ومن الألقاب التي اقترنت بعبد الرحمن بن معاوية نجد: الداخل لأنه أول من أبناء خلفاء بني أمية بالمشرق من دخل الأندلس، ولقب بصقر قريش أطلقه عليه أبو جعفر المنصور إعجابا بما أستطاع تحقيقه في الأندلس، كما لقب بالأول تمييزا له من أميرين آخرين لهم نفس الاسم، وهما عبد الرحمن بن الحكم المعروف بعبد الرحمن الثاني أو الأوسط، وعبد الرحمن الناصر الذي يعرف بعبد الرحمن الثالث.

وكان عبد الرحمن الداخل حازما، شجاعا مقداما، كريما سخيا، شاعرا، وعالما، يشبه بالخليفة العباسي المنصور في حزمه وشدته، ولقد بدأ ولايته بتتبع يوسف بن الفهري والصميل بن حاتم ففي سنة 139هـ/757م سار بجيشه إليهم، ولما سمع الفهري بذلك قصد غرناطة، فتتبع ابن معاوية وحاصره إلى أن طلب الفهري الأمان وقبل الداخل ذلك هو والصميل بن حاتم فانصرف بهما إلى قرطبة، وسكن الفهري في المدينة، بينما سكن الصميل الربض، لكن الفهري نقض العهد وهرب سنة 141هـ/759م إلى طليطلة وجمع أنصاره الذين بلغوا زهاء عشرين ألفا من البربر وأعلن عصيانه، فجهز الداخل جيشا بقيادة عامله على اشبيلية عبد الملك بن عمر للقضاء عليه فدخلا في معركة شديدة انتهت بهزيمة يوسف الفهري ومن معه ، ثم فر يوسف الفهري متخفيا إلى أن قتله أحد أتباعه بإحدى قرى طليطلة سنة 143هـ/761م، واحتز رأسه، وقدم إلى عبد الرحمن بن

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص46-47. ابن القوطية، المصدر السابق، ص 50. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 80.

معاوية الذي أمر بنصب رأسه على جسر قرطبة، بينما سجن الصميل بن حاتم، وقيل بأنه قتل خنقا[1].

ومن أهم أعماله الحضارية بناءه الرصافة بقرطبة تشبها بجده هشام بن عبد الملك الذي بنى رصافة الشام، وبنى قصره، والمسجد الجامع بقرطبة، وشيد المساجد بالأندلس.[2]

واستطاع أن يخمد الكثير من الثورات منها ثورة طليطلة سنة 145هـ/762م، بقيادة هشام بن عروة الفهري، وثورة العلاء بن مُغيث اليحصبي بمدينة باجة سنة 146هـ/763م، وثورة إشبيلية بقيادة أبي الصباح بن يحيى اليحصبي سنة 149هـ/766م، وثورة "شقيا بن واحد المكناسي" الذي تسمى بالفاطمي مدعيا أنه من سلالة فاطمة ، بشنت برية (Santaver)، والتي استمرت إلى غاية سنة 160هـ/776م، ثم ثورة عبد الرحمن بن حبيب الفهري(الصقلبي) بتدمير، وكان يدعوا إلى العباسيين، كما أفشل هجوم شارلمان الكارولنجي الذي أغار على الشمال الشرقي (برشلونة، نافار) مستغلا ثورة قامت بسرقسطة، فانهزم جيشه، وقُتل كبار قادته[3].

-هشام بن عبد الرحمن (172-180هـ/788-796م): يكنى بأبي الوليد، ولد بقرطبة سنة 139هـ/757م، ولاه أبوه عبد الرحمن ماردة، بويع بعد وفاة والده، ولقب بهشام الرضى، وهو لقبٌ ناله بفضل حسن سيرته، وبدأ بتحصين ثغوره، وتميز عهده بدخول المذهب المالكي إلى الأندلس الذي عوّض مذهب الأوزاعي، ثم فرض كمذهب رسمي للبلاد، وقد نال فقهاء المالكية حظوة كبيرة عنده، وقد شبهه أهل الأندلس بالخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز، فقد أحبه الناس لعدله، أتم بناء المسجد الجامع بقرطبة الذي لم يكمله أبوه عبد الرحمن بن معاوية الداخل[4].

-الحكم بن هشام: "الحكم الأول الربضي" (180-206هـ/796-822م): تولى بعد وفاة والده هشام، وهو ابن ست وعشرين سنة، لقب بأبي العاص، ولد سنة 154هـ/771م، كان حازما

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص47 وما بعدها. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص259. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص338.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص 154-155. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 259. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص338.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص50 وما بعدها. جوزيف رينو **الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا** ، ترجمة إسماعيل العربي، دار الحداثة، ط 1، 1984، ص105؛ كارل بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1981م، ص87-88.

VIARDOT Louis , **Histoire des Arabes et des Mores d'Espagne**, Pagnerre Editeurs, Paris., p119.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص61 وما بعدها. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 76وما بعدها. ابن القوطية، المصدر السابق، ص62 وما بعدها.

شجاعا، شديدا، أخمد العديد من ثورات، كثورة سرقسطة سنة 181هـ/797م، وثورة طليطلة في نفس السنة، وغيرها، واشتهر بلقب: "**الربضي**" نسبة إلى "الحيّ" الجنوبي لقرطبة (ربض) الذي شهد ثورة عارمة ضد حكمه من طرف الفقهاء والعامة متهمين إياه بالفسوق وشرب الخمر، سنة 202هـ/817م، فما كان منه إلا أن أخمدها بالقوة ، وطرد معظم سكانا هذا الحي (الربض) خارج البلاد، كما أخمد ثورة أخرى قبلها بطليطلة بنفس الطريقة، وكانت أغلبية ساكنيها من المولدين (أبٌ مسلم وأم إسبانية) وهي وقعة الحفرة التي كانت سنة 192هـ/807م، وبسبب كثرة الثورات عليه اشترى 05 آلاف من الصقالبة (العبيد) الذين جعلهم خاصته وسماهم الخُرس لعدم معرفتهم العربية، وعلى الرغم من هذه الحوادث إلا أنه وصف بالصلاح، وحسن السيرة، وقاد الحملات لحماية الثغور فغزا بلاد الإفرنج في جهة طرطوشة، وكان كثير العناية بالأدب، والعلم، خطيبا، شاعرا، توفي بقرطبة وترك البيعة لابنه عبد الرحمن ثم للمغيرة[1].

-عبد الرحمن بن الحكم" المعروف بالأوسط (206-238هـ/822-852م):

كان أشهر الحكام بعد عبد الرحمن الداخل، لقب بالأوسط تمييزا له بين عبد الرحمن الداخل الذي كان قبله أميرا للأندلس، وعبد الرحمن الناصر الذي سيأتي بعده، ولد عبد الرحمن بن الحكم في سنة 176هـ/792م بطليطلة ، يكنى بأبي المطرف [2]، كان أميرا أديبا، شاعرا، حافظا للقرآن الكريم، والحديث الشريف، له إطلاع بعلوم الشريعة، والفلسفة، كان يشبه بالخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في سياسته، وتأنقه، وحبه للعلم[3].

يعد الأمير عبد الرحمن بن الحكم أول من فخم الملك بالأندلس، ونوه بالألقاب، والاستكثار بالوزراء، وفي عهده ساد السلم والرخاء[4]، فقد استطاع ان يخمد العديد من الثورات منها حركة عبد الله البلنسي في تدمير سنة 206هـ/822م، والفتنة القيسية واليمنية سنة 207هـ/823م، وثورات طليطلة كحركة هاشم الضراب [5](207-214هـ/823-829م)، وحركة ابن مهاجر سنة 222هـ/

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص62 وما بعدها. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 113 وما بعدها . ابن القوطية، المصدر السابق، ص64 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص ص 267-268.

[2] الحميدي، المصدر السابق، ق1، ص 10. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص272. نصر الله سعدون، **تاريخ العرب السياسي في الأندلس**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1998، 82.

[3] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص272. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص283.

[4] لسان الدين بن الخطيب، **رقم الحلل في نظم الدول** ، المطبعة العمومية ، تونس، 1898، ص 41. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، 228. عبد العزيز فيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع**، الجزائر، 1982، ص 94.

[5] مسلم من أبناء الأسبان، لقب بالضراب لأنه كان أحد الرهائن الذين أخذهم معه الأمير الحكم من طليطلة إلى قرطبة يعمل كأجيرا في دكاكين الحدادين في قرطبة يضرب المعول؛ فسمي هكذا، وعاد إلى طليلطة؛ فجمع أهل الفساد، والأشرار، وحشد منهم حشدا

837م، وثورة ماردة بين سنتي(214-225هـ/829-840م)، وثورة حبيب البرنسي في سنة236هـ /852م بالجزيرة الخضراء، كما سير جيشا لإخضاع أهل جزيرة ميورقة بعد تمردهم سنة 234هـ/ 850م[1].

وفي عهد عبد الرحمن بن الحكم حدثت فتنة عرفت في الأدبيات التاريخية **بفتنة النصارى** بدأت سنة 235هـ/850-851م من طرف نصارى قرطبة(المستعربين) حيث كانوا يخرجون أمام الناس يسبوا الله والرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن زعماء هذه الحركة نذكرمنهم الراهب "أولوخيو" (Eulogio)، و"برفكتو"(Perfecto)، و"فلورا"(Flora) وغيرهم ولقد حاول الأمير عبد الرحمن إخماد هذه الفتنة بإعدام من جاهر منهم بسب الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم تقتصر هذه الرجال بل شملت النساء النصرانيات كذلك حيث كانت منهن فتاة تدعى فلورا (Flora)[2]، وفي آخر سنة من حكم عبد الرحمن بن الحكم تم اعتقال الراهب أولوخيو وأتباعه، لكن أنصارهم من المتطرفين أقتحموا مسجد قرطبة وأخذوا يسبون في الإسلام فيه فقبضوا عليهم وحكم عليهم بالإعدام ، لكن الحركة لم تخمد إلا في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان الذي طبق على زعيمها حكم الإعدام سنة 245هـ/859م[3].

وأما على المستوى الخارجي فقد أرسل عدة حملات عسكرية ضد ألبة(Alava)[4] والقلاع(Los Castillos)[5]، وليون سنة 208هـ/823م[6]، وإلى برشلونة في سنتي 209هـ/824م

كبيرا تمكن بواسطتهم من الإغارة على العرب والبربر بضواحي طليطلة. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص83. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص281. السيد عبد العزيز سالم المرجع السابق، ص230.

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص ص 207-208. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 2، ص ص 81- 82، 85. لسان الدين بن الخطيب، **أعمال الأعلام**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، بيروت، 1956، ص 90. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 279. عبد المجيد نعني، **الإسلام في طليطلة**، دار النهضة العربية، بيروت، ص36. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص231.

[2] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 356. عبد الرؤوف عصام الدين، المرجع السابق، ص 101. وفلورا هي فتاة من طبقة المولدين من أب مسلم وأم مسيحية، اعتنقت المسيحية، وانضمت إلى طائفة أولوخيو إنتهى أمرها بالإعدام سنة 237هـ/852م. محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين** "أطروحة دكتوراه في التاريخ الاسلامي" ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي2002-2003م (نسخة الحاسوب).

[3] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 244 وما بعدها.

Cunat (D.) ,**AL-Andalus** , éd , Espanola , Madrid , 1991,p.58.

[4] تقع غرب قرطبة، لها سور منيع. المقري التلسماني، المصدر السابق، ج2، ص344.

[5] يعتقد بأنها موضع قشتالة بالثغر الأعلى. نفسه، ج1، ص 125.

[6] ابن حيان القرطبي، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس** ، القطعة التي حققها: عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة بيروت، 1965، ص77. ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 206.

و224هـ/840م[1]، وضد جيليقية [2] سنة 223هـ/838م[3]، وجهز سنة 227هـ/842م حملته إلى أربونة[4]، وشرطانية[5].

وفي عهده عرفت الأندلس لأول غارة من طرف النورمان(Normands)أو ما يعرفون بالفايكينغ (سكان الدول الإسكندينافية)، وتسميهم المصادر الإسلامية"المجوس" أو"الأردمانيون" الذين هاجموا الأندلس سنة 229هـ/843م عن طريق أشبونة في غرب الأندلس ثم عبروا نهر الوادي الكبير؛ فأغاروا على إشبيلية، ولما هموا بغزو قرطبة عبر نفس النهر تصدى لهم عبد الرحمن الأوسط ، وانهزموا، وعادوا أدراجهم، وخلفت هذه الإغارة العديد من النتائج الإيجابية لصالح الأندلسيين، ومنها على سبيل المثال لا الحصر إعادة تحصين المدن خاصة منها الساحلية، وتشجيع حركة بناء الأربطة، وميلاد البحرية الأندلسية التي سيكون لها شأن كبير في العصور القادمة خاصة في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، وظهور أول سفارة دبلوماسية بين أمير أندلسي(عبد الرحمن بن الحكم)، وملك الدانمارك(Horic)حاكم إحدى ممالك النورمان) آنذاك[6].

وعرف عصر عبد الرحمن بن الحكم الأوسط إنجازات حضارية معتبرة فقد شيد القصور والمتنزهات[7]، كما اهتم بإصلاح النظام الإداري للدولة الأموية بالأندلس من خلال إستحداث خطة جديدة وهي الوزارة، وجعل لكل مهام وزارة؛ فجعل لحساب المال وزيرا، وللترسيل وزيرا، وفي المظالم وزيرا، ورتب دخولهم إلى القصر، وإجتماعهم، كما جعل هذه المناصب عند بيوت معينة

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 284. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 1، ص 272. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص240. جوزيف رينو، المرجع السابق، ص134.

[2] من ممالك النصارى في شمال غرب الأندلس، وهي من بنيان الروم، متقنة البناء والأسوار. البكري، المصدر السابق، ج 2، ص912.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 85. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 239-240.

[4] بلد في طرف االثغر. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 140.

[5] وتسمى شرتة أيضا مدينة حسنة البقعة، كثيرة الخصب. الإدريسي، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس(مقتبس من نزهة المشتاق)**، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 288.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 2، ص 87 وما بعدها. ابن القوطية، المصدر السابق، 79وما بعدها. ابن حيان القرطبي، **المقتبس**، تحقيق وتقديم: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973، ص 1 وما بعدها. ابن دحية، **المطرب من أشعار أهل المغرب** ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار العلم للجميع، 1955 ص 139. أحمد مختار العبادي، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة، ص 262. الصوفي خالد **تاريخ العرب في الأندلس** ، منشورات الجامعة الليبية، ص185وما بعدها. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 231. إبراهيم بيضون، **الدولة العربية في إسبانيا** ، دار النهضة العربية، ط 3، بيروت، 1986، ص 247. وللتفصيل أكثر حول غارات النورمان على الأندلس ينظر إلى رسالتي في الماجيستير: ميلود بن حاج، **الصراع الإسلامي النورماني في عهد عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/822-854م)**، " رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط"، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي 1428-1429/2007-2008.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 283.

كبني شهيد مثلا، وجعل على هؤلاء الوزراء رئيسا هو الحاجب الذي يتصل بالخليفة مباشرة ، كما اتخذ للوزراء قصرا خاصا بهم، يجتمع بهم متى أراد، ويعد عبد الرحمن الأوسط الأول من أمراء الأندلس من ميز ولاية السوق كولاية مستقلة عن أحكام الشرطة، وهي التي تسمى ولاية المدينة وأمر بالأجرة على من يتولاها بثلاثين دينارا في الشهر، ولوالي المدينة مائة دينار[1].

وفي المجال الإقتصادي فقد أمر بضرب السكة، واتخذ عملة خاصة بالأندلس؛ حيث يعد عبد الرحمن الأوسط أو أمير يحدث دارا خاصة بالسكة بقرطبة، وضرب النقود باسمه، و جعل لصاحب السكة معاونين وسما ه "ديوان النقد "، وجعل لخزينة الدولة ديوان خاص سماه "ديوان الخزانة"، وأنشأ دارا للصناعة بإشبيلية لصناعة السفن[2].

وأما في المجال الثقافي، والعلمي فقد عرفت الأندلس تلك النقلة النوعية الحضارية من المؤثرات الحجازية والشامية القائمة على البداوة– التي انتهجها آباؤه وأجداده الأمراء من قبله–إلى التطلع للحضارة التي عرفها العراق في ذلك الوقت، فقد عمل على الإستفادة من النشاط الحضاري الثقافي الذي عرفته بغداد ؛ فقام بتشجيع مثقفي وعلماء العاصمة العباسية وإرغابهم في الهجرة إلى الأندلس للمساهمة في إزدهار الحركة الثقافية، وهذا بإغرائهم بالمال؛ فدخل الأندلس نفائس الكتب في مختلف العلوم والفنون، زيادة على الآثار والتحف الثمينة خاصة بعد فتنة الأمين والمأمون [3] كعقد الشفاء، وأعلاق زبيدة بنت جعفر، كما بعث إلى العراق من يلتمس له الكتب القديمة النادرة وكان من بينها كتاب السندهند [4]، ولم يقتصر تقليده للخلفاء العباسيين في مظهرهم وملبسهم بل حتى أنه أخذ منهم فكرة الإحتجاب عن الرعية ليضفي على ملكه نوع من الهيبة والرهبة[5].

واشتهر بشغفه بكتب المنطق ، والفلسفة، وحب الغناء، الأمر الذي جعله يشتري الجواري المغنيات من المدينة المنورة كالجاريات المشهورات: فضل، وعلم ، وقلم ، وخصص لهن قصر عرف بـ" قصر المدنيات"، وحل في بلاطه الموسيقي، والمغني علي بن نافع المعروف بـ:

---

[1] ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص 46. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص ص 358–359.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 91. ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص 46. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 227.

[3] حدثت هذه الفتنة بين (95–98هـ/713–716م) انتهت بمقتل الأمين بخراسان، واستقل المأمون بالخلافة. جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: إبراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربي، ط 4، بيروت، 2003، ص 230 وما بعدها.

[4] هو من أقدم الكتب التي ترجمت من الهندية إلى العربية، وقد تعلم منه العرب الحساب، والأعداد الهندية المعروفة. ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص45.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 2، ص 91. السيد محمود، **تاريخ العرب في بلاد الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002، ص34. عبد الرؤوف عصام الدين الفقي، المرجع السابق، ص89.

"زرياب"[1]، الذي أحدث ثورة إجتماعية ارستقراطية في الأندلس، فقد أسس مدرسة للغناء والموسيقى ونقل إلى الأندلسيين طرق اللباس بحسب الفصول الأربعة، وكيفيات تصفيف الشعر، وطرق الزينة والطبخ، وآداب المجالسة، والمحادثة حتى لقب ببترون(Petrone) العربي[2]، وفسح عبد الرحمن الأوسط المجال للفقهاء المالكية؛ فكان الفقيه يحيى بن يحيى الليثي (ت234هـ/848م) من أبرز المقربين له؛ فقد كان عبد الرحمن الأوسط لا يولي أحدهم إلا برأيه فكان يعين القضاة، والوزراء ويعزلهم متى شاء، لهذا عرف عصره بكثرة القضاة والوزراء[3].

وفي المجال العمراني فقد شيد العديد من الإنجازات، ومنها تشييده للمسجد الجامع بجيان سنة 210هـ/825م، والمسجد الجامع بإشبيلية المعروف بمسجد بن عدبس على إسم القاضي عمر بن عدبس(ت 214هـ/829م) الذي أشرف على بنائه، وأما المسجد الجامع بقرطبة فقد زاد فيه زيادة كبيرة من ناحية المحراب جنوبا، كما عرف عهده حركة بناء المدن فهو الذي بنى مدينة مرسية(Murcia) سنة 210هـ/825م[4]، وجلب الماء العذب إلى قرطبة؛ فقد أقام الأمير عبد الرحمن الأوسط على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير [5] سنة212هـ/827م طريقا ساحليا عرف بالرصيف، وجعل لقصره مصنعا فتحه للعامة يستقون منه[6].

مما سبق ذكره في الحديث عن عصر الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) يتضح جليا بأن فترة حكمه كان فعلا عصر التميز الحضاري في مختلف المجالات السياسية،والإقتصادية

---

[1] زرياب: كلمة فارسية تطلق على طائر أسود حسن التغريد(الصوت)، وهذه الصفات قيل بأنها انطبقت على الحسن بن علي؛ فقد كان أسود اللون، وفصيح اللسان، وادعى زرياب بأن الجن هي التي تعلمه الأصوات والموسيقى. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص3، ص384. ليفي بروفنسال.أ، **الحضارة العربية في إسبانيا**، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985، ص 341.

[2] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 62. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 3، ص384.السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص233. أحمد الحنفي محمود، **زرياب(أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس)** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص 107. وبترون هو كاتب لاتيني تميز بأناقته ألف كتاب (Sataricon) الذي يعد وثيقة دقيقة لدراسة العادات الرومانية في القرن الأول الميلادي، اشتهرت كتاباته بالسخرية، اشترك في مؤامرة فاشلة؛ فانتحر بقطع شرايينه سنة 66م. ليفي بروفنسال.أ، المرجع السابق، ص69.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 80.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 5، ص213. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 2، ص82، 85. ابن القوطية المصدر السابق، ص50. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 383. ابن سعيد، المصدر السابق، ج 1 ص 48. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج8، ص24. أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص 362. عبد الرؤوف عصام الدين الفقي، المرجع السابق، ص 104. كولان.ج.س، **الأندلس**، دار الكتاب اللبناني، ط1 بيروت، 1980، ص ص 156 -157.

[5] نهر عظيم، قريب في العظم من نهر دجلة بالعراق،أو النيل بمصر، تسير فيه المراكب الكبيرة. ياقوت الحموي المصدر السابق، ج1، ص 195.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 203. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ج1، ص125. والمصنع يقصد به الحوض الذي يجتمع فيه ماء المطر. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص272. ابن خلدون المصدر السابق، ج4، ص283.

والثقافية، والعلمية، والعمرانية حتى لقب بذروة عصر الإمارة الأموية، وقبل ثلاث سنوات من وفاة عبد الرحمن بن الحكم احتجب لعلة أضعفت قواه، فتوفي بقرطبة[1] .

-محمد بن عبد الرحمن (238-273هـ/852-886م): يكنى بأبي عبد الله، ولد بقرطبة سنة 207هـ/822م، بعد وفاة والده اجتمع الصقالبة الذين تمتعوا بنفوذ كبير آنذاك، وأضفى اجتماعهم إلى إختيار محمد بدل أخيه عبد الله؛ فاستدعى حبيب الصقلبي محمدا إلى القصر؛ فأُعلم بوفاة والده، واختياره لخلافته؛ فتمت مبايعته يوم4 ربيع الآخر 238هـ/23 أكتوبر 852م، وكان أديبا بليغا بصيرا بالحساب، عاقلا، عادلا، كاظما للغيظ، متأني في أحكامه، فسحنت سيرته مع الرعية والموالي، والأجناد، وقبل توليه الإمارة كان قد تولى العديد من المهام منها إدارته لكورة سرقسطة كما قاد حملة عسكرية ضد البشكنس؛ وجمع من صفات القيادة ما تؤهله إلى منصب الأمير كالذكاء والفطنة، والقوة، والحزم[2].

قام الأمير محمد بالعديد من الحملات لفتح بعض المعاقل والحصون في الثغور؛ فقد كلف في بداية ولايته عامله على طليطلة موسى بن موسى بغزو ألبة والقلاع، كما بعث بعض فرقه العسكرية إلى نواحي برشلونة وما وراءها ففتحوا حصونا من برشلونة[3].

وعرف عصر الأمير محمد العديد من الثورات؛ منها ثورات المولدين في العديد من المناطق منها معقلهم الأساسي في مدينة طليطلة؛ فقد رفضوا مبايعته، وأسروا عامل طليطلة وسجنوه ثم قايضوه برهائن لهم في سجن قرطبة، وعلى الرغم من ذلك إلا أن ثورتهم لم تهدأ؛ فقد هاجموا قلعة رباح سنة 239هـ/853م وعاثوا فيها خرابا وفسادا، وقتلوا الكثير من سكانها؛ فكلف الأمير محمد أخاه الحكم على رأس حملة عسكرية، والذي استطاع أن يستعيد قلعة رباح، وإعادة تعميرها وتحصينها[4].

ويبدو أن أهل طليطلة أعلنوا العصيان منذ توليه الإمارة فلم تثنيهم الحملات التي أرسلها الأمير محمد إلى ان خرج الأمير إليهم بنفسه على رأس جيش إلى طليطلة في سنة 240هـ/

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص228. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 305.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 2، ص ص 93-94. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 136. ابن القوطية، المصدر السابق، ص86. ابن الأبار، المصدر السابق، ص 74. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 235.

[3] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص ص 274-275.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص94.

854م، ولما علموا بزحفه نحوهم أرسلوا إلى ملك جيليقية والبشكنس [1] يستنجدون به؛ فبعث إليهم جيشا من النصارى، وقد علم الأمير محمد بهذا الأمر، فأوقع بهم في كمين نصب لهم على وادي سليط حتى بلغ عدد قتلى النصارى وأهل طليطلة عشرين ألفا[2].

والملاحظ أن هذه الثورات التي ظهرت في طليطلة كان يتزعمها المولدون، مما ولد عنها ثورات للمولدين في مناطق أخرى، فظهرت حركة تزعمها عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وهو من مولدي مدينة ماردة، وحليفه سعدون السرنباقي في ماردة، ولم يستطع الأمير محمد أن يخمدها إلا بعد تقديم تنازلات بتعيين عبد الرحمن الجليقي على بطليوس، والمنطقة المحيطة بها[3].

ولكن أخطر ثورة قام بها المولدون في هذا العصر هي التي قام بها عمر بن حفصون(ت 305هـ /918م)[4] التي استمرت لسبعة وثلاثين سنة أي ظهرت في عهد الأمير محمد، واستمرت طيلة عهد الأمير المنذر، والأمير عبد الله إلى أن قضى عليها عبد الرحمن الناصر لدين الله.

ثار عمر بن حفصون على الأمير محمد سنة 270هـ/884م؛ واعتصم بحصن ببشتر أحد حصون ريّة، واتخذه قاعدة لشن الغارات على المناطق المجاورة، ولم يستطع عامل رية ان يضع حدا لاعماله التخريبية؛ فعزله الامير محمد وعين مكانه عبد العزيز بن عباس، ودعمه بقوات كثيفة، واستطاع هذا الوالي الجديد ان يجبر عمر بن حفصون إلى التراجع ، والاكتفاء بالتحصن في قلعته إلى أن أجبره إلى عقد هدنة، وهو الأمر الذي رفضه الأمير محمد ، فعزل عبد العزيز بن عباس، وكلف وزيره هاشم بن عبد العزيز للقضاء على ثورة ابن حفصون؛ فخرج على رأس جيش من قرطبة في عام 270هـ/883م متوجها إلى قلعة ببشتر وضرب عليها أدى إلى إستسلام عمر بن حفص وأتباعه، فحملهم الوزير هاشم إلى قرطبة[5].

---

[1] تقع أقصى شمال شبه الجزيرة الإيبيرية وعلى جنوب مملكة الفرنجة. وللبشكنس اسم آخر في المراجع التاريخية كمملكة أشتوريس . أنظر: ألب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**،ط1، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، فاس، 1936، ص55. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 236.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص94-95. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص275. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 167.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص100وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص167-168.

[4] هو عمر بن حفص أو حفصون بن عمر بن جعفر بن شتيم بن دميان بن فرغلوش بن إذفونش، نشأ مسلما، وأول من أسلم من أجداده هو جعفر بن شتيم، وأجداده ما قبل جعفر هذا هم من أصل إسباني مسيحي. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب، ص349. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص 45.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص104-105. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 168.

ولما حل ابن حفصون بقرطبة أكرمه الأمير محمد، ورحب به، بل الأكثر من ذلكل فقد عينه بمهام في الجيش وشارك مع حملة قادها الوزير هاشم بن عبد العزيز سنة 271هـ/ 884م ضد ألبة، وحصار بنبلونة[1].

ولكن عمر بن حفصون لم يطل به المقام تحت وصاية الأمير محمد؛ فهرب من قرطبة، بسبب إساءة الوزير هاشم بن عبد العزيز له ولأتباعه؛ فعاد إلى ببشتر، وأعلن عصيانه مرة أخرى سنة 271هـ/884م، فطرد عامل تلك الجهة، وانضم إليه أنصاره، وأستطاع أن يؤسس شبه إمارة مستقلة؛ فقد استولى على حصن أوطة، ومحياش، وقمارش، وأرشذونة حتى دانت له كامل كورة رية، كما بسط نفوذه على الجزيرة الخضراء، وإلبيرة، وهو الأمر الذي أدى بالأمير محمد تكليف ابنه المنذر، يرافقه قائده محمد بن جهور للقضاء عليه، فتوجه إليه سنة 273هـ/886م، وضرب عليه حصارا شديدا استمر لشهرين وكاد أن يأتي هذا الحصار أكله باستسلام عمر بن حفص لكن وصل للمنذر خبر وفاة والده الأمير محمد في يوم 28 صفر 273هـ/ 4 أوت 886م مما جعله يرفع الحصار، والعودة إلى قرطبة؛ فهو ولي العهد بعد أبيه، وهكذا تأجل الحسم في القضاء على حركة عمر بن حفصون إلى ما بعد[2] .

وفي عهد الأمير محمد تجددت غارات النورمان على الأندلس؛ فقد هاجموا سواحل الأندلس بداية من عام 245هـ/859م في أسطول مكون من إثنين وستين مركبا، لكنهم وجدوا المسلمين قد أعدوا العدة من مراكب، وحراسة الشواطئ والمراسي؛ ودخلوا في مناوشات معهم انتهت بحجز المسلمين مركبين من مراكب النورمان في نواحي سواحل باجة، واغتنموا ما فيها من ذهب،وفضة وسبي؛ فاضطر النورمان النزوح نحو الجنوب أي إلى مصب نهر إشبيلية؛ ووصلوا إلى الجزيرة الخضراء؛ فهاجموا المدينة، وأحرقوا مسجدها الجامع ثم واصلوا سيرهم نحو مرسية ثم أُريولة التي أغاروا عليها، وفي طريق عودتهم بعد الإغارة على سواحل الإفرنج حاولوا الإغارة مرة ثانية في أربعين مركبا؛ فصدتهم قوات الأمير محمد، وغنم المسلمون بمركبين بريف شذونة محملة بالأموال والكنوز، ومضت مراكب النورمان، ثم تجددت محاولاتهم في الإغارة بعد عامين إلا انهم وجدوا سواحل الأندلس محصنة أكثر من ذي قبل؛ ليتخفي الخطر النورماني على الأندلس في هذا العصر[3].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص105. ابن القوطية، المصدر السابق، ص ص 103-104.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص106. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 242-243.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص 96-97. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 168.

وبالعودة إلى الحديث عن مكارم الأمير محمد؛ فسجلت له كتب التاريخ العديد من المواقف المشرفة تبرهن على حبه لأهل العلم، وعدله، وكرمه، وحكمته، ومنها موقفه من ذلك السجال الذي وقع بين فقهاء المالكية، والفقيه الشافعي بقي بن مخلد (ت276هـ/889م) الذي انتصر له الأمير محمد بن عبد الرحمن في وجه فقهاء المالكية لما تحالفوا ضده للحد من نشر علمه القائم على المذهب الشافعي، وعاتبوه على ما أدخله إلى الأندلس من كتب الاختـلاف وغرائب الحديث، فقد أيده الأمير محمد، وسمح له بنشر علمه، فتتلمذ على يده العديد من طلبة العلم في دراسة المذهب الشافعي، وكان من بينهم على سبيل المثال صديقه هارون بن النصر القرطبي(ت 302هـ/914-915م)، وأسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد (ت319/934م)وغيرهما[1].

ويحسب له موقفا آخرا؛ فقد فر أحد رجال العلم خوفا من بطش وإنتقام أحد عمال الكور فقصد عامل قرطبة، فكتب هذا الأخير إلى الأمير محمد يذكره بأن هذا العالم قد أفسد الأمر على الوالي فلان، واستأذنه بسجنه، فقال الأمير محمد: " لا والله، ما أحبس رجلا من أهل العلم والرواية فر من جور ظالم مشهور بالظلم، ولو كان فيه خير ما فر مثله عنه. فأمر الأمير محمد بالكتاب إلى ذلك العامل يوبخه بما فعله، واضطره إليه"[2] .

-**المنذر بن محمد (273-275هـ/886-888م):** يكنى بأبي الحكم، ولد بقرطبة سنة 229هـ/ 843م، كان قائد الجيوش في أيام أبيه، توفي أبوه وهو غازيا لكورة رية على حصن الحامة، للقضاء على حركة عمر بن حفصون، فبويع له بعد وفاة والده عرف عنه أنه كان جوادا يصل الشعراء ويحب الأدب، وفي عامه الأول فرق العطاء في الجند وتحبب إلى أهل قرطبة، وأسقط العشر عن الرعية[3] .

ولم تدم فترة حكم الأمير المنذر أكثر من سنتين ونصف الشهر، وعلى الرغم من قصرها؛ فقد قام ببعض الأعمال منها على سبيل المثال عزل وزير أبيه هاشم بن عبد العزيز، الذي أساء السيرة في أيام أبيه، وسار بجيوشه إلى حصن ببشتر للقضاء على عمر بن حفصون، واستطاع أن يستعيد جميع الحصون التي خضعت لابن حفصون مثل رية، ومالقة، ولم يبق إلا حصن ببشتر الذي تحصن فيه عمر بن حفص، ولما اشتد عليه الحصار طلب ابن حفصون الصلح فأجابه

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق،ق 1، ص ص 92-93. خوليان ريبرا، **التربية الإسلامية في الأندلسية أصو لها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994، ص ص25،27. أنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية، ص 433 وما بعدها .

[2] ابن القوطية، المصدر السابق، ص99.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 2، ص114.مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 132. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص 294.

المنذر، وأفرج عنه، ثم نكث، ورجع مرتين؛ فغضب المنذر من استهتار عمر بن حفصون بشخصه، فجدد الحصار، وشدد الخناق عليه، لكن في هذا الحصار الأخير تدهورت صحة الأمير المنذر بشكل مفاجئ؛ فطلب من أخيه عبد الله أن يحضر إليه ليسلم له قيادة الجيش وتوفي في اليوم الذي وصل فيه أخوه عبد الله، ولقد اختلف المؤرخون في تحديد أسباب وفاة الأمير فهناك من يقول بانه أصيب بالمرض، وقيل بأنه تعرض لمؤامرة، وخيانة من أحد خدمه يدعى " ميسور" سمه في قطن جراحه، وفيه رواية تقول بأن المؤامرة كانت مدبرة من أخيه عبد الله ليتولى العرش من بعده، وهكذا انتهت فترة حكم المنذر بن محمد التي لم تتجاوز العامين بكثير لتصبح أقصر العهود الأموية في الأندلس[1].

-عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م): وهو آخر الأمراء، بويع له في قرطبة يوم وفاة أخيه المنذر يكنى بأبي محمد، ولد في سنة 229هـ/843م، تمتع بالعديد من الصفات الحسنة فقد كان حافظا للقرآن الكريم، أديبا، شاعرا، بليغا، بصيرا باللغة والغريب، عالما بالتاريخ، ورعا، متواضعا، محبا للخير، كثير العناية بشؤون الحكم، مقتصدا، كارها للسرف، كثير الصدقات، مهتم بنشرالعدل، ورفع الظلم، فقد كان ينظر المظالم بنفسه، ومن أجل ذلك ابتنى ساباط في قرطبة بين القصر والمسجد الجامع فكان يقعد فيه قبل صلاة الجمعة وبعدها؛ فيرفع الحجاب، ويأذن لكل متظلم، وكانت له أيام يجلس على أبواب قصره للنظر في الشكايات، وخصص بابا يضع فيه أصحاب المظالم كتبهم وعرائضهم وعلى الرغم من هذه الفضائل التي تحلى بها الأمير عبد الله إلا أن فترة حكمه اشتهرت بكثرة الثورات حتى قل الخراج الوارد إلى قرطبة من المناطق المتمردة[2].

ومنها مثلا استمرار تمرد عمر بن حفصون عن السلطة المركزية بقرطبة؛ فبعد أن أرسل الأمير عبد الله عامله إبراهيم بن خمير لأخذ بيعة ابن حفصون؛ اظهر هذا الأخير حسن نيته لمبايعه الأمير عبد الله فأرسل إليه ابنه حفص، وجماعة من أصحابه؛ فأخذت عليهم البيعة، وأكرمهم الأمير عبد الله، وتظاهر ابن حفصون بالطاعة إلى أن أعلن فجأة بعصيانه فقام بعمليات الغزو، والسطو، والسلب، والنهب في حق أصحاب الأموال في الكور القريبة من حصنه، فخرج الأمير عبد الله على رأس حملة سنة 276هـ/889م للقضاء على حركته إلى بربشتر وحصون كورة رية فأصلح ما أفسده ابن حفصون ثم عين على هذه الكورة عامله محمد بن ذنين، وقفل

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 169. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 276. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 260-261.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق، ص 75. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص 120، 152 ،153. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 170. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 1، ص 276. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 4، ص 119. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 297.

راجعا إلى قرطبة، لكن ابن حفصون خرج وجماعته من المفسدين على أثره فغزو استجة، واحتلوها واحتلوا حصن إِسْتَبَةَّ ؛ فأخرج إليهم الأمير عبد الله جيشا استطاع أن يضع حد لابن حفصون الذي طلب الآمان؛ فاستجابه الأمير عبد الله[1].

لكن ابن حفصون لم يلبث أن نقض العهد، وقصد بيانة فقام بعمليات لصوصية من سلب ونهب وقتل، وسبي ، ثم قصد جيان التي تمرد بها صاحبها ابن شاكر، فقتله ابن حفصون، وأرسل رأسه إلى الأمير عبد الله، ولقد فرض ابن حفصون على أهل جيان الضرائب والمغارم [2]، ولم يستطع الأمير عبد الله القضاء على عمر بن حفصون فامتد أذاه إلى كل نواحي جنوب الأندلس، وخاف العرب على أنفسهم فتصدوا لحربه، فظهر في غرناطة بعض الزعماء كسوار بن حمدون القيسي المحاربي، وسعيد بن جودي ، ومحمد بن أضحى الهمداني، وثارت عرب اشبيلية سنة 280هـ/ 894م بزعامة كريب بن خلدون، وإبراهيم بن حجاج ، ولم يبق في طاعة الأمير عبد الله إلا قرطبة وضواحيها[3].

ومن حسن حظ الإمارة بروز في هذه الفترة شخصية حربية فذة تمثلت في " أبو العباس أحمد بن أبي عبده" رفقة ابن أخيه " عبيد الله محمد بن أبي عبده" الذي استطاع بفضلهما الأمير عبد الله بأن يضعف شوكة المتمرد عمر بن حفصون في المعركة الفاصلة التي جرت في 02 صفر 278هـ/ 16ماي 891م، فقد استولى أبو العباس أحمد على حصن " بلى" وهو من أحصن معاقل ابن حفصون قرب مدينة نبرة، وعلى الرغم من أن هذه المعركة لم تقض على ابن حفصون نهائيا إلا أنها تعد بداية نهايته؛ فقد طارده جيش الإمارة إلى أن تحصن بقلعته ببشتر، ونظرا لتعدد الثورات في أرجاء الإمارة فإنه لم تحسم نهايته إلا بعد وفاة الأمير عبد الله 300هـ/912م[4].

ومن الثورات الأخرى التي رأت عجز الدولة في القضاء على ابن حفصون وسببا في التمرد عليها نذكر غير الثورات السالفة الذكر على سبيل المثال:

-**ثورات المولدين:** كثورة سعيد بن مستنة في باغة بإقليم إلبيرة، وثورة خير بن شاكر في كورة جيان الذي قتله عمر بن حفصون -كما ذكرنا سابقا- خداعا للأمير عبد الله وخشية أن ينافسه في الزعامة، وثورة عبيد الله بن أمية بن الشالية في جبل شمنتان بكورة جيان، والتي أخمدها الأمير عبد الله، واستطاع بأن يلزم أصحابها بدفع الجزية، وثورة سعيد بن هذيل في حصن المنتلون بكورة

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص ص 121-122. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 173.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص123. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 173.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص124وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4،ص ص 174-175.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص133. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 351.

جيان وثورة إسحاق بن ديسم في مرسية حاضرة تدمير، وإستطاع الأمير بأن يخضع صاحبها كذلك، وثورة بكر بن يحيى بن بكر في أكشونبة، زيادة على استمرار ثورة بني قسي التي استطاع الأمير عبد الله القضاء عليها[1].

-**ثورات البربر**: ومنها أسرة "بني ذي النون" (موسى بن ذي النون بن سليمان) التي استقلت بالثغر الأدنى(طليطلة)، وثورة محمد بن تاجيت في إقليم ماردة الذي أخرج العرب وبربر كتامة من هذا إقليم، واضطر صاحبها في الأخير ان يدخل في طاعة الأمير عبد الله في عام 286هـ/899م وثار في جنوب الأندلس العديد من زعماء البربر ولم تشكل تلك الثورات خطرا كبيرا على الإمارة الأموية في قرطبة كثورة خليل وسعد ابنا مهلب في حصني قرذيرة وأشبرغيره في إقليم إلبيرة، وثورة عبد الكريم بن إلياس المغيلي في إقليم شذونة[2].

-**ثورات الموالي**: كثورة منذر بن إبراهيم ، الذي تمرد بمدينة بني السليم بإقليم شذونة، وثورة طالب بن مولود المضري الملقب بالموروري نسبة إلى إقليم مورور الذي يتصل بإقليم إشبيلية من الشمال واستطاع الأمير عبد الله القضاء عليه بعد حملتين بفضل قائده الفذ عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة[3].

ومن أشهر القضايا التي ذكرتها المصادر التي حدثت مع الأمير عبد الله في عهده قضية مقتل ابنه محمد التي كانت بسبب منافسة وقعت بين ولدي عبد الله: محمد، والمطرف حول ولاية العهد، وقد كان محمد الأوفر حظا من أخيه المطرف؛ فحسده هذا الأخير-حسب أغلب الروايات- وأصبح يتحين الفرصة للقضاء عليه؛ فبدأ بالسعي للوشاية ضده عند أبيه، فخاف محمد، ولجأ إلى عمر بن حفصون في حصنه ببشتر، ثم قدم له الأمان من طرف أبيه الأمير عبد الله، ورجع إلى قرطبة، لكن لكثرة سعي المطرف ضد أخيه محمد عند والده الأمير عبد الله، سجن هذا الأخير ابنه محمد بالقصر، فاستغل المطرف خروج الأمير عبد الله في إحدى غزواته؛ فاجهز على أخيه محمد، وقتله في سجنه، وحزن الأمير عبد الله لمقتل ابنه محمد؛ فكفل حفيده من ابنه محمد عبد الرحمن، وقد كلف الأمير عبد الله ابنه المطرف بالصائفة سنة 283هـ/896م مع وزيره عبد الملك بن أمية؛ واستغل المطرف هذه الفرصة لقتل الوزير لعداوة بينهما، الأمر الذي أدى بالأمير عبد الله بقتل ابنه المطرف للسببين السابقين[4] .

---

[1] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص277.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق،ج2، ص ص136-137.محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص278-279.

[3] نفسه، ص 279 ومابعدها.

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص ص117-118 .ابن خلدون، المصدر السابق، ج4،ص ص 175-176.

ومما سبق ذكره فقد عرفت الأندلس في آواخر عصر الإمارة الأموية فتنة كبيرة كادت أن تُنهي الوجود الإسلامي بها حتى وصفها البعض بـدول الطوائف الأولى وهي الفترة التي تلت وفاة الأوسط وشملت ثلاثة من خلفائه هم ابنه محمد ، وحفيديه المنذر ، وعبد الله، حيث ضعفت الدولة فاستباح حماها الثوار في الداخل والإمارات النصرانية في الخارج، فقد استغل نصارى الشمال لهذه الثورات؛ فساندوها وقدموا لها يد العون كما جرى مع عمر بن حفصون التي دعمتها مملكة جيليقية وهكذا ضرب الأندلس الوهن، والتشرذم، والضعف إلى أن تولى عبد الرحمن الثالث بن محمد حفيد الأمير عبد الله السلطة، والتي عرفت الأندلس في فترة حكمه الإنتقال من عصر الإمارة إلى عصر الخلافة.

ب)- عصر الخلافة الأموية (300-422هـ/912-1031م):

-عبد الرحمن الثالث بن محمد بن عبد الله(300-350هـ/912-961م): يكنى بأبي المطرف ولد في قرطبة سنة 277هـ/890م، نشأ يتيما، وبويع له بالإمارة وهو ابن إحدى وعشرين أو ثلاثة وعشرين عاما بعد وفاة جده الأمير عبد الله الذي تكلف برعايته بعد مقتل والده محمد، وأول من بايعه أعمامه الذي زهدوا في السلطة بفعل تمزق البلاد واضطرابها؛ فرأوا بأنهم عاجزين على وضح حد لهذا التدهور كما أن عبد الرحمن الثالث كان محببا لدى جده الأمير عبد الله، لهذا آثروه على أنفسهم، وقد وقع عليه الإختيار لعدة اوصاف إمتاز بها منها أنه كان شابا عاقلا، ذكيا، طموحا[1].

ولما تولى عبد الرحمن الثالث الإمارة تفرغ في سنواته الأولى في إعادة الاستقرار للبلاد، واسترجاع هيبة الحكم ، فقام بتتبع الثوار والمتمردين، ومن أبرزها حركة عمر بن حفصون التي استهلكت مدة زمنية طويلة، أي عصور ثلاث من أمراء الأندلس(محمد-المنذر-عبد الله)؛ فكانت من أولى أعمال عبد الرحمن الثالث هي القضاء على هذه الحركة، وكل الحركات الثائرة الأخرى فبدأ في استعادة الأقاليم والحصون التي انتزعها الثوار والمتمردي، ومنها إقليم جيان سنة 300هـ/ 912م حيث استرده من المتمردين، ثم إقليم رية معقل عمر بن حفصون، ونجح في إسترجاعه هو الآخر، بينما لجأ ابن حفصون إلى حصنه القديم ببشتر، وتحصن فيه، ثم جهز الأمير عبد الرحمن حملة إلى اشبيلية لانتزاعها من بني الحجاج، واستطاع استردادها عام 301هـ/914م[2].

---

[1] ينظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ص 114. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 2، ص156. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 176. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 277. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص 324. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 297. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، ص 377.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص160 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 179.

وأما عمر بن حفصون فيبدو انه لما رأى قوة عبد الرحمن الثالث في إخضاع الأقاليم قرر الاستسلام، واضطر إلى عقد صلح مع عبد الرحمن الثالث وأرسل إليه عهدا بالإعتراف ثم نزل إلى قرطبة في عام 303هـ/916م ليقدم ولائه للأمير عبد الرحمن، وبالتالي انتهت أخطر حركة عرفها آواخر الأمراء الأمويين، ولم يجد عبد الرحمن الثالث صعوبة في القضاء على خلفاء عمر بن حفصون من أبنائه الثلاثة (جعفر ثم سليمان ثم حفص) فقد قام بإرسال الحملات المتتالية حيث استطاعت جيوش الإمارة دخول معقلهم ببشتر سنة315هـ/928م، وتم القبض على آخر زعماءها، وزج به في السجن[1].

كما أخضع كل ثورات المتمردين في مرسية، وبلنسية، وشاطبة، وسرقسطة، وماردة، وبطليوس وغيرها، و كانت طليطلة آخر المعاقل التي بقيت على عصيانها ؛ فقام ب حصارها سنة 317هـ/929م إلى أن استسلمت للطاعة، وطلب صاحبها ثعلبة بن محمد الأمان من عبد الرحمن الثالث؛ فأمنه، وعفا عنه[2].

وبعد أن أظهر الأمير عبد الرحمن الثالث حكمة، وقوة في تسيير الأمور تحت لقب الإمارة مدة ست عشرة سنة، ودانت له البلاد رأى بأنه الأحق بألقاب الخلافة من الخلافة العباسية بالمشرق التي كانت ضعيفة آنذاك، والخلافة العبيدية(الفاطمية) الشيعية بالمغرب، فأعلن نفسه خليفة سنة 316هـ/928م، وتلقب بالناصر لدين الله ، وتسمى بأمير المؤمنين [3]، وهكذا تحول الحكم في الأندلس من إمارة إلى خلافة، وتوارث خلفاء عبد الرحمن الناصر بلقب الخلافة إلى أن سقطت دولة بني أمية في سنة 422هـ/1031م.

وقد شهدت الأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر نهضة حضارية رائدة ومميزة بلغت شهرتها الآفاق، فقد اهتم الناصر بالبناء، والتشييد، ومن إبرز إنجازاته في هذا الميدان بناءه لمدينة الزهراء على سفح جبل العروس بالقرب من قرطبة، وجعلها دار للخلافة، فقد شيد فيها قصرا سماه قصر الخلافة، وقد أسرف بتزينه بالتحف الفنية الرائعة، وشيد في هذه المدينة مسجدا جامعا عين عليه أشهر الأئمة والفقهاء في الأندلس، كما قام بالزيادة في المسجد الجامع بقرطبة، وبنى مدينة المرية

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص160. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص ص 135-136. محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ص 239.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص199 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص 180- 181.

[3] ابن الأبار، المصدر السابق، ص114. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص156. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 176. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 277.

سنة 344هـ/956م التي أصبحت قاعدة الأسطول الأندلسي في الجنوب الشرقي، كما تعد مدينة تجارية وصناعية مهمة؛ فهي من أكبر موانئ الأندلس[1].

وأستكثر عبد الرحمن الناصر الصقالبة في خدمته ب الزهراء، فكان القصر بيدهم، و أما في المجال الإداري؛ فقد استحدث منصب" ذو الوزارتين" أي صاحب القلم والسيف، والذي يكون تحت الحاجب، وبلغت الأندلس عامة، وقرطبة خاصة في عصره قمة الحضارة الثقافية والعلمية؛ فقد كانت مقصد طلاب العلم، وحتى العلماء، والمشاهير في ذلك العصر من المشرق والمغرب، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر اللغوي أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (ت356هـ/967م)؛ إذ حلّ سنة330هـ/941م اللغوي أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي(ت 356هـ/967م)، ولقد عهد إليه الخليفة الناصر بتأديب ولده، وولي عهده الحَكَم، وأهدى القالي كتابه الأمالي إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر[2] وبوفود القالي إلى قرطبة ازدهرت حركة الدراسات اللغوية والأدبية أكثر فعليه تتلمذ نخبة من طلبة العلم ومنهم أبوبكر الزبيدي(ت 376هـ/989م)، وابن العريف الحسين بن الوليد (ت390هـ /1000م)وغيرهم[3].

كما عرف عصر الناصر، وابنه من بعده الحكم المستنصر ظاهرة التسامح الديني الذي عاش في كنفه اليهود والنصارى، فقد مارسوا طقوسهم بكل حرية، وعاشوا وسط المسلمين دون أن يعترض عليهم أحد، حيث ظهر منهم عشرات العلماء خاصة في ميدان الطب سواء من النصارى المستقرين أصلا في الأندلس أو الذين وفدوا إليها عن طريق البعثات العلمية أو الدبلوماسية، ففي عصر الخلافة مثلا وفد إلى الأندلس العالم اليوناني نيقولا(توفي في صدر دولة الحكم المستنصر)[4] ليترجم للخليفة عبد الرحمن الناصر النباتات الطبية المذكورة في كتاب ديوسقوريدس(عاش في القرن

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق،ج2، ص229 وما بعدها. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص304.

[2] أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق ، ص173.

[3] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص 164 .

[4] راهب بيزنطي، وعالم بالطب والأدوية، أرسله إمبراطور بيزنطة قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Porphyrogenitus الذي حكم بين (914-919م) وَ(945- 959م) ، وقيل بأن الذي أرسله هو الإمبراطور رومانوس القيصر الذي حكم بيزنطة بين 920-944م إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر في بعثة دبلوماسية وعلمية إلى الأندلس ، ودخل قرطبة سنة 334هـ/945م ، وأول عمل قام به عند وصوله إلى قرطبة صناعة دواء من النباتات يعرف بترياق الفاروق. قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس ، **إدارة الامبراطورية البيزنطية**، عرض وتحليل وتعليق: سعيد عمران، دار النهضة العربية بيروت، 1980، ص ص5 ، 10 ، 16. ابن جلجل الاندلسي(أبو داود سليمان بن حسان)، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق: فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة بيروت، 1985، ص 22. ابن أبي اصيبعة (موفق الدين أحمد بن بلقاسم) **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 493.

الأول للميلاد)في الطب والنبات مكتوب باللغة الإغريقية أرسله إليه إمبراطور بيزنطا سنة 340هـ/951 م[1].

واشتغـل بعض الصقـالبة كمـمرضين لدى بعض الأطباء الأندلسيين، كالذين كانـوا تحت خدمة الطبيب عمر بن حفص بن برتق(عاش في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر) الذي اتخذ داره بقرطبة عيادةً لمعالجة المرضى، يقوم على خدمتها ستة عشر صبيًّا من الصقالبة[2].

وأما في مجال العلاقات الخارجية؛ فبعد أن أنشأ الخليفة عبد الرحمن الناصر مدينة المرية الساحلية، وتجهيزها بأسطول البحري، قام بالإغارة على سواحل المغرب الأقصى كمليلية، وسبتة وطنجة سنة 319هـ/931م، وضمها إلى دولته ، كما قام بعلاقات مع زعماء القبائل، والدويلات في المغرب الأقصى والأوسط كدولة الأدارسة، وإمارة نكور، وقبيلة زناتة البربرية، وهذا لكسب تحالفهم ضد الخلافة العبيدية في المغرب الأدنى المتحالفة مع بربر كتامة ومكناسة، زيادة على تقديم الدعم للثورات المعادية للحكم العبيدي كثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي "صاحب الحمار" ضد الشيعة منذ سنة 324هـ/ 936م[3].

وأما علاقاته مع العالم المسيحي فقد تميزت بالود مع بيزنطا ضد العدو المشترك وهم العبيديون في المغرب الأدنى، وتبادل عبد الرحمن الناصر مع حكام الامبراطورية البيزنطية السفارات ؛ فقد أرسل الخليفة عبد الرحمن الناصر سفيره النصراني المستعرب هشام بن كليب على رأس سفارة إلى القسطنطينية مع هدية ردا على سفارة مماثلة أرسلها إمبراطور بيزنطا قسطنطين السابع إلى قرطبة سنة336هـ/947- 948م محملة بمجموعة من الهدايا الثمينة، وبعد عامين عاد السفير هشام بن هذيل مع سفارة ثانية إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر أي في سنة 338هـ/949م، وكانت من هدايا الإمبراطور البيزنطي في هذه السفارة مخطوطين نفيسين أحدهما في علم النبات لديسقوريوس باللغة اليونانية، والآخر في السيرة وأخبار الملوك القدماء لباولوس أروسيوس[4].

وأما العلاقات بين عبد الرحمن الناصر مع دولة الفرنجة فقد تميزت بالتوتر؛ فقد أرسل أوتو الكبير ملك الدولة الكارولنجية سنة 339هـ/950م رسالة احتجاج إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بسبب الغارات البحرية التي كان يشنها البحارة الأندلسيون على سواحل بلاده الجنوبية، ورد عليه

---

[1] ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص 494. أنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص ص462 – 463 .

[2] ابن جلجل، المصدر السابق، ص 107.ابن أبي اصيبعة، المصدر السابق، ص ص481، 490- 491. عبد الواحد ذنون طه، **تراث وشخصيات من الأندلس**، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2009، ص ص 16- 17 .

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص181. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 240-241.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص 183.ابن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص183. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص ص284- 285. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 316-317.

الخليفة الناصر برسالة مماثلة، وفي عام 342هـ/953م أرسل إليه رسالة أخرى عن طريق الأسقف جان دي جوزر، والتي حملت نصا فيه مساسا وتجريحا بحق نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ورفض الخليفة الناصر استلامها، وحاول الملك أوتو أن يخفف من روع الخليفة الناصر من خلال تراجعه عن تقديم تلك الرسالة[1] .

وأما علاقاته مع ممالك النصارى في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية؛ فقد أرسل حملة ضد أُردونيو الثاني ملك إمارة ليون وقشتالة (حكم بين 302-311هـ/914-924م) الذي أغار على غرب الأندلس، كما حارب خلفائه (فرويلة الثالث)، ثم ابن أخيه ألفونسو الرابع "الراهب" بن أُردونيو الثاني، ثم أخاه راميرو الثاني، وقاد الناصر بنفسه حملات ضد مملكة نافارا التي كان على رأسها سانشو الأول بن غرسية (حكم بين 291-313هـ/905-926م)، ثم أغار مرة أخرى على مملكة قشتالة التي حكمها فرناندو غونزاليز (حكم بين 317-359هـ/930-970م)، وّأستطاع الناصر أن يستعيد العديد من المناطق التي احتلت في عصر الإمارة كأوسما، وتطيلة[2].

-**الحكم المستنصر أو الحكم الثاني(350-366هـ/961-977م)**: يكنى بأبي المطرف، وبأبي العاص، ولد سنة 302هـ/914م، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه، وهو ابن سبع وأربعين أو ثمان وأربعين سنة بحسب رواية ابن الأبار، أو ابن ثلاث وستين سنة بحسب رواية ابن عذارى، كان حسن السيرة، قويا، حازما، فاضلا، عادلا، حكيما، عالما بالدين من فقه وحديث، أديبا، شاعرا ملما بالتاريخ والأنساب، محبا للعلماء، جماعا للكتب النفيسة[3].

لقد أبقى الخليفة الحكم المستنصر على نفس طريقة التسيير التي كانت عند والده الخليفة الناصر، لهذا لا نجد اختلافا كبيرا بين عصره، وعصره والده، كما أنه أبقى على نفوذ الصقالبة في قصر الزهراء، ومن أهم أعماله العمرانية الزيادة في توسعة المسجد الجامع بقرطبة[4].

وزيادة على شهرته بإهتماماته العلمية؛ فالملاحظة الجديرة بالذكر في عصره تلك التحرشات النصرانية التي بادر بها جيرانه من الممالك الشمالية بمجرد اعتلائه سدة الحكم؛ فقد خرق سانشو ملك ليون الهدنة التي أبرمها مع الناصر التي نصت على تنازله لبعض الحصون، لكن عدوه

---

[1] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 285. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 182 وما بعدها. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 243.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص178. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 242. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 362 وما بعدها. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 405 وما بعدها.

[3] ابن الأبار، المصدر السابق، ص ص116-117. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص233. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 185. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص267.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص ص233-234.حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص386.

ومنافسه أردونيو وفد إلى قرطبة يلتمس المساعدة لاسترداد عرشه، ويعلن تعاونه وخضوعه للخليفة الحكم المستنصر، ولما علم سانشو بالأمر استدرك خطأه الاستراتيجي بأن أعلن موافقته بتنفيذ شروط عقد الصلح الذي عقده مع الخليفة الناصر، لكن وفاة أردونيو المفاجئ أعاد حسابات سانشو من جديد من خلال عقد تحالفه مع الكونت فرديناند ملك قشتالة، وغرسية سانشيز ملك نافار،وكونت برشلونة ضد الخلافة الإسلامية في الأندلس، فحاولوا الاغارة على أطراف الأندلس[1].

وكان رد فعل الحكم المستنصر سريعا فقد بدأ بالغزو ابتداء من سنة 352هـ/963م حيث هاجم قشتالة، وانتصر على ملكها، وأجبره على الرضوخ لشروطه، والعودة إلى بنود الإتفاق حول احترام حدود الدولة الإسلامية، كما انتصر على قوات ليون، ونبرة ، واستولى على قلاع كثيرة من هاتين المملكتين[2].

وبداية من سنة 355هـ/966م بدأت سفارات الممالك الشمالية، وممالك بيزنطا والإفرنج تتوافد إلى بلاط الخليفة الحكم المستنصر في قصر الإمارة بالزهراء لكسب وده، ومن هذه السفارات نذكر على سبيل المثال لا الحصر سفارة إمبراطور بيزنطا يوحنا الشميشق Tsimiskes التي حلت سنة 361هـ/972م، وسفارة أخرى أرسلها إمبراطور ألمانيا أوتو الثاني الذي خلف أوتو الأول، وكانت هذه السفارة الأخيرة لطلب تجديد معاهدة الصداقة بين الدولتين[3].

وأما العلاقات مع بلاد المغرب واصل الحكم المستنصر سياسة أبيه الناصر من محاربة الفاطميين، فقد كان يبعث رسله، وجواسيسه إلى قبائل البربر لاستقطابهم، وبذل المال لاستمالتهم كقبائل زناتة من مغراوة، ومكناسة، واحتفظ بالمواقع التي كان يسيطر عليها الأمويون في سواحل المغرب الأقصى كطنجة، وسبتة، والمليلية رغم محاولات الأدارسة استعادة طنجة، وتطوان، وأصيلا في سنة 361هـ/972م إلا أن الحكم إستطاع أن يسترد تلك المواقع سنة 363هـ/974م بفضل قائده غالب بن عبد الرحمن، وفي هذا العصر انتقلت الخلافة العبيدية الفاطمية من المغرب الأدنى إلى مصر؛ فقل التهديد الشيعي للخلافة الأموية بالأندلس، كما قام الحكم بتقريب الصلة مع بعض الأمراء في المغرب من خلال استقبال السفارات القادمة من قبلهم كما جرى مع البرغواطيين، إذ وفد إليه سنة 351هـ/962م السفير أبو صالح زمور من طرف حاكم برغواطة

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص ص235-236. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 245.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص236. ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص 185-186. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص385. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 246.

[3] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص385- 386.

آنذاك أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار، ولقد أستفاد الخليفة الحكم المستنصر من هذا السفير بعض المعلومات حول أنساب البرغواطيين، ومذاهبهم[1].

وشهدت الأندلس في هذا العصر تجدد غارات النورمان، فقد تحرشوا ثلاث مرات بسواحل الأندلس الغربية، فكانت الغزوة الأولى سنة 354هـ/ 965م، فأغاروا على الأشبونة، وتصدت لهم قوات السواحل الأندلسية بقيادة عبد الرحمن بن رماحس، ثم ظهرت المراكب النورمانية لمرة أخرى في رمضان سنة 360هـ/ صيف 971م؛ فأمر الحكم المستنصر قائد أسطوله في المرية للابحار نحو اشبيلية لرد النورمان واستطاع رد مراكبهم، وفي سنة 361هـ/ 971 كانت الغزوة الثالثة؛ فقد عاد النورمان لمهاجمة سواحل الأندلس الغربية؛ فردهم الأسطول الأندلسي بقيادة أمير البحر غالب بن عبد الرحمن الناصري [2].

-هشام المؤيد بالله أو هشام الثاني(366- 399هـ/ 977- 1009م): يكنى بأبي الوليد ، ولد بقرطبة سنة 355هـ/ 966م، وبويع له يوم وفاة أبيه الحكم المستنصر وكان صغيرا يوم بيعته فاستأثر بتدبير دولته الحاجب محمد بن أبي عامر، الملقب بالمنصور، وابتداء من هذا الأخير ظهرت ما يعرف بالدولة العامرية نسبة لاستئثار محمد بن أبي عامر، وابنيه عبد الملك، وعبد الرحمن بالسلطة تحت غطاء الخلافة الأموية في عهد هشام المؤيد؛ فحكم محمد المنصور بين سنتي (366- 392هـ/ 976- 1002م)، وعبد الملك بن المنصور الملقب بالمظفر بالله بين سنتي(392- 399هـ/ 1002- 1008م)، وعبد الرحمان بن المنصور الملقب بالناصر، والمعروف بشنجول سنة 399هـ/ 1008م، حيث عرفت الأندلس في هذه السنة الفوضى والاضطراب والتخريب، بسبب ثورة البربر، والتي عرفت في الأدبيات التاريخية بالفتنة البربرية.

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص234. ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص187. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 246-247.

[2] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 298. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 308 وما بعدها.

-الدولة العامرية:

-المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر(366-392هـ/976-1002م): أصله من الجزيرة الخضراء، اشتهر بالهيبة، والدهاء، والكرم ، وقدم قرطبا شابا طالبا للعلم؛ فافتتح حانوتا بالقرب من قصر الإمارة لكتابة العرائض والمظالم، ثم انتدب في خدمة الخليفة الحكم المستنصر؛ فتقلد الكثير من المناصب منها منصب قاضي كورة رية، ثم وكيلا للسيدة صبح البشكنسية(أم هشام المؤيد) للنظر في أملاكها، وضياعها ثم تولى ولاية الشرطة، والسكة، والمواريث، ثم عين على قضاء إشبيلية، وبرز دوره أكثر لما أخمد الاضطرابات، وأطماع الحاشية بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، وبعد تصفية خصومه أصبح حاجبا للخليفة هشام المؤيد الذي حجبه عن الخاصة والعامة لصغر سنه، وتفرغ لتسيير الدولة ومن أهم أعماله بناءه لمدينة الزاهرة بشرقي قرطبة وجعلها قصره الملكي، وبنى فيها مسجدا، ومخازن للأسلحة، وانتقل إليه في سنة 370هـ/980م كما زاد في المسجد الجامع بقرطبة، وبنى قنطرة استجة، وأصلح الطرق الوعرة والشعاب الصعبة واشتهر بحبه لمجالسة العلماء، وتقريبه للفقهاء، واهتم بتقوية الجيش[1].

واشتهر المنصور بكثرة غزواته الجهادية ضد نصارى الشمال فقد هاجم ممالك ليون، وقشتالة ونافارا، وآراغون، وكتلونية حتى وصل إلى غاشقونية(Gascogne) جنوبي فرنسا، وسقطت في يده مدينة شانتياقب (Santiago) التي كانت تابعة لجيليقية، وأكثر السبي من تلك الحملات الجهادية، وقيل أنه غزا ستة وخمسين لم يهزم فيها قط[2].

وتوفي في مدينة سالم، ودفن فيها أثناء عودته من غزو قشتالة في رمضان 392هـ/ جويلية 1002م، وأوصى بأن يدفن بغبار غزواته التي كان يجمعها منذ بداية حملاته الجهادية ضد نصارى الشمال وقد جمعت في ذلك صرة ضخمة كان يحملها مع أكفانه توقعا لحلوله منيته، وقد استخلص أكفانه من طيب مكسبه من الضيعة التي ورثها عن أبيه، وغزل بناته، وكان يسأل الله أن يتوفاه وهو في طريق الجهاد، فكان له ذلك، وقد خلفه في السلطة والنفوذ ابنه الأكبر عبد الملك المظفر بكتاب من الخليفة هشام المؤيد حيث قلده الحجابة[3].

-المظفر عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر(392-399هـ/ 1002-1008م): يكنى بأبي مروان، ولقب كذلك بسيف الدولة ، وكان حازما، داهية، محببا لدى الناس، فقد حسنت

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، ص 153ومابعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ،ج2، ص256 ومابعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 189.ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997، م1، ص195.خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج6، ص226.

[2] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص264 ومابعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ص189.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص288. ابن خلدون، المصدر السابق، ص190.

سيرته، فكان عادلا، ويرفق بالرعية، وأسقط سدس الجباية، كثير الحياء مع اتصافه بالشجاعة، والإقدام، فقد واصل سيرة أبيه الجهادية ضد ممالك النصارى، وله فيها سبعة غزوات، وكانت فاتحة حملاته ضد برشلونة 393هـ/1003م، ففتح حصن ممقصر، واجبر حاكمها على طلب الصلح، ثم غزا قشتالة في مطلع السنة الموالية (394هـ/1004)، وأجبر صاحبها إلى طلب عقد الصلح، وكان له ذلك وهو في مدينة سالم، ثم افتتح حصن مدنيش القريب من حصن ممقصر ببرشلونة، وبلغت عدد الحصون التي وقعت في يده ستة حصون، وخرب خمسة وثمانين حصنا أما عدد سبيه فقد بلغ خمسة آلاف وخمسمائة وسبعين رأسا بحسب رواية ابن عذارى، ومع هذه الاعمال، فقد كان عبد الملك قليل العلم مقارنة مع والده المنصور، مائلا إلى مجالسة الجفاة من البرابرة والإفرنج، محبا للفروسية والصيد، وإظهار أبهة الملوك، والتأنق في مراكبه وأصحابه، كثير شرب النبيذ، وتوفي وهو في غزواته السابعة والأخيرة له بموقع يقال له منزل أم هاني بمقربة من ارملاط بعلة الذبحة، وقيل توفي مسموما[1].

- **الناصر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر(399هـ/1008م):** والمعروف بشنجول، وسمي بشنجول لأنه أمه كانت تدعوه به نسبة لأبيها سانشو غرسية Sancho Garcia II ملك مملكة نافارا (359-385هـ/970-995م) إذ تذكر الروايات التاريخية بأنه كان يشبهه ويكنى بأبي المطرف، آخر الحكام العامريين، ولي الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك المظفر، تلقب كذلك بالمأمون، والحاجب الأعلى، اشتهر بالغرور، والمجون، وحبه للهو والشراب، وطلب من الخليفة هشام المؤيد أن يكتب له بولاية العهد من بعده، فولاه مكرها لضعفه، وهو الأمر الذي أدى إلى استياء العام، والحاشية على حد سواء، فاستغلى أحد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر يدعى ابن عبد الجبار محمد بن هشام خروج عبد الرحمن شنجول إلى غزواته، فانتفض مع بعض قادة الجيش ضد شنجول، وخلعوه، وأحرقوا مدينة الزاهرة قاعدة ملك الأسرة العامرية، وقد حاول عبد الرحمن شنجول العودة إلى قرطبة وأنقاذ ملكه إلا أن قادة جيشه انتفضوا منه، وتركوه، واستطاع محمد بن هشام أن يقبض عليه، فقتله وصلبه بقرطبة[2].

وبمقتل عبد الرحمن الناصر العامري تنتهي الدولة العامرية، وتدخل الأندلس في فترة من الإضطراب، والفوضى عرفت في الأدبيات التاريخية ب الفتنة القرطبية أو البربرية ، وهذا لظهور

---

[1] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج3، ص 3 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 190. الحميدي،المصدر السابق، ص17.الضبي، المصدر السابق،ج1، ص43.خير الدين الزركلي، المصدر السابق ج4، ص163.

[2]ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج3، ص 38 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ص 190 وما بعدها. الحميدي،المصدر السابق، ص17.الضبي، المصدر السابق،ج1، ص43.خير الدين الزركلي، المصدر السابق ج3، ص325.

البربر على مسرح الأحداث بداية من الثورة ضد الناصر العامري عبد الرحمن بن أبي عامر سنة 399هـ/1008، واستمرت هذه الفتنة إلى سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م.

ولقد تعاقب في هذه الفترة العديد من الحكام تسموا بالخلافة، وتم تعيينهم إما بالتحالف مع البربر أو الفتيان الصقالبة أو بالجيران المغاربة، أو بتحريض العامة؛ فكثرت المؤامرات، والتمردات وإغتيال الحكام، وأول من تقلد الخلافة في هذه الفترة، وعين نفسه خليفة هو محمد بن هشام المتغلب على عبد الرحمن بن أبي عامر، وكان آخر الخلفاء هو هشام الثالث بن محمد بن عبد الملك الذي انتهت به الخلافة الأموية بالأندلس، ودخلت الأندلس بعد ذلك مرحلة أخرى عرفت بعصر ملوك الطوائف الذي انقسمت فيه الأندلس إلى دويلات صغيرة متناحرة ومتصارعة فيما بينها.

المحاضرة السابعة: تابع للدول الإقليمية بالمغرب والأندلس

5 – عصر ملوك الطوائف في الأندلس:

بعد سقوط الدولة الأموية بالأندلس، انقسمت البلاد إلى عدد من الدويلات الصغيرة المتقاتلة والمتصارعة فيما بينها ، بلغ عددها حوالي 20 دويلة طائفية ، فكان منها دويلات ذات أصول بربرية، وأخرى عربية، وأخرى تنتمي إلى الموالي والصقالبة، لهذا فإن قيامها كان على أساس الخلفية العنصرية أو القومية أو العرقية، ويمكن تصنيف تلك الدويلات بحسب تلك الخلفيات العنصرية إلى ثلاث:

أ–**العـرب**: وأهم ممالكهم:

أ–1/ **بنو جهور بقرطبة(422–462/1031–1070م)**: وأول حكامها الوزير أبو الحزم **جهور بن محمد بن جهور (422–435هـ/1031–1043م)**، كان أحد وزراء الدولة العامرية، ثم لعلي بن حمود حاكم قرطبة، الذي اعتقله، وبعد ثورة القرطبيين ضد بني حمود والبربر أطلق سراحه وقدمه القرطبيون حاكما عليهم، وقد انتهج في حكمه الشورى؛ فشكل مجلسا من الوزراء وأهل الرأي وسمى نفسه أمين الجماعة، استطاع أن يحقق بعض الإستقرار والهدوء طيلة فترة حكمه من خلال إبعاد البربر من قرطبة، وتخفيف الضرئب، و خلفه ابنه أبو الوليد **محمد(435–457هـ/1043–1065م)** الذي تلقب بالرشيد، الذي اضطر إلى الابتعاد عن السياسة وتنازل لابنه **عبد الملك (457–462/1065–1070م)** الذي لم يكن في المستوى المطلوب؛ فأهمل شؤون الدولة،ودخل

في صراع مع أخيه عبد الرحمن؛ فطمع بنو عباد أصحاب اشبيلية، وبنو ذي النون أصحاب طليطلة بضم إمارة قرطبة؛ فضمها بنو عباد إلى مملكتهم سنة 462هـ/1070م[1].

أ-2/ بنو عباد في إشبيلية (414-484هـ/1023-1091م): تعد مملكة اشبيلية أكبر دول الطوائف من حيث المساحة، والتفوق السياسي، والنشاط العلمي، ومؤسسها هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عباد، اشتهر بالفضل، والصلاح، والعلم، والأدب، والحكمة، وعينه المنصور بن أبي عامر على خطة القضاء، ولقب بذي الوزارتين، وبعد الفتنة البربرية بقرطبة وضعف الخلافة الأموية استقل بإشبيلية، ولما ضعف بصره ولى ولده أبا القاسم **محمد بن إسماعيل(414-433هـ/1023 - 1042م)**، وخلف **محمد ابنه عباد (433-461هـ/1042-1069م)** الذي تلقب بالمعتضد، الذي اشتهر بالذكاء، والشجاعة، واستطاع أن يتوسع على حساب الممالك الأخرى فضم بعض الأقاليم خاصة الواقعة بالغرب من مملكته كلبلة، بل استطاع أن يضم بعض الممالك البربرية التي تحده من الجنوب فضم قرمونة بني برزال، ورندة التي انتزعها من بني أبي نور بن قرة، وإمارة مورور، وأركش، وشلب، بعد أن استدعى بعض ملوكها وقتلهم في قصره [2]، وانتزع الجزيرة الخضراء من بني حمود، ودخل في حرب مع بني الأفطس أصحاب بطليوس[3]، ثم خلف المعتضد ابنه **محمد المعتمد بن عباد** (461-484هـ/1069-1091م) الملقب بالظافر والمؤيد بالله، والمعتمد على الله، وهو الملك الأديب، الشاعر، له ديوان شعر، أحد أبرز الحكام شجاعة، وحزما، كان يقصده العلماء، والأدباء، والشعراء، من أشهر الأحداث في عهده ضمه لإمارة قرطبة إلى مملكته سنة 462هـ/1070م مُنهيا حكم بني جهور بها، واستولى على مرسية ودخل في صراع مع المأمون بن ذي النون حول قرطبة، ومحاولة ضم باقي الممالك، كما دخل المعتمد بن عباد في حرب مع بني بلكين أصحاب مملكة غرناطة مستعينا بألفونسو السادس مقابل أن يحصل منه على ضرائب باهضة، وبعد سقوط طليطلة سنة 478هـ/1086م في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة طلب هذا الأخير من ابن عباد أن يتنازل له عن الحصون التابعة له؛

---

[1] ابن عذارى، مصدر سابق، ج 3، ص185 وما بعدها . ابن سعيد، المصدر السابق، ج1،ص ص56-57. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص ص 339-340. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص204. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها إلى حتى الفتح المرابطي** ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997، ص21 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج1 ص323.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص271-272، ص295. أشباخ يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، ج1، 1996، ص31.

[3] ابن عذارى،المصدر السابق،ج3، ص193 وما بعدها.محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، 439 وما بعدها. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص ص 389-390.

فاستنجد ابن عباد بيوسف ابن تاشفين أمير المرابطين، وتوحد ملوك الطوائف مع يوسف بن تاشفين ضد الزحف القشتالي ونشبت المعركة بينهم سنة 479هـ/1087 التي اشتهرت بمعركة الزلاقة التي انتصر فيها المسلمون، ولقد أعجب بن تاشفين بحضارة وعمران الأندلس، فقرر إنهاء حكم ملوك الطوائف ؛ فحاصر إشبيلية ؛ مما دفع بالمعتمد الاستسلام للأسر سنة 484هـ/1091م وسقطت بذلك مملكة إشبيلية بيد المرابطين ، وأما المعتمد بن عباد فقد حمل مقيدا مع عائلته إلى سجن أغمات وهي بلدة صغيرة بالقرب من مراكش بالمغرب الأقصى، حيث قضى بقية حياته، إلى أن توفى سنة 488هـ/1095م[1].

أ-3/ بنو تجيب ثم بني هود بسرقسطة(403-512هـ/1017-1118م):

- **عهد بني تجيب(408-431هـ/1017-1039م):** يعد موقع مملكة سرقسطة من أخطر المواقع في الأندلس؛ فهي بجوار الممالك النصرانية؛ فتحدها قطلونية من الشرق، ونافارا من الشمال الغربي، وقشتالة من الجنوب الغربي.

وأول من حكم سرقسطة من بني تجيب محمد بن عبد الرحمن المعروف بالأنقر في عهد الأمير عبد الله بن محمد، ثم ورث أبناء وأحفاد محمد حكم هذه الولاية، ومنهم ابنه يحيى بن عبد الرحمن الذي حكمها بين(379-408هـ/989-1017م) بتعيين من الحاجب المنصور، ثم خلفه ابنه المنذر(408-414هـ/1017-1023م) الذي يعد أقوى حكام هذه الأسرة، ولقب بذي الرئاستين والمنصور، والحاجب، ثم خلفه ابنه يحيى(414-420هـ/1023-1029م) الملقب بالمظفر، الذي انتزع منه رامون أمير برشلونة بعض الحصون المهمة، ثم خلفه ابنه المنذر الثاني (420-430هـ /1029-1039م) ولقب بمعز الدولة، وأغتاله ابن عمه عبد الله بن حكيم الذي خلفه في الحكم، ولم يدم في حكمه طويلا إذ لم تتجاوز فترة حكمه العام؛ فقد كان مكروها من طرف العامة الذين استدعوا سليمان بن هود من ماردة، الذي لبى ندائهم، فزحف إلى سرقسطة، وانتزع المملكة من عبد الله بن حكيم سنة 431هـ/1039م، ليبدأ حكم أسرة بني هود[2].

-**عهد بني هود(431-512هـ/1039-1118م):** وأول حكام هذه الأسرة سليمان بن محمد بن هود الجذامي(431-438هـ/1039-1046م) الملقب بالمستعين بالله، وعرفت فترة حكمه صراعه

---

[1] ابن الأبار ، المصدر السابق، ص203 وما بعدها. ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج2، ص14 وما بعدها . المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 1، ص 339. سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 441 وما بعدها. إحسان عباس، المرجع السابق، ص13. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ص 181.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق،ج3، ص221.ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 209.

الشديد مع المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، ووصل الأمر بهما أن استنجد كل واحد منهما بملوك النصارى، وقبل وفاته قسم المستعين مملكته بين أبنائه الخمسة،وكان من أشهر أبنائه أحمد المقتدر(438-475هـ/1046-1082م)الذي حظي بسرقسطة، و تمكن من ضم معظم أراضي إخوته باستثناء أخيه يوسف والي مدينة لاردة، كما استولى على طرطوشة، وقضى على حكم الصقالبة بها عام 452هـ/1060م، ثم انتزع دانية من صهره إقبال الدولة سنة 468هـ/1076م واشتهرت سرقسطة في عهده بضم كبار علماء العصر في العلوم والآداب ، حتى أن أحمد المقتدر في حد ذاته كان عالما بدراسة الفلسفة، والفلك، والرياضيات، واشتهر قصره بالجعفرية نسبة إلى كنيته: "أبو جعفر"، الذي كان تحفة في نقوشه الذهبية خاصة في بهوه المشهور بالبهو الذهبي أو مجلس الذهب[1].

وفي هذه الفترة تعرضت مدينة بربشتر إلى غزوات النورمان سنة 456هـ/1064م[2] فقام أحمد المقتدر بطردهم بعد أن عاثوا فيها فسادا ، وقتلا، وقبل وفاته قام هو الآخر بتقسيم ملكته بين ولديه يوسف، والمنذر؛ فأعطى لابنه يوسف(475-478هـ/1082-1085م)الملقب بالمؤتمن سرقسطة وأعمالها، والمنذر خصه بلادرة، وطرطوشة، ودانية، وطمع كل منهما بأملاك الآخر؛ فتحالفا مع النصارى ضد بعضهما البعض، وكان يوسف المؤتمن عالما بالرياضيات، وفلكيا، له رسالة في العلوم الرياضية تعرف بالإستكمال، ترجمت إلى اللغة اللاتينية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد، وكتابه في الرياضيات بعنوان:" الاستهلال والمناظر"، وجاء بع د المؤتمن ابنه أحمد (478-503هـ/1085-1096م) الملقب بـللمستعين الثاني أو المستعين الأصغر، الذي قتل في معركة بلتيرة امام ألفونسو المحارب ملك أرغون، وانتهى حكم بني هود في سرقسطة في عهد عبد الملك بن أحمد الملقب ب عماد الدولة حيث كانت نهاية هذه المملكة على يد المرابطين سنة 503هـ/1110م[3].

أ-4/ بنو صُمادح في المرية وبجانة(433-484هـ/1042-1091م): وأول حكام هذه المملكة **معن بن محمد بن صمادح التجيبي (433-443هـ/1042-1051م)**، المكنى بأبي الأحوص، وكان واليا على المرية لعبد العزيز بن أبي عامر، ثم استقل بالمرية سنة 433هـ/

---

[1] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 341. أنخل جنثالث بالنثيا ، المرجع السابق، ص ص 454 – 455 .

[2] ابن عذارى، المصدر السابق،ج3، ص225-226. إحسان عباس، المرجع السابق، ص 13.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص221 وما بعدها . ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص 209 – 210. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 1، ص 341. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 453 وما بعدها . خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 214.

1041م، ودخل في حروب مع جيرانه من ملوك الطوائف، واستطاع أن يضم لورقة، وبياسة وجيان إلى مملكته [1]؛ ثم خلفه ابنه **محمد(443-484/1051-1091م)** المكنى بأبي يحيى التجيبي، وسمى نفسه معز الدولة ثم تلقب بالمعتصم بالله، الواثق بفضل الله ، وكان كريما، حليما حسن السيرة، عالما بالأدب، والتاريخ، شاعرا، وقرب الأدباء والشعراء إلى بلاطه، حك م إحدى وأربعين سنة، وهاجم مملكته أمير المرابطين يوسف بن تاشفين وهو على فراش الموت فأوصى ابنه أحمد بالفرار من الأندلس نحو بني حماد بالمغرب الأوسط، إذا بلغه خلع المعتمد بن عباد من طرف المرابطين[2].

ب- البربر: ومن أشهر دويلاتهم:

ب-1/ **بنو زيري الصنهاجيون في غرناطة ومالقة(403-483هـ/1012-1090م):** كان قيام هذه المملكة مبكرا، فقد استقل "**زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي** " بغرناطة سنة 403هـ/1012م عند قيام الفتنة البربرية، وحكم بين **(403-410هـ/1012-1019)**، وخلفائه هم: **حبوس بن ماكسن(410- 430هـ/1019-1038م)**، ثم **باديس** الملقب "بالمظفر بالله" الذي حكم بين **(430-466هـ/1038-1073م)**، الذي يعد أقوى حكام هذه الدولة، ثم **عبد الله بن بلقين (466-483هـ/1073-1090م)**، وكان صبيا فتولى وزيره سماجة تسيير الدولة، وانتهت هذه الدولة على يد المرابطين سنة 484هـ/1091م[3].

ب-2/ **بنو الأفطس في بطليوس(413-489هـ/1022-1096م):** تقع مملكة بطليوس شمال مملكة اشبيلية، وحكمها بنو الأفطس أو بنو مسلمة أكثر من سبعين عاما، و هم من بربر مكناسة وانتسبوا إلى قبيلة تجيب العربية، أسس هذه الدويلة **عبد الله بن محمد بن مسلمة(413-437هـ/**

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3،ص167.ابن خلدون،المصدر السابق، ج4، ص208. خير الدين الزركلي المرجع السابق، ج7، ص 273.

[2] ابن الأبار ، المصدر السابق، 218 وما بعدها. ابن سعيد المغربي، المصدر السابق ،ج2، ص195 وما بعده ا. ابن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص 173 وما بعدها. أنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق ص 110 وما بعدها . خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص106.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص262 وما بعدها.ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص106 وما بعدها. الأمير عبد الله، **كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة** ، تحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف، مصر . لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط2، 1973، ص431 وما بعدها. ابن خلدون ، المصدر السابق، ج 4، ص 206. إسماعيل العربي ، **دولة بني زيري ملوك غرناطة** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1982. إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي-عصر الطوائف والمرابطين**، مطبعة دار الشروق، عمان، ط1 ، 1997، ص11 وما بعدها. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص446 وما بعدها.

1022-1045م)المعروف"بابن الأفطس"،ثم خلفه ابنه **محمد(437-460هـ/1045-1067م)** الملقب بالمظفر، ثم خلف المظفر ابنه **يحيى (460-461هـ/1067-1068م)** الذي توفي فجأة ثم خلف يحيى أخاه **عمر(461-488هـ/1068-1095م)**الملقب بالمتوكل، وانتهت هذه المملكة بدخول يوسف بن تاشفين، حيث قبض على المتوكل وولديه الأفضل والعباس ثم قتلهم يوم عيد الأضحى[1].

ب-3/ **بنو ذي النون في طليطلة(427-478هـ/1037-1085م):** وأول حكامها **إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون (427-435هـ/1036-1043م)**الملقب بالظافر،وخلفه ابنه **يحيى (435-467هـ/1043-1075م)**الملقب بالمأمون،وآخر حكامها يحيى بن هشام**(467-478هـ /1075-1085م)**الملقب بالقادر، وهو حفيد المأمون السالف الذكر، وسقطت هذه الملكة في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة سنة 478هـ/ 1085م، ويعد سقوط طليطلة بداية حروب الإسترداد الأولى لنصارى الشمال في عصر ملوك الطوائف[2].

ج- الصقالبة والموالي العامريين (405-487هـ/1015-1094م): وقد حكموا شرق الأندلس فدانت لهم المرية، ومرسية، وبلنسية، ودانية، وما والاها من جزائر [3]، ومن ممالكهم نذكر على سبيل المثال:

ج-1/ مملكة المرية ومرسية لصحابها خيران العامري وبنيه : وأول ملوكها **خيران الصقلبي العامري(405-419هـ/1015-1028م)**، وهو من موالي العامريين، واستقل خيران بالمرية ومرسية بعد سقوط الخلافة، ثم خلفه **زهير العامري(419-429هـ/1028-1038م) الذي تلقب بعميد الدولة**[4]، ثم انقسمت هذه الإمارة إلى قسمين:

---

[1] المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ص127-128.المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1 ص 341. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص205-206. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5 ص60.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص276 وما بعدها. ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج4، ص 102وما بعدها.المقري التلمساني، المصدر السابق،ج1، ص340. ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص206 -207.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ص208. إحسان عباس، المرجع السابق، ص3. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص158 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص 326.

[4] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 517 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ص208.

-الأولى: مملكة المرية التي اصبحت من نصيب بني صمادح(433-484هـ/1042-1091م)، وقد ذكرنا فيما سبق بأنه كان معن بن صمادح التجيبي أول حكامها،وقد استولى عليها المرابطون سنة 484هـ/1091م[1].

-الثانية: مملكة مرسية، وأصبحت من نصيب بني طاهر(429-471هـ/1038-1079م). وكان أول حكام هذه الأسرة هو أبو بكر أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر(429-455هـ/ 1038 -1063م)، ثم خلفه ابنه محمد (455-471هـ/1038-1078م)، وانتهت هذه الدوليلة بعد أن ضمها بني عباد إلى مملكتهم سنة471هـ/1078م[2].

ج-2/مملكة دانية والجزائر الشرقية : ومؤسسها **مجاهد العامري (413-436هـ/1023-1044م)**، وهو مجاهد بن يوسف بن علي العامري بالولاء ، يكنى بأبي الجيش، رباه المنصور بن أبي عامر، ولما حدثت الفتنة البربرية خرج من قرطبة ، وتبعه جمع من موالي ابن أبي عامر وبعض أفراد الجيش الأموي؛ فدخل بهم طرطوشة، ثم انتقل إلى دانية، واستقل بها سنة 413هـ/1023م، وضم الجزائر الشرقية (ميورقة، ومنورقة، ويابسة)، وتلقب "بالموفق بالله"، وغزا جزيرة سردينية التي كانت تابعة للإفرنج، وكان مجاهد العامري عارفا علوم القرآن، والأدب حتى أنه لقب بأديب ملوك عصره، وخلف مجاهد ابنه **علي إقبال الدولة** (436-468هـ/1044-1075م)، الذي اشتهر بحبه لأهل العلم، وقد دخل في حرب مع المقتدر بن هود انهزم فيها فضم المقتدر دانية إلى مملكته، ثم سقطت في يد المرابطين[3].

ج-3/ مملكة بلنسية: التي حكمها العديد من الأمراء الصقالبة من موالي العامريين، ثم خضعت لأحد أحفاد المنصور وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بين سنتي (411-452هـ/ 1021- 1061م)، ثم خلفه ابنه عبد الملك الملقب بنظام الدولة، والمظفر، الذي تزوج بإبنة المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، ثم ضمت بلنسية إلى مملكة طليطلة سنة457هـ/ 1065م، وكان عبد الملك قد ساءت سيرته؛ فقبض عليه صهره المأمون؛ فنفاه إلى مدينة شنت

---

[1] ينظر إلى ص 93 من هذه المطبوعة.

[2] إحسان عباس، المرجع السابق، ص3. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص176 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 96.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص155 وما بعدها . ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق، ج3، ص ص21-22. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص ص110-111. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق ص187وما بعدها.إحسان عباس، المرجع السابق، ص3. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص322.

برية، فأقام بها إلى أن توفي [1]، وسقطت هذه الدولة نهائيا لما دخلها المرابطون سنة 495هـ/ 1102م[2].

وزيادة على ماسبق ذكره، فإنه قمت طويلات وإمارات طائفية أخرى أقل قوة، وشأنًا من الممالك السابقة الذكر، ومنها:

-دويلة بني حمود البربرية في مالقة والجزيرة الخضراء(402-446هـ/1011-1054م).

-دويلة بني رزين البربر أصحاب السهلة في شنتمرية(403-497هـ/1012-1104م).

- دويلة بني القاسم الفهريون العرب في البونت(421-497هـ/1030-1104م).

والجدير بالذكر فإن المؤرخين المعاصرين اختلفوا في تقسيم دويلات الطوائف التي قامت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر للميلاد إلى فئتين:

-الفئة الأولى من قسمهم على الأساس العنصري أي صنف الممالك على أساس العرق أو الموالاة فكانت الممالك العربية، والممالك البربرية، وممالك الصقالبة، وموالي العامريين كما تم عرضه في الصفحات السابقة، ومن أصحاب هذا التقسيم نذكر:محمد عبد الله عنان، وإحسان عباس[3].

-الفئة الثانية التي تقسم ممالك الطوائف إلى ثلاث طوائف بحسب السكان الأقدم إقامة في الأندلس، وتمييزا لهم عن الدخلاء إلى الأندلس بعد الفتنة البربرية بقرطبة أي الوافدون بعد 399هـ / 1009م، ومن أصحاب هذا التقسيم: أحمد مختار العبادي، محمد سهيل طقوش[4].

وأصحاب التقسيم الأخير قسموا ممالك الطوائف إلى ثلاثة طوائف أو ثلاثة أحزاب، وهي[5]:

-**الطائفة الأولى:** وهي طائفة **أهل الأندلس** من سكان البلاد الذين استقروا فيها، وأصبحوا أندلسيين بغض النظر عن أصلهم العربي، أو البربري، الصقلبي، أو الإسباني، وأطلق عليهم **أهل الجماعة** ومن ممالك هذا الصنف: بنو عباد اللخميون في اشبيلية، وبنو تجيب، وبنو هود في

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص ص303،266. خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج4، ص160. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 422.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص303 وما بعدها.حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 423.

[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص13وما بعدها. إحسان عباس، المرجع السابق، ص3 وما بعدها.

[4] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 465 وما بعدها. محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز ص 252 ومابعدها.

[5] ينظر: أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص465 وما بعدها.محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 252 وما بعدها.

سرقسطة وبنو صمادح في المرية، وبنو برزال في قرمونة، وبنوخزرون في أركش، وبنو نوح في في مورور والعامريون في بلنسية.

-**الطائفة الثانية:** وهم **المغاربة** أو **البربر** الحديثو العهد بالأندلس أي الذين دخلوا حديثا إلى الأندلس كالصناهجة الذين استقروا بها في أيام الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر، ومن ممالك هذا الصنف: بنو زيري الصنهاجيون في غرناطة ، وهم فرع من بني زيري حكام الدولة الزيرية في إفريقية في عهد الفاطميين ، وبنو حمود الأدارسة الحسنيون، العلويون.

-**الطائفة الثالثة:** وهي طائفة **كبار الصقالبة** الذين استقروا في شرق الأندلس، ومنهم مجاهد العامري صاحب مملكة دانية والجزائر الشرقية.

المحاضرة الثامنة: تابع للدول الإقليمية بالمغرب والأندلس

6- الدولة العبيدية (الفاطمية) الشيعية في المغرب الأدنى(296-361هـ/909-972م):

أ)-نبذة عن تأسيس الدولة: كلف الداعي الإسماعيلي في اليمن؛ أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب الكوفي تلميذه أبا عبد الله الشيعي [1] لنشر الدعوة الإسماعيلية الباطنية ببلاد المغرب سنة 288هـ/901م؛ فاستغل أبو عبد الله الشيعي فترة الحج، وقدم إلى مكة، وسأل عن حجاج المغرب الكتاميين؛ فدلوه إليهم، واجتمع بهم، ولما تحادثوا معه حول فضائل أهل البيت وجدوا ما لديه من المعلومات التي جعلتهم يتأثرون به، ويأنسون لحديثه، وفي طريق عودتهم من الحج سألوه عن مقصده؛ فقال لهم أنه يريد الذهاب إلى مصر من اجل التعليم، فعرضوا عليه أن يرافقهم إلى المغرب؛ فقبل، وفي الطريق أخذ فكرة عن المنطقة، وأهلها، وعشائرها، ولما وصل بلاد المغرب اختار جبل إيكجان بأرض كتامة لبث دعوته، واجتمع عنده قبائل البربر الذين انضموا إلى دعوته للمهدي الذي لم يسميه، ثم نزل بمدينة تاصروت؛ فقاتل من لم تبعه، ولما بلغ خبره إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أرسل هذا الأخير إلى عامله بميلة يسأله عن أمره، فحقره، وذكر بأنه رجل يلبس الخشن، ويأمر بالعبادة والخير، فأعرض عنه، وعظم شأن أبا عبد الله الشيعي الذي استطاع أن

---

[1] هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، يلقب بالمعلم، أصله من صنعاء باليمن، وقيل بان أصله من الكوفة، وهو أحد أعيان الباطنية، قتل من طرف عبيد الله المهدي الشيعي سنة 298هـ/911م. القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة** ، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية تونس، الجزائر، ط2، 1986، ص 30 وما بعدها. ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر م 2، بيروت، ص ص192-193. ابن خلدون المصدر السابق، ج4، ص ص 41-42. خير الدين الزركلي المرجع السابق، ج2، ص230.

يستولي على ميلة، وتيهرت، ثم رقادة التي دخلها سنة 293هـ/905م، ولما سمع أبو عبد الله زيادة الله خبر انتصارت الشيعي فر إلى طرابلس، ثم إلى المشرق، واستولى أبو عبد الله على القيروان[1].

وكان أبو عبد الله الشيعي قد أرسل في سنة 291هـ/904م رجالا من كتامة إلى الإمام الشيعي عبيد الله يخبرونه بنجاح الدعوة، ويحثونه للقدوم إلى المغرب لتسلم حكم الدولة الشيعية، وكان عبيد الله الشيعي في هذه الفترة يقيم متخفيا ببلدة سلمية من أعمال حمص؛ فلما أتته أخبار انتصارات أبي عبد الله الشيعي قصد المغرب متنكرا بزي التجار حتى لا يقع في يد العباسيين الذي كانوا يتعقبونه، فقصد الشام، ثم فلسطين، ومصر، ولما افريقية وجد أن الأغالبة مازالوا يحكمون، وأن أبا عبد الله الشيعي مازال في حروب معهم؛ فقصد الغرب نحو سجلماسة، حيث ألقي عليه القبض فيها بوشاية من اليهود، واستطاع أبو عبد الله الشيعي أن يخلصه من السجن بالقوة، واصطحبه معه إلى مدينة رقادة حيث بويع له بالخلافة في شهر ربيع الآخر سنة 297هـ/ جانفي سنة 910م، وتلقب بالمهدي، وكتب إلى جميع البلاد؛ فأخذ البيعة، وأمر الخطباء أن يذكروا اسمه على المنابر، وهو أول من تلقب بأمير المؤمنين من حكام المغرب [2]، وفي هذه السنة سقطت العديد من دول المغرب كالدولة الأغلبية في المغرب الأدنى، والدولة الرستمية في المغرب الأوسط، والدولة المدرارية في جنوب المغرب الأقصى.

ب)-الخلفاء العبيديون:

-عبيد الله المهدي(297-322هـ/910-934م)[3]: بعد أن تمت له البيعة برقادة، بدأ في التخلص من منافسيه في السلطة؛ فقضى على أبي عبد الله الشيعي سنة 298هـ/911م، وقام ببناء عاصمته الجديدة "المهدية" سنة 303هـ/915م على الساحل الشرقي لإفريقية بالقرب من تونس، وانتقل إليها سنة 308هـ/920م، واستطاع أن يخمد الثورات التي قامت ضده خاصة منها المقاومة السنية في رقادة، وطرابلس، والقيروان، وحاول التوسع شرقا لغزو مصر لكنه فشل في حملتين عامي 301هـ/914م، و 307هـ/919م، كما أرسل حملاته نحو الغرب نحو الأدارسة

---

[1] ابن عذارى المراكشي،المصدر السابق، ج1،134 وما بعدها. ابن خلدون،المصدر السابق،ج4، ص ص263 -264.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، م 6، ص 446وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1،153 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص44 وما بعدها . أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت، ص ص 229-230.

[3] يكنى بأبي محمد، واختلف المؤرخون في ذكر نسبه اختلافا كثيرا؛ فمنهم من يقول أنه عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد بن المكتوم، من ولد جعفر الصادق، وفريق آخر يقول بأن اسمه سعيد ونسبه يصل إلى عبد الله بن ميمون القداح، وكان عبيد الله الشيعي يسكن بسلمية في الشام، ومولده بها سنة 259هـ/873م، أو بالكوفة، وكان أبوه إمام العبيديين، وقبل وفاته أوصى بالإمامة من بعده لابنه عبيد الله. ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص ص 117-118. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص44 .خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 197.

والصنهاجيين بالمغرب الأقصى واستولت على نكور لكنها اصطدمت بقوات الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر الذي استولى على سبتة، وطنجة، وتطوان، كما تعرض العبيديون لتمرد الزناتيين بقيادة محمد بن خزر الزناتي في المغرب الأوسط، وتوفي المهدي برقادة بعد أن حكم أربعا وعشرين سنة[1].

- **أبو القاسم محمد القائم بأمر الله(322-334هـ/934-946):** تولى بعد وفاة أبيه المهدي وتلقب بالقائم بأمر الله، ويسمى أيضا نزار، وبدأ مشواره السياسي بالقضاء على ثورات الولاة الذين انتفضوا ضد الحكم العبيدي خاصة في المغرب الأقصى، وفي فترة انشغال القائم باخماد هذه الثورات حتى قامت ثورة الخوارج بقيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد الزناتي البربري المعروف بصاحب الحمار في مدينة توزر جنوبي تونس سنة 332هـ/943م الذي استطاع أن يستولي على كل المناطق الجبلية الوعرة غرب تونس، ثم اتجه نحو السهول الشرقية نحو العاصمة المهدية، فاستولى على القيروان، ورقادة، وتونس، وانتهى بحصار العاصمة المهدية في سنة 334هـ/946م واستمر حصار المهدية ثمانية أشهر حتى اشتد الجوع بالأهالي؛ فأكلوا الدواب، والميتة، والكثير منهم هرب عن طريق البحر إلى البلدان المجاورة، وتوفي القائم في هذه الظروف[2].

وقد كان القائم بأمر الله مهيبا، شجاعا، قليل الخير،فاسد العقيدة، وأظهر سب الأنبياء والصحابة وأباد العديد من العلماء، وكان يراسل قرامطة البحرين الشيعيين ويأمرهم بإحراق المساجد والمصاحف[3].

-**أبو طاهر إسماعيل المنصور(334-341هـ/946-953م):**خلف المنصور أباه القائم واشتهر بالشجاعة، ورباطة الجأش، والفصاحة، والبلاغة، وركز على إخماد ثورة أبي يزيد الخارجي التي لم يتمكن من القضاء عليها إلا بعدما استعان بالصنهاجيين؛ فقبض على أبي يزيد، وأحضره إلى المهدية حيث مات متأثرا بجروحه في سنة 336هـ/947م، وخلد انتصاره هذا ببناء عاصمته

---

[1] ابن حماد(أبو عبد الله محمد بن علي)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق ودراسة: التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ص 35 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص197.

[2] المقريزي(تقي الدين بن أحمد)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف المصرية، ط2، ج1، القاهرة، 1996، ص74 وما بعدها. ابن حماد، المصدر السابق، ص 53 وما بعدها. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص 232-233.

[3] خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص 259.

الجديدة بالقرب من القيروان سماها" المنصورية" ، ونقل إليها حاشيته وجنده، وأنشأ أسطولا كبيرا وتوفي بالمنصورية[1].

-**المعز لدين الله (341-365هـ/953-975م):** هو أبو تميم معد، خلف أبيه المنصور،ومن أبرز أعماله أنه جهز جيشا بقيادة وزيره جوهر الصقلي إلى بلاد المغرب الأقصى سنة 347هـ/ 958م ؛ للقضاء على الثورات التي قامت ضد الحكم العبيدي، فاستولى على فاس، وسجلماسة، واستعصت عليه المناطق التابعة للأمويين الأندلسيين كسبتة، وبعض الثغور العسكرية المطلة على المضيق، ودانت له بلاد المغرب الأوسط، ثم كلف المعز قائده جوهر لحملة أخرى إلى مصر بعد أن بلغه وفاة صاحبها كافور الإخشيدي، وخرج الجيش في 14 ربيع الأول 358هـ/ فيفري 969م، ودخل إلى مصر بدون مقاومة تذكر في شهر شعبان/جويلية، وأعطى الأمان لأهلها، كما حاول استرضاء شيوخ مصر للتقرب من العامة، وهكذا أصبحت مصر تابعة لأملاك العبيديين، واختط جوهر الصقلي مدينة القاهرة بين سنتي 359-361هـ/ 970-972م، وبنى فيها جامعها الأزهر سنة 361هـ/972م، وأخذ ينشر المذهب الإسماعيلي بين المصريين؛ فألغى الخطبة للخليفة العباسي، وأمرها للمعز الفاطمي، وضرب السكة باسمه، ومنع لباس السواد شعار العباسيين، وفرض اللباس الأخضر شعار العلويين[2].

واستطاع جوهر الصقلي اثناء وجوده بمصر ان يبسط سلطانه على بلاد الشام، حيث أرسل حملاته العسكرية إلى تلك البلاد فاستولى على الرملة، ودمشق، وأقام الخطبة في البلاد التي كان يسيطر عليها للمعز الفاطمي، كما قام بمواجهة البيزنطيين بأنطاكية، واعترف الحمدانيون في حلب بالدولة العبيدية[3].

ولما تهيأت الظروف في القاهرة انتقل إليها المعز لدين الفاطمي في رمضان سنة 362هـ/ جوان 973م، واستخلف على افريقية بلكين بن زيري الصنهاجي، وقد كان المعز لدين الله الفاطمي حازما، شجاعا، أديبا، ينسب إليه بعض الشعر، لكن ينسب إليه أنه هو الذي أمر بإضافة الكثير

---

[1] ابن حماد، المصدر السابق، ص 59 وما بعدها. المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص88 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص55 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص ص 322-323.

[2] ابن حماد، المصدر السابق، ص 83 وما بعدها. المقريزي، المصدر السابق، ج 1، ص93 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص 58 وما بعدها. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 221 وما بعدها. فيلالي بلقاسم، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من الفتح إلى قيام دولة المرابطين** ، المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014، ص ص 72-73. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7، ص265. محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ص 284.

[3] محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 284. احمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص 257-258.

من البدع في الصلوات، ومنها إضافة عبارة: "حي على خير العمل" في الآذان، وأن يسلم المصلون تسليمتين في الصلاة، وغيرها[1]. وبإنتقال المعز لدين الله الفاطمي تنتهي المرحلة الأولى المغربية من حكم العبيديين.

7 – الدولة الزيرية الصنهاجية بالقيروان والمهدية(362-543هـ/972-1148م):

أ)-الأسرة الزيرية وتأسيس الدولة: يعتبر رحيل المعز إلى مصر، واستخلافه على افريقية بلكين بن زيري الصنهاجي بداية مرحلة جديدة في تاريخ المغرب عرف بالعصر البربري؛ إذ حكمت المغرب أسر بربرية محلية منها الأسرة الزيرية التي كان لها دور بارز في فترة حكم العبيديين بإفريقية، فقد برز في عهد المنصور(334-341هـ/946-953م) زيري بن مناد الذي كان له دور في القضاء على ثورة صاحب الحمار أبي يزيد بن مخلد حيث جند له أتباعه من قبائل البربر مع الجيش العبيدي حتى تم القضاء عليها سنة 336هـ/947م، وكافأهم المعز بتعيين بلكين بن زيري سنة 360هـ/ 970م عاملا له على أشير، والمسيلة، وتيهرت، ثم تم تعيينه من طرف المعز نائبا له على افريقية لما انتقل إلى مصر، هذه خلاصة دور الأسرة الزيرية عند العبيديين قبل قيام دولتهم، ولكن تجدر الإشارة بأن الأسرة الزيرية دخلت في مراحل لاحقة في صراع ما بين الأسرة الحاكمة؛ فظهرت دولتين زيريتين، وهما الدولة الزيرية الشرقية، وعاصمتها المهدية، والدولة الحمادية غربا،وعاصمتها القلعة ثم بجاية[2].

ب)-أمراء الدولة الزيرية:

-بُلُكِّين بن زيري (362-373هـ/973-984م): لما عين المعز بلكين بن زيري نائبا له على افريقية، سماه يوسف بن بلكين، وكناه أبا الفتوح، وأطلق عليه لقب سيف الدولة، أو سيف العزيز بالله، وأسند إليه قيادة الجيش، والأسطول، وإدارة الولايات بإفريقية ما عدا صقلية، وطرابلس وأوصاه بثلاث: أن لا يرفع السيف عن البربر، ولا يرفع الجباية عن أهل البادية، ولا يولي أحدا من أهل بيته، كما أوصاه بأن يقف ضد أي توسع أموي في المغرب، وأن يحافظ على السيطرة العبيدية لهذه البلاد[3].

وفي عهده اخضع تيهرت، والزناتيين في تلمسان، ولما ثار أهل المغرب الأقصى؛ وخلعوا طاعة العبيديين، وخطبوا للأمويين بالأندلس؛ سار إليهم بلكين ودخل فاس بالقوة، واستولى على

---

[1] المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص134.ابن حماد، المصدر السابق، ص 92. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1،ص ص 223-228. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص 265.

[2] سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، ج3، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990، ص ص285، 292. عبد العزيز شهبي، المرجع السابق، ص55.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 206. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص184.

سجلماسة، وطرد عمال بني أمية بالمغرب الأقصى، واعادها إلى طاعة العبديين؛ فدان له المغرب كله، وتوفي في موضع يقال له :"واركنفو" يقع بين سجلماسة وتلمسان[1].

-**المنصور بن بلكين(373-386هـ/984-996م)**: يكنى بأبي الفتح، ولي الإمارة بعد وفاة والده بلكين، وكان وقتها واليا على أشير، وجاءه كتاب التعيين من الخليفة العبيدي العزيز بالله نزار بن معد على افريقية والمغرب، لقب بعدة العزيز بالله بن يوسف العزيز بالله، وكان المنصور كريما، سمحا،شجاعا،حازما،مظفرا، وتوفي قرب صبرة (المعروفة بالمنصورية) المتصلة بالقيروان[2].

ومن اهم أعماله حملته على المغرب الأقصى سنة 374هـ/985م ليسترجعها من زناتة الذين استولوا على سجلماسة، وفاس بزعامة زيري بن عطية المغراوي الملقب بالقرطاس ، لكنه فشل في حملته هذه ورجع إلى أشير[3].

وفي هذا العهد ظهر الصراع مابين الأسرة الزيرية، فقد خرج على المنصور عمه أبو البهار والي تيهرت؛ ولما سار إليه المنصور بعساكره ترك أبو البهار تيهرت ومعه أهله، وأصحابه، واتجه نحو عمه زيري بن عطية صاحب فاس، ودخلت عساكر المنصور تيهرت، ثم حاول أن يتتبع عمه أبا البهار لكنه عدل في الأخير، ورجع أدراجه نحو أشير بعد أن عين على تيهرت أخاه يطوفت، ثم ندم أبو البهار، ورجع إلى المنصور سنة 382هـ/992م معتذرا مما جرى منه، فقبل المنصور اعتذاره، وأحسن إليه وأكرمه، وقيل بأنه أعاد تعيينه واليا على تيهرت[4].

-**باديس بن المنصور (386-406هـ/996-1016م)**: يكنى بأبي مناد، ولقب بنصير الدولة تولى بعد وفاة أبيه المنصور، وأتاه التقليد من طرف القائم بأمر الله العبيدي من مصر، ومن اهم أعماله قيامه بتولية عمه يطوفت على تيهرت، وأقر عمه الآخر حماد على أشير، وأرسل عساكره تحت قيادة عميه يطوفت، وحماد لاخضاع زناتة لكنهم انهزموا، وفي سنة 389هـ/999م قاد حملة بنفسه لمواجهة زيري بن عطية قائد زناتة لكن جميع حملاته ضد زناتة باءت بالفشل، فاضطربت أوضاع البلاد، وقطع زناتة الطرق التجارية الكبرى؛ فساءت الأحوال الإقتصادية، وفي هذه الظروف كلف باديس بن المنصور عمه حماد عامله على أشير بوضع حد لتمرد عم أبيه ماكسن

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص ص 228،239. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 206-207. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق، ج2، ص 74.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 239. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 207. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7، ص 298.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 207-208.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 7، ص 441. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 244. ابن خلدون المصدر السابق، ج6، ص 208.

بن باديس الذي حاول أن يتغلب بأشير فدخل معه في حرب سنة 391هـ/ 1001م أدت إلى مقتل ماكسن، وثلاثة من أبنائه وهم: محسن، باديس، حباسة، ثم كلفه بتتبع زناتة على أن يعترف بأحقيته أن يملك كل موضع يفتحه، واستطاع حماد ان ينتصر على قبائل زناتة المتمردة في عدة معارك سنة 395هـ/1005م، ولم يستمر ولاء حماد لسيده وابن أخيه باديس طويلا؛ إذ أنه لما طلب باديس منه بأن يقتطع بعض الولايات التابعة له لصالح ولي عهده، رفض حماد، ودخل في حرب معه تحمل فيها حماد هزائم قاسية، ورغم ذلك استطاع أن يحافظ على ملكه بأشير، ثم فرض عليه باديس الحصار في القلعة سنة 406هـ/1015م الذي لم يتخلص منه إلا بعد وفاة باديس في معسكره بالذبحة الصدرية، وهو بالمحمدية، فاجتمع أكابر الدولة، واتفقوا على تعيين ابنه المعز [1].

-المعز بن باديس(406-445هـ/1015-1061م): تولى بعد وفاة أبيه، وهو ابن ثمان سنين وقيل ابن عشر سنين، وأقره الحاكم العبيدي صاحب مصر والمغرب، ولقبه بشرف الدولة، ويكنى بأبي تميم، وكانت عمته أم ملال تباشر أمور الدولة إلى أن كبر، وفي عهده ساد الأمن، وقد بلغت البلاد أوج ازدهارها، وعظمت ثروتها، وازداد دخلها؛ فقام بتشييد المآثر العمرانية، وبناء المساجد، كما قرب العلماء، وأكرمهم، ودخل في حروب مع زناتة انتصر عليهم في معظمها، وأما علاقة المعز مع حماد صاحب أشير والقلعة؛ فانهما تصالح سنة 408هـ/1018 بعد مفاوضات انتهت باتفاق بين الطرفين ينص على اعتراف المعز باستقلال حماد بما وقع بين يديه من المدن والولايات كأشير، والمسيلة، وطبنة، والزاب، وتيهرت، ومرسى الدجاج، وبلاد زواوة، ومقرة ودكامة، وبلزمة وسوق حمزة، على أن يتنازل للمعز عن أعماله الثلاثة: قسنطينة، وتجيس، وقصر الإفريقي؛ وبهذا انقسمت الدولة الزيرية إللى قسمين: دولة المعز بن بلكين في القيروان وافريقية ودولة بني حماد في المغرب الأوسط[2].

وقطع المعز في سنة 440هـ/1049م الخطبة للعبيديين الشيعة، وجعلها للخلفاء العباسيين السنيين؛ ومنع العمل بالمذهب الإسماعيلي الشيعي، وفرض المذهب المالكي السني؛ ونكل بدعاة الاسماعيلية؛ فانتقم منه الخليفة المستنصر العبيدي بأن وجه له أعراب بني هلال، وبني سُليم وهما من قبائل الحجاز، وأباح لهم الإغارة على المغرب؛ فدخلوا برقة، واحتلوها، ثم استولوا على

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 79. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 247 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 208- 209. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 2، ص 41. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 185، 369.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 79. ابن عذارى، المصدر السابق،ج 1، ص 267 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 210- 211. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7، ص 269. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 380.

طرابلس واحوازها،ثم ساروا إلى باجة فاحتلوها؛ ثم سقطت في أيديهم القيروان، فاضطر المعز بأن ينحسر في المهدية التي قضى فيها سنواته الأخيرة من حكمه إلى أن وفاه الأجل بها، وخلفه ابنه تميم الذي انحصر مساحة دولته في مدينة المهدية وما جاورها[1].

-تميم بن المعز بن باديس(453-501هـ/1061-1108م): ولد في المنصورية سنة 422هـ/ 1031م، استطاع أن يسترد بعض المدن التي استولى عليها الهلاليون، والمتمردون المحليون كسوسة، وصفاقس، وتونس، وفي عهده أغار الإفرنج على المهدية بحرا سنة 480هـ/1088م واستطاعوا أن يستولوا عليها؛ فصالحهم على مال أخذوه منه، وفي عهده سقطت صقلية بيد النورمان سنة 484هـ/1091م بعد أن خضعت للمسلمين لأكثر من قرنين وسبعين سنة؛ وكانت علاقته بابناء عمومته في المغرب الأوسط تتسم بالمهادنة، وفي سنة 470هـ/1078م زوج ابنته بلارة لاحد حكام الدولة الحمادية، وهو الناصر بن علناس(454-481هـ/1062-1088م) اضطربت الأحوال في آواخر أيامه؛ فكان يتنقل بين المهدية، وقابس، وجربة، وصفاقس إلى أن توفي بالمهدية، ويعد تميم أحد شعراء عصره؛ فله ديوان شعر كبير[2].

ويعتبر عهد تميم بن المعز بداية النهاية للدولة الزيرية؛ فقد تقاسم ملك الزيريين الهلاليون وبعض زعماء زناتة وصنهاجة، يحكم كل قائدهم منهم بلدا صغيرا، وبسقوط صقلية في يد النورمان أصبح تهديدهم يشكل خطرا على الدولة الزيرية، والمدن الساحلية في المغرب، لهذا بدأوا غاراتهم على المهدية منذ عهد تميم بن المعز وخلفائه.

-يحيى بن تميم بن المعز(501-509هـ/1108-1115م): يكنى بأبي طاهر، ولد سنة 457هـ/1065م بالمهدية، تولى بعد وفاة أبيه، وهو يبلغ من العمر ثلاث وأربعون عاما، وكان أبوه قد ولاه المهدية سنة 497هـ/ 1104م، كان شجاعا، عادلا، له اطلاع على الأدب، وكان يقول الشعر، وتركه بعد أن تولى الحكم، كثير المطالعة لكتب التاريخ، والسير، وكان محبا للفتح محسنا للرعية؛ فقد وزع الأموال لما تولى الحكم، وقد قطع الخطبة للخلفاء العباسيين، وأعادها للعبيديين، وقام بفتح قلعة أقليبية الساحلية التي تقع قبلي تونس، وكانت قد استعصت على أبيه وجهز أسطولا كبيرا للاغارة على الجزر التابعة للروم في البحر المتوسط، وأنشأ دارا خاصة بعلم الكيمياء، وشجع

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 79. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 267 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 210- 211. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7، ص 269.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 84. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 298 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 212- 213. رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها** ، ديوان المطبوعات الجامعية المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977، ص 58. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ، **ج2، ص 88**. ج7 ، ص 349. عمر رضا كحالة، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**،ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ص 139-140.

طلابها بتوفير الأموال وأدواتها، ونفى بعض إخوته من البلاد؛ فتعرض لمحاولة قتله من طرفهم سنة 507هـ/1114م؛ فأصابوه بجراح، وتوفي فجأة ثاني عيد الأضحى مقتولا في قصره بالمهدية سنة 509هـ/1115م، وفي هذه السنة كان يحيى قد زوج ابنته بَدْر الدُّجَا للأمير الحمادي العزيز بالله بن المنصور (498-515هـ/1104-1121م) صاحب القلعة وبجاية[1].

-**علي بن يحيى بن تميم(509-515هـ/1116-1121م):** كان علي عند وفاة والده يحيى واليا على صفاقس؛ فقدم إلى المهدية في اليوم الثاني من الوفاة، وتولى الحكم وهو ابن ثلاثين سنة ومن أهم أعماله أنه استطاع أن يسترد تونس من بعض الأمراء المتمردين، كما اخضع أهل جزيرة جربة لطاعته، وكانوا يقطعون الطريق على التجار، واسترد قابس بعد أن تمرد عليه صاحبها رافع وفتح جبل وسلات الذي استعصى على الأمراء الزيريين من قبله، ودخل في حرب مع الأعراب الهلاليين، كما دخل في صراع مع حاكم النورمان في صقلية روجر الثاني(494-549هـ/ 1101-1154م) الذي كان يهدد المهدية عاصمة الدولة؛ فجهز علي حملة لغزو صقلية، لكن عاجلته المنية، وتوفي بسبب مرض أصابه، وكان كريما، جوادا، شجاعا، حازما[2].

- **الحسن بن علي بن يحيى(515-543هـ/1121-1148م):** آخر حكام الدولة الزيرية، وكان أبوه قد فوض إليه إمارة الدولة لما مرض في أواخر أيامه، وكان صغيرا لم يتجاوز الثانية عشر سنة من عمره، فقام بشؤون الحكم نيابة عنه خادمه، ومولاه صندل الخصي الذي توفي فجأة فقام بالأمر قائده، ومولاه موفق، وفي عهد الحسن غزا المرابطون صقلية سنة 516هـ/1122م بأسطول تحت قيادة أحمد بن ميمون؛ فافتتح قرية من صقلية؛ فسباها، وقتل أهلها؛ فأعتقد ملك النورمان روجر الثاني بان هذا الغزو كان بتحريض من الحسن بن علي فقام بحملات انتقامية لغزو المهدية وحصارها إلى أن دخلها سنة 543هـ/1148م، وسقطت معها معظم مدن الساحل الإفريقي التابعة للدولة الزيرية كصفاقس، وسوسة، وطرابلس، وفرض على أهلها دفع الجزية للنورمان،ولم تسترد تلك المدن والمواقع إلى حضن المسلمين إلا في عهد الموحدين في سنة 555هـ/ 1160م في عصر ثاني حكامها عبد المؤمن بن علي(541-558هـ/1146-1163م)، وأما الحسن بن علي فقبل أن تسقط المهدية كان قد رحل إلى محرز بن زياد الفادعي صاحب القلعة يستصرخه لنجدته لكنه أبى خوفا من قوة النورمان، ثم قصد بونة؛ وقسنطينة، ثم الجزائر التي أقام إلى أن دخلها

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 88. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 304 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص213. الحميري، المصدر السابق، ص 52. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 8، ص ص 139-140.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 88-89. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 306 وما بعدها.ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص213-214. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 5، ص ص 31-32.

الموحدون سنة 547هـ/1153م، فخرج في استقبال عبد المؤمن بن علي فأكرمه، وجعله مرافقا له في حملتيه الأولى، والثانية لضم افريقية بين سنتي 555هـ/1160 و 557هـ/ 1162م، ولما فتح عبد المؤمن بن علي المهدية سنة 555هـ/1160م أنزل بها الحسن بن علي، فأقام بها ثمان سنوات إلى أن استدعاه الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن بن علي (558-580هـ/1163-1184م) فأرتحل يريد مراكش إلا أنه توفي في الطريق في موضع يقال له تامسنا[1].

والجدير بالذكر أن سقوط العاصمة المهدية سنة 543هـ/1148م على يد الغزاة النورمان كان هو الإعلان الرسمي عن نهاية الدولة الزيرية في افريقية والمغرب؛ فكان الحسن بن علي بن يحيى آخر حكامها.

8 – الدولة الحماديّة في المغرب الأوسط(408-547هـ/1018-1152م):

أ)-تأسيس الدولة: تنسب الدولة الحمادية إلى مؤسسها حماد بن بلكين الذي ولاه أخوه المنصور بن بلكين صاحب الدولة الزيرية على أشير والمسيلة، وكان يتداول ولايتها مع أخيه يطوفت، وعمه أبي البهار؛ ثم استقل بها سنة 387هـ/997م، وفي عهد ابن أخيه باديس المنصور كلفه هذا الأخير بالقضاء على تمرد عميه ماكسن وزيري، فاستطاع أن يقضي على ماكسن سنة391هـ/1001م فقتله هو، وابنائه الثلاثة(محسن، باديس، حباسة)، وأما زيري فقد فرّ إلى الأندلس، ثم كلف باديس عمه حماد بمحاربة زناتة على أن يعترف باديس بما يقع بين يدي حماد من مناطق إلى حكمه وسلطته، واستطاع ان يتغلب على زناتة في معارك عديدة سنة395هـ/1005م فضم إلى ولايته الكثير من المناطق في المغرب الأوسط، وشرع في بناء مدينة القلعة سنة 398هـ/1008م التي اتخذها قاعدة ملكه، فقصدها الناس، واتسع عمرانها، وعظم شأنها[2].

ولما طلب باديس من حماد أن يقتطع بعض الولايات التابعة له لصالح ولي عهده، رفض حماد ودخل في حرب، انهزم حماد في الكثير ثم فرض عليه باديس الحصار في القلعة سنة 406هـ / 1015م، ولم يتخلص حماد من هذا الحصار إلا بعد وفاة باديس، ولما تولى المعز بن باديس حكم الدولة الزيرية دخل في حروب مع حماد انتهت في الأخير إلى عقد الصلح سنة 408هـ/

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص89 وما بعدها. ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص308 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص214-215.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 79. ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 247 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 208- 209. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 2، ص 41. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 185، 369. يحيى بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، دار الطليعة، ج1، ط1، 1965، ص10.

1018م، أعلن بموجبه اعتراف المعز باستقلال حماد بما وقع بين يديه من المدن والولايات في المغرب الأوسط، وبالتالي ظهرت الدولة الحمادية بموجب هذا الإتفاق[1].

ب)أمراء الدولة:

-حماد بن بلكين(408-419هـ/1018-1029م): ذكرنا فيما سبق جهوده في تأسيس الدولة واشتهر كذلك بالشجاعة، والجود، قرأ الفقه في القيروان، توفي بالقلعة، أو بإحدى قرى بجاية[2].

-القائد بن حماد(419-446هـ/1029-1054م): تولى بعد وفاة أبيه حماد، وكان قاسيا، جبارا، حازما، سديد الرأي، خلع دعوة العبيديين، وجعلها للعباسيين، عين أخاه يوسف عاملا على المغرب، وأخاه وقلان عاملا على سوق حمزة(البويرة حاليا)، وفي عهده زحف إليه حمامة بن زيري المغراوي أمير فاس؛ فغزا بعض المواضع غرب الجزائر، ولكن القائد دفع بأموال كثيرة لعساكر حمامة حتى يخونوه، ولما علم حمامة بذلك تراجع عن المواجهة وخشا الهزيمة، وخضع للقائد سنة 430هـ/1038-1039م، وفي سنة 432هـ/1041م حارب المعز بن باديس الزيري؛ فسار إليه هذا الأخير، وحاصر القلعة مدة سنتين؛ فطلب القائد العفو من المعز ؛ فعفا عنه ورجع إلى افريقية[3].

-محسن بن القائد (446-447هـ/1054-1055م): لم تدم فترة حكمه إلا تسعة أشهر مليئة بالاضطرابات والفتن؛ فقد كان أبوه القائد قد عينه خليفا له، وأوصاه خيرا بأعمامه، لكنه خالف وصيه أبيه؛ فقام بعزل أعمامه عن الولايات؛ فثار عليه عمه يوسف عامل المغرب، الذي بنا قلعة الطيارة في جبل منيع وجمع حشده، ثم قام بمهاجمة أشير؛ وكان محسن قد قتل أربعة من أعمامه وبعث محسن ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد للقضاء على عمه يوسف رفقة اثنين من مرافقيه(خليفة بن بكير، وعطية الشريف) الذان أوصاهما محسن بقتل بلكين في الطريق، لكنهما

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 79. ابن عذارى، المصدر السابق،ج 1، ص 267 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 210- 211. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7، ص 269. سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 380.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 228-229. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م4، ص 390. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص271.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 229.عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري** ، دار الصحوة، دار الوفاء، ط2، 1991، المنصورة، مصر، ص 114 وما بعدها. رشيد بورويبة المرجع السابق، ص 40. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص170.

أخبرا بلكين بالأمر، فاتفقوا جميعا بقتل محسن، ولما علم محسن بالأمر؛ فرّ إلى القلعة، ولحقه بلكين، وقتله، وكان محسن هذا جبارا كوالده القائد[1].

-بلكين بن محمد بن حماد(447-454هـ/1055-1062م): تولى بلكين بعد قتله لمحسن بن القائد، وكان حازما، شجاعا، شهما، سفاكا للدماء، قتل وزير محسن، ثم قتل جعفر بن أبي رمان صاحب بسكرة، ولما بلغه استيلاء يوسف بن تاشفين أمير المرابطين سنة 454هـ/1062م ببلاد المصامدة بالمغرب زحف إليه بجيوشه، وأجبر المرابطين على الهروب إلى الصحراء؛ فدخل فاس وأخضعها، لكن جنده كرهه لكثرة غزواته، وارهاقهم في حملاته، وأهم ما يميز عهده زيادة على ماسبق وصول الهلاليين إلى المغرب الأوسط؛ فعقد معهم بلكين الصلح تم الاتفاق بموجبه بإحتفاظ الحماديين بمدنهم على أن تكون الأرياف للهلاليين، ولما خالف الزيريين العباسيين وأعادوا الدعوة للعبيديين قام الحماديون بتوطيد العلاقة مع العباسيين، وهذا بعد أن غادر ممثل العباسيين أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدريمي من القيروان، وحلوله بالقلعة حيث شارك بلكين في غزوات عدة، ولما مات أخوه مقاتل بن محمد اتهم بلكين زوجته ناميرات بنت عمه عِلْنَاس بن حماد بقتله؛ فقتلها، وهو ما أثار حفيظة علناس الذي عزم الثأر لأخته فقتله غيلة، وخلفه على رأس الدولة.

-الناصر بن علناس(454-481هـ/1062-1089م): لما قتل الناصر بلكين خلفه في الحكم فعين على المغرب أخيه كباب وأنزله مدينة مليانة عاصمة ولايته، وعين على سوق حمزة (البويرة) أخاه رومان، وعلى نقاوس أخيه خزر، وعلى قسنطينة أخاه بلباز، وعلى الجزائر ومرسى الدجاج ابنه عبد الله، وعلى أشير ابنه يوسف، وفي عهده خضعت له صفاقس حيث كتب إليه بذلك صاحبها حمو بن مليك البرغواطي مع هدية، ودخل في طاعته كذلك أهل القيروان، وتونس، واستطاع أن يخضع بسكرة التي تمردت في عهد سلفه بلكين، وفي عهده نشبت الحرب بين الزيريين والحماديين، واستعان الحماديون بصنهاجة، وزناتة والهلاليين فكانت المعركة في منطقة سبيبة حيث انتصر فيها الجيش الحمادي، وحلفاؤه على الجيش الزيري، ثم جرى الصلح بين الحماديين والزيريين، ولما كره الاقامة بالقلعة بنى قريبا منها بالجبل الكثير من القصور سميت بعدة أسماء، ثم بدأ في بناء بجاية سنة 457هـ/1065م المطلة على البحر المتوسط، وسماها

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 317. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 229.عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص ص 118-119. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص289.

الناصرية نسبة إليه، وانتقل إليها سنة 461هـ/1069م، وكان فيها قصر يعرف باللؤلؤة، وصفه ابن خلدون بأنه كان من أعجب قصور الدنيا، ولما عمرها بالسكان أسقط عنهم الخراج[1].

-**المنصور بن الناصر(481-498هـ/ 1089-1104م):** خلف اباه الناصر وعمره لا يتجاوز الإحدى عشرة سنة، فضل في بداية أمره الإستقرار في القلعة سنتين ثم انتقل إلى بجاية سنة 483هـ/1091م، وكان مولعا بالبناء؛ واختطاط المباني، والتشييد، وإتخاذ القصور، وإجراء المياه في الرياض والبساتين، فبنى في القلعة قصر الملك، والمنار، والكوكب، وقصر السلام، وفي بجاية قصر أميميون، وزحف بجيش عظيم إلى تلمسان فقاتله المرابطون سنة 496هـ/1102م وانتهت مواجهته بهم بإبرام الصلح، وتوفي بعد إقلاعه عن حصارها بسبعة أشهر، وكان حميد الخلال، وفي أيامه خرج عليه أخيه يلباز صاحب قسنطينة واستطاع أن يقضي على حركته، وكلف من أتى به إلى القلعة، وحل عنده معز الدولة بن صمادح صاحب المرية فارا من المرابطين الذين توسعوا إلى الأندلس؛ فانزله المنصور بتدلس[2].

-**باديس بن المنصور(498هـ/1105م):** خلف أباه، كان شديد البأس،سريع البطش، عظيم النظر، وعلى الرغم من ولايته التي لم تتجاوز السنة، إلا أنه قام ببعض الأعمال منها أنه نكب بوزير أبيه عبد الكريم بن سليمان، وكان قد خرج من القلعة إلى بجاية فنكب بعامل بجاية، وقتل باديس مسموما، قيل بأن أمه سمته لأنه كان يهددها، ويتوعدها، وخلفه من بعده أخوه العزيز[3].

-**العزيز بن المنصور(498-515هـ/1105-1121م):** تولى بعد وفاة أبيه، كان واليا على الجزائر في عهد أبيه المنصور، ولما تولى أخوه باديس عزله من الولاية، ونفاه إلى جيجل، وتسلم إمارة الدولة وهو ابن سبعة عشر سنة، استوطن بجاية، وانقطع عن القلعة التي خربت بعد انتقاله إلى بجاية من طرف الهلاليين، وكان يعرف بالميمون لولادته ليلة ولاية أبيه، وكانت أيامه هدنة وأمنا،فقد تصالح مع زناتة، واشتهر بلاطه بضمه العلماء الذين كانوا يجالسونه، ويتناظرون في حضرته، ودخلت جربة، وتونس تحت طاعته، وفي عهده وفد إلى بجاية المهدي بن تومرت سنة 512هـ/1119م قافلا من المشرق، الذي أحدث الفوضى بها بعد أن بدأ يبث في دعوته بها بسبب مااستنكره من مظاهر حياة البذخ، وكان قد حضر بعض الإحتفالات؛ فرأى الإختلاط بين الرجال والنساء والصبيان المتزينين والمتكحلين ما لا يحل؛ فأحدث فوضى واضطراب بدعوته، ولما سأل

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 229 وما بعدها . رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 58 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص349.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص232 وما بعدها.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص305.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص232 وما بعدها.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص305.

العزيز أعوانه عن أسباب هذا الإضطراب وجد أن سببه هذا الفقيه الضيف الوافد الجديد المهدي بن تومرت، وهو ما أغضب العزيز، وأمر بإخراجه من بجاية، فخرج متوجها إلى المغرب، ونزل بضيعة يقال لها"ملالة" على بعد فرسخ من بجاية، وأقام بها أشهرا يعقد مجالس العلم والوعظ ويبث بذور دعوته ضد الحماديين، والمرابطين تحت حماية قبائل "بني ورياكل" الصنهاجية الذين منعوا العزيز من القبض عليه، وعلى الرغم من ذلك إلا أن المهدي آثر الرحيل إلى المغرب[1] .

-يحيى بن العزيز(515-547هـ/1121-1152م): آخر حكام الدولة الحمادية، تولى بعد أبيه وطالت أيامه، وكان مستضعفا، مغلبا للنساء، ومولعا بالصيد، ويقضي سهراته وسط الملهين من شيوخ وعجائز وحمقى بلغ عددهم نحو العشرين، وكان له ابن اسمه المنصور كان قد ولاه العهد من بعده لكنه توفي في حياته؛ فحزن عليه، وعظم وجده عليه، ومن أهم أعمال يحيى في دولته أنه استحدث السكة سنة 543هـ/ 1149م ولم يحدثها أحد من أسلافه تأدبا مع خلفائهم العبيديين، وزار سنة 543هـ/1149م القلعة ليتفقدها، وقمع ثورة توزر، وغزا المهدية مرتين سنتي 522هـ/1128م و 529 أو 530هـ/1135 أو 1136م، وغزا كذلك تونس سنة 522هـ/1128م، وفي عهده زحف الموحدون نحو المغرب الأوسط؛ فسقطت بأيديهم مليانة، والجزائر، وبجاية قاعدة ملك الحماديين سنة 547هـ/1152م، ثم القلعة، وقسنطينة، وأما يحيى فبعد سقوط بجاية ركب البحر إلى صقلية وهو يقصد بغداد، لكنه عدل عن ذلك، وحل بمدينة بونة(عنابة)، ثم ارتحل إلى قسنطينة عند أخيه الحسن، وبايع يحيى الأمير عبد المؤمن بن علي سنة 547هـ/1152م وهو بقسنطينة، ثم نقله عبد المؤمن إلى مراكش فسكن بها، ثم انتقل إلى سلا سنة 558هـ/1163م فتوفي بها في هذه السنة[2].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 234-235. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 129. أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ص ص 72-73. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 148 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص232.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص ص 372-373.ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 235-236. أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ص94 وما بعدها. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص153 وما بعدها. رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 91 وما بعدها.

المحاضرة التاسعة: تابع للدول الإقليمية في المغرب والأندلس:

9- دولة المرابطين(448-541هـ/1056-1147م):

أ)-نشأة الدولة: يكتنف الكثير من الغموض حول البداية الفعلية لهذه الدولة، غير أن معظم المؤرخين كالعبادي، وعصام الدين الفقي، وغيرهما يذكرون بأن تاريخها يبدأ في جناح المغرب الأيمن في صحراء شنقيط (موريتانيا حاليا)، والتي تحدها جنوبا بلاد السودان حيث مملكة غانا وفي الغرب بحر الظلمات(المحيط الأطلسي)، وفي الشرق نهر النيجر عندما يلتوي شمالا إلى جهة تمبكتو، وفي الشمال منطقة سجلماسة (تافيلالت)، وفي هذه الصحراء الشاسعة كانت تعيش قبائل صنهاجة الجنوب تمييزا لقبائل صنهاجة الشمال التي أسست الدولة الزيرية في افريقية والحمادية في المغرب الأوسط، والدولة الزيرية في غرناطة في عصر ملوك الطوائف، وكانت صنهاجة الجنوب تختلف عن صنهاجة الشمال بأن أهلها كانوا يتلثمون، لهذا سميت بصنهاجة اللثام، ومن أشهر فروع قبائل صنهاجة اللثام قبيلة لمتونة في شمال الصحراء، وتليها جنوبا مسوفة، ثم جدالة بالقرب من نهري السنغال والنيجر، وساحل بحر الظلمات[1].

ولقد قامت دولة المرابطين نتيجة لعدة أسباب منها ماهو سياسي نتيجة ضغوط مملكة غانة التي اجبرت الملثمين التراجع إلى الشمال بسبب الحروب من أجل السيطرة على طرق القوافل التجارية في الصحراء، فضايق المرابطون الزناتيين في سجلماسة وناحيتها، كما أن الإضطراب في الشمال بيين القوى المتصارعة من أهم الأسباب التي سهلت قيام دولة المرابطين، وأما العامل الإقتصادي فيكمن في السيطرة على الطرق التجارية وبالتالي جلب مورد مالي من خلال فرض الضرائب من القوافل المارة، وأما السبب الديني وهو الأبرز فمن خلال تفشي الإنحلال الأخلاقي كتفشي السرقة، وشرب الخمر، وإنتشار الزنا، بسبب نشر تأثير البرغواطيين الذي افسدوا عقائد جيرانهم من سكان الساحل، زيادة على الصراع بين المغراويين واليفرنيين في فاس الذي أثر على الحالة الإقتصادية بالبلاد؛ فانهارت القيم الاخلاقية، لهذا قام المرابطون بمواجهة هذه الأزمات والأخطار بنشر الإسلام وحدوده من خلال تأسيس دولة إصلاحية دينية وإجتماعية امتدت من طنجة شمالا إلى نهر النيجر جنوبا، ومن وادي الشلف شرقا إلى بحر الظلمات غربا بالإضافة إلى ضم الأندلس[2].

ترجع بداية الحركة الإصلاحية للمرابطين قبل قيام دولتهم إلى شخصيتين صنهجيتين،وهما: يحيى بن إبراهيم الجدالي زعيم الملثمين، والفقيه عبد الله بن ياسين.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 241.أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ص 267-268. عصام الدين عبد الرؤوف الفقي المرجع السابق، ص 251.

[2] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص 156-157.

فأما يحيى بن إبراهيم الجدالي فقد تأثر بحالة الجهل التي سادت في قومه فرحل إلى الحج سنة 427هـ/ 1036م، وفي طريق عودته حل بمدينة القيروان، وجلس يستمع إلى دروس شيخ المالكية في وقته أبي عمران الفاسي فتأثر به وتاقت نفسه بأن يرى فقيها في بلاده مثله، يلقي الدروس ويعلمهم الكتاب والسنة، ويفقههم في الدين، فطرح هذا الأمر إلى الفقيه أبي عمران الفاسي، ورجاه أن يبعث معه طالبا من طلابه لتحقيق أمنيته، فكتب له كتابا إلى أحد تلاميذه بفاس وجاج بن زلو اللمطي، الذي كان قد تلقى عنه العلم بالقيروان، وأسس بعد رجوعه إلى فاس مدرسة "أجلو" لتدريس العلم، واختار الفقيه وجاج لهذه المهمة تلميذه عبد الله بن ياسين الذي قبل هذه المهمة ونزل إلى قبائل صنهاجة الجنوب، وبدأت جهوده الدعوية الإصلاحية السلفية القائمة على المذهب المالكي، وأطلق على أتباعه اسم المرابطين[1] .

وأما عبد الله ياسين فهو صنهاجي من قبيلة جزولة، كان قد رحل إلى الأندلس في عصر ملوك الطوائف، ودرس العلم بقرطبة حوالي سبع سنوات ثم أتم دراسته على يد وجاج بن زلو، وعندما قصد جدالة بدأ يعلمهم أصول الدين، ويهذب أخلاقهم، ووضع لهم نظاما للآداب العامة، واستعمل معهم الشدة، لكنه لم يوفق مع الجداليين، فقد كانوا أهل فوضى وجفوة، فثاروا ضد عبد الله بن ياسين، وأخرجوه من بلادهم، لأنهم لم يتحملوا عنفه وشدته كما أنهم أحرقوا داره، فانتقل إلى قبيلة لمتونة سنة 430هـ/1039م، وكانت قبيلة لمتونة أميل إلى النظام والتماسك، ولما توفي الزعيم الجدالي يحيى بن إبراهيم اختار عبد الله بن ياسين لصنهاجة الزعيم اللمتوني أبا زكريا يحيى بن عمر، وقد كان اختيار الزعيم الجديد من قبيلة لمتونة لعدة دوافع من بينها موقع هذه القبيلة

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص ص 7-8. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 242-243. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 271 . عصام الدين عبد الرؤوف الفقي المرجع السابق، ص 251. اختلف المؤرخون حول سبب تسمية صنهاجة الملثمين بالمرابطين، فابن أبي زرع، وابن خلدون والسلاوي الناصري يرون أنه لما بدأ عبد الله بن ياسين دعوته في الصحراء بدعوة من زعيم قبيلة جدالة يحيى بن إبراهيم، ولما حل عندهم على ساحل بحر المحيط(المحيط الأطلسي)حتى مصب نهر السنغال، بنى عبد الله بن ياسين في إحدى جزر هذا النهر او ساحل البحر رباطه للعزلة والتعبد ولما اجتمع عنده ألف رجل سماهم بالمرابطين، وهناك رأي آخر تبناه ابن عذارى، وابن سماك العاملي صاحب الحلل الموشية فيرى أصحابه أن اللقب أطلقه عبد الله بن ياسين على قبيلة لمتونة بعد المعركة التي انتصرت فيها لمتونة على قبائل البربر الأخرى غير المسلمة، ولشدة صبر لمتونة، وحسن ابتلائها. أنظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص12. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 243. ابن سماك العاملي (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 2010، ص66. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125. السلاوي الناصري المصدر السابق، ص99. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص272.

الجغرافي المتحكم في الطرق الشمالية المؤدية إلى المغرب، زيادة على تميز أهل لمتونة بالشجاعة، والشدة في القتال، ولأنها أكثر القبائل الصنهاجية انقيادا له[1] .

انتفضت جدالة بعد أن خرجت زعامة صنهاجة منها إلى قبيلة لمتونة، فدخلت في حروب ضد قبيلة لمتونة كان من ضمنها الهجوم الذي شنته قبيلة جدالة على جبل لمتونة سنة 448هـ/ 1056م والذي أسفر عن مقتل زعيم صنهاجة اللمتوني أبي زكرياء يحيى بن عمر، وعدد كبير من رجاله، فاسندت زعامة صنهاجة لأبي بكر بن عمر اللمتوني الذي خلف أخاه يحيى بن عمر في زعامة المرابطين[2].

وبعد أن اخمد تمرد قبيلة جدالة خرج المرابطون من الصحراء يقودهم زعيمهم الروحي عبد الله بن ياسين، وقائدهم الحربي أبوبكر بن عمر اللمتوني؛ فاتجهوا أولا إلى السوس فاستولوا على قاعدتها تارودانت؛ فقضوا على الشيعة والوثنيين كما قاتلوا اليهود المنتشرين بتلك المناطق، ثم اتجهوا إلى بلاد الحوز واستولوا على عاصمتها أغمات، وقد نتج عن هذا الفتح أن قتل أمير أغمات لقوت المغراوي، وتزوج الأمير أبوبكر بن عمر أرملته زينب النفزاوية، وأختار المرابطون مدينة أغمات كعاصمة مؤقتة لهم نظرا لأهميتها الإستراتيجية، ثم انقسمت قوات المرابطين إلى قسمين: قسم اتجه إلى برغواطة تحت قيادة عبد الله بن ياسين وأبوبكر بن عمر اللمتوني، وقسم أخر اتجه نحو غمارة تحت قيادة يوسف بن تاشفين، ودارت معركة عنيفة بين المرابطين والبرغواطيين بالقرب من مدينة الرباط الحالية قتل فيها زعيم المرابطين الروحي عبد الله بن ياسين سنة 451هـ/1059م، وانفرد أبوبكر بن يحيى بالقيادة الروحية والحربية للمرابطين، واستكمل حملته على برغواطة فأخضعها، ونشر الدين الإسلامي السني فيها[3].

ونجح المرابطون في إخضاع الزناتيين سنة 461هـ/1068-1069م، وانتزعوا منها السيادة على إقليم تافيللت وعاصمته سجلماسة، ثم سيطروا على وادي نهر تانسيفت، والسهل الواسع الذي يجري فيه، وبهذا سيطر المرابطون على المغرب الأقصى، وعلى وادي نهر تانسيفت شرع أبوبكر بن عمر اللمتوني في إنشاء عاصمته الجديدة "مراكش" سنة 461هـ/ 1069م، وبينما كان أبوبكر بن عمر يبني في عاصمته حتى بلغته أنباء عن حرب قامت بين لمتونة، وجدالة في الصحراء؛

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص9 ومابعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص243.حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ص183-184.أحمد مختار العبادي، المرجع السابق ص ص272 -273.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص243. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 128-129. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق ص ص 274-275.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص244. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 131-132. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص293 وما بعدها.

فترك الرياسة لابن عمه يوسف بن تاشفين ومضى إلى الصحراء، ولما عاد لم يستطع استعادة رياسته، ووجد أن يوسف قد خضعت له البلاد، وضخم أمره، فأوصاه بالناس خيرا، وانصرف عائدا إلى الصحراء؛ ليواصل جهاده هناك، واستشهد في حربه مع الغانيين سنة 480هـ/1087م[1].

ب)-أمراء الدولة المرابطين بعد أبي بكر بن عمر(ت480هـ/1087م):

-يوسف بن تاشفين(463-500هـ/1071-1106م): يعد المؤسس الفعلي لدولة المرابطين؛ فقد أتم حركة فتوحات المرابطين في المغرب الأقصى، وبنى أسطولا بحريا استطاع أن يفتح به الثغور الساحلية الشمالية المطلة على المضيق كسبتة، وطنجة ومليلية، كما فتح مدن المغرب الأوسط كتلمسان، ووهران، وتنس، والجزائر، وأتم بناء العاصمة مراكش سنة 465هـ/1073م، وتلقب بالألقاب السلطانية فأطلق على نفسه"أمير المسلمين" و"ناصر الدين"، وضرب السكة، وأنشأ الدواوين، وربط علاقات دبلوماسية مع جيرانه من أمراء المغرب والمشرق، وفخم الملك ببلاطه، واتخذ الأعلام، وكتب إليه المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية يستنجد به من خطر النصارى الشماليين سنة 475هـ/1083م؛ فعبر يوسف بن تاشفين بجيوشه لنجدته فكانت معركة الزلاقة المشهورة سنة 479هـ/1086م قرب بطليوس، والتي انتصر فيها المسلمون على قوات ألفونسو السادس ملك قشتالة، وفي عبوره الثالث سنة 482هـ/1089م إلى الأندلس عزل ملوك الطوائف ما عدا أمراء سرقسطة، وضم ما تبقى من ممالك المسلمين في الأندلس إلى دولته؛ فشمل سلطانه المغربين الأقصى، والأوسط، والأندلس، وتوفي يوسف بن تاشفين بمراكش، وقد كان حازما،ضابطا لأمور مملكته، ماضي العزيمة، وكان يخطب للخلفاء العباسيين[2].

-علي بن يوسف بن تاشفين(500-537هـ/1106-1142م): يكنى: أبو الحسن، ولي بعد وفاة أبيه بعهد منه بمراكش، وأستطاع أن يملك أكثر من أبيه لأن البلاد عرفت في عهده الهدوء زيادة على توفر الأموال، وقد كان حليما، وقورا، عادلا، شديد الذكاء، له اطلاع في الفقه، والأدب شديد الإحترام للفقهاء، والعلماء، ومن أبرز أعماله أنه جاز إلى الأندلس ثلاث مرات، الأولى كانت سنة 503هـ/ 1107م؛ فأقام بقرطبة، ثم زحف إلى قشتالة ففتح منها سبعة وعشرين(27) حصنا

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص 13. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص245. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 127-128. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 181. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص 68.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج4، ص 21 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص247 وما بعدها. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص136 وما بعدها. السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص 114 وما بعدها. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 181. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص 305-306. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 161 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 222.

من أعمال طليطلة، واستولى على مدينة طلاموت، ومجريط، وفي سنة 504هـ/1108م سير ابنه وعامله على اشبيلية سير بن أبي بكر(ت 507هـ/1111م)؛ فاستولى على اشبونة، ويابورة وشنترين، وبطليوس وفي سنة 505هـ/1109م عبر علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس بجيوش تزيد عن مائة ألف فارس ففتح ، ووادي الحجارة، وغزا الممالك الإسبانية في الشمال؛ وقد قام قائده وأخوه تميم بمهاجمة حصن إفليج، واستطاع أن يتغلب على القوات القشتالية وقتل ابن ألفونسو السادس، وفي سنة 512هـ/ 1119م سقطت سرقسطة في يد النصارى الشماليين رغم مقاومة أهلها، ونجدة المرابطين المتأخرة ؛ فحافظوا على حصن لوردة، وفي سنة 513هـ/1120م سقطت قلعة أيوب بالأندلس في يد النصارى؛ فجاز علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس وفتح شنتمرية وفي سنة515هـ/1122م ظهر محمد بن عبد الله الملقب بالمهدي بن تومرت (ت524هـ/ 1130م) الذي أحدث بظهوره فتن على دولة المرابطين؛ فقد بدأ دعوته بتشويه المرابطين، واتهمهم بالمروق عن الدين، والتجسيم؛ فاضطربت الأمور، وتوفي علي بن يوسف بن تاشفين بعد أن بلغ ملكه المغرب الأقصى والأوسط، والسودان جنوبا، والأندلس[1].

-تاشفين بن علي(537-539هـ/1142-1144م): يكنى بالمعز، تولى بعد وفاة أبيه، وكان قد قام بالعديد من الأعمال في ولاية أبيه فقد جاز إلى الأندلس، وقام بحملاته على الممالك الإسبانية الشمالية سنة 520هـ/1126م، وافتتح حصونا في أعمال طليلطة، وفتح مدينة" كركي"، واشكونة، وفي عودته إلى مراكش من هذه الحملات خرج أبوه لاستقباله في موكب عظيم سنة 532هـ/ 1138م، ولما تولى ترك له أبوه تركة من التحديات منها حركة الموحدين التي خلف فيها عبد المؤمن بن علي المهدي بن تومرت، ولما خرج عبد المؤمن من تنملل استطاع ان يتوغل في المغرب؛ وتوسع في شماله وشرقه؛ حتى بلغت جيوشه أحواز تلمسان؛ فسير له تاشفين جيوشه لقتاله، وتلقى مساعدة من الحماديين، فقد ارسل له يحيى بن عبد العزيز صاحب بجاية المدد بقيادة طاهر بن كباب إلا المرابطين وحلفائهم الحماديين انهزموا في هذه المعركة التي جرت قرب كهف الضحاك، ثم كانت موقعة أخرى بالقرب من تلمسان كذلك، ووصل ممد آخر لتاشفين قادم من سجلماسة، وآخر من الأندلس بقيادة ابنه إبراهيم سنة 538هـ/1143م، لكن المرابطون انهزموا في هذه المعركة التي سميت بيوم منداس، فقصد تاشفين حصن بوهران وأمر قائد أسطوله بالمرية أبا عبد الله بن ميمون أن يرسل إليه بقطع من الأسطول إلا أن عبد المؤمن بن علي باغته ليلا

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص 46 وما بعدها. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 147 ومابعدها. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص157 وما بعدها. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص123 وما بعدها. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ص 199-200. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص33.

واضرم النيران في حصنه، فخرج تاشفين بفرسه من الحصن، وهو يسير على حافة جبل شاهق يحيط بالحصن، فسقط بحصانه، ودق عنقه، ومات، حيث وجدت جثته بالقرب من ساحل وهران فقطع رأسه، وحمل إلى تنملل، فعلق على شجرة هناك، وقد كانت أيامه كلها حروب في مواجهة الموحدين[1]. ومنذ عهد تاشفين دخلت دولة المرابطين مرحلة الضعف والسقوط.

-**إبراهيم بن تاشفين، وإسحاق بن علي(539-541هـ/1144-1147م):** كان تاشفين قد ترك ولاية العهد من بعده لابنه إبراهيم، الذي كان مع أبيه في قتاله ضد الموحدين في وهران، لكنه وجهه إلى مراكش بعد أن عقد له ولاية العهد من بعده مع جماعة من لمتونة، وذلك قبل شهر من وفاته، لكن أهل مراكش استصغروه ووجدوه عاجزا، وضعيفا في تدبير الملك، ومواجهة خطر الموحدين؛ فخلعوه وبايعوا عمه إسحاق بن علي الذي كان صغير السن، وفي الفترة واصل الموحدون زحفهم من وهران إلى تلمسان ثم فاس، وحاول الموحدون دخول مراكش إلا أن أهلها منعوهم؛ فحاصروها إحدى عشر شهرا إلى أن سقطت في أيديهم، وأمر عبد المؤمن بقتل إسحاق وأما إبراهيم بن تاشفين؛ فقد قُبض عليه مع جماعة من المرابطين في موضع يقال له "جبل جليز" فأمر عبد المؤمن بن علي بقتلهم جميعا بعد أن استبسلوا في مقاومة الموحدين [2]. وبهذا انتهت دولة المرابطين على يد الموحدين.

10 – دولة الموحدين(541-668هـ/1147-1269م):

أ)-نشأة الدولة:

-**أصل تسمية الموحدين:** يعود تأسيس دولة الموحدين إلى جهود المهدي بن تومرت(ت 524هـ/ 1130م)[3]، وهو محمد بن عبد الله بن تومرت الذي ينتمي إلى قبيلة هرغة إحدى فروع قبائل المصامدة البربرية ببلاد السوس في جبال الأطلس بالمغرب الأقصى، ويبدوا أن نجاح عبد الله بن ياسين في إنشاء دولة دينية المتمثلة في دولة المرابطين، والتي قامت على أكتاف قبائل صنهاجة، قد حفز الفرع الآخر من قبائل البرانس البربرية، والمتمثل في المصامدة بالقيام بدعوة مماثلة نادت

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص 79 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 251-252. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 193 ومابعدها. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 165-166.الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص127.إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 168. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص ص 82-83.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص252. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 205 ومابعدها. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص128. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص168. خير الدين الزركلي المرجع السابق، ج1، ص 34.

[3] يكنى: أبو عبد الله، ولد سنة 485هـ/1092م في عهد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، ولد ونشأ في قبيلة هَرْغَة إحدى قبائل مصمودة البرنسية التي كانت بجبل السوس بالمغرب الأقصى، اختلف المؤرخون في نسبه فمنهم من ينسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ومنهم من يقول أنه هو الذي أدعى هذا النسب. ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص301. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 203. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص ص 238-239.

بالتجديد في الدين الإسلامي، واتهمت المرابطين بالتجسيم الذي يفسر الآيات القرآنية التي تشبه الذات الإلهية تفسيرا حرفيا، ونادت بأنه لايمكن تصوير الله تعالى بالعقل البشري، وهو فوق التشبيه، وأن الله منزه عن التشبه بالخلق، والقول بغير ذلك يعد كفرا وإلحادا, لهذا أطلق المهدي بن تومرت على أنصاره، وأهل دعوته بـ:"الموحدين"، ووضع لهم كتابا باللغة البربرية سماه: "المرشدة" يتناول فيه معرفة الله تعالى، والعلم بحقيقة القضاء والقدر، والإيمان بما يجب لله تعالى، وما يجب على المسلم من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويتضمن هذا الكتاب كذلك الأعشار، والأحزاب من السور، وقال لهم: "ان من لا يحفظ التوحيد، فليس بموحد، وإنما هو كافر لا تجوز إمامته..." فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن الكريم[1].

-**رحلة المهدي بن تومرت إلى المشرق:** وكان المهدي بن تومرت قد درس في بلده بقبيلة هرغة بالسوس الأقصى ثم خرج لطلب العلم إلى مراكش، فالأندلس سنة 501هـ/1107م؛ فأخذ عن علماء قرطبة، وعلماء الأندلس ثم أبحر من المرية باتجاه المشرق؛ فدرس على علماء مصر بالاسكندرية كأبوبكر الطرطوشي الذي أخذ عنه في طريق الذهاب والعودة، ثم قصد العراق فدرس عن بعض العلماء الفقه، وأصول الدين، ودرس بالمدرسة النظامية ببغداد ثلاث سنوات، وقيل أنه درس بها على أبي حامد الغزالي، وهناك من يقول أنه لقيه بالشام [2]، ثم قصد الحجاز؛ فحج بمكة

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 173. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 170-171. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 301. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (العصر الثالث، المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس)، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الموحدين، ص 175. وحول اتهامات الموحدين للمرابطين بالتجسيم رد عليها الكثير من المؤرخين المعاصرين كحسين مؤنس، وأحمد مختار العبادي، ومحمد الأمين بلغيث؛ فقد رأوا أنه تحامل مغرض، وشماعة اتخذتها المدرسة الإستشراقية الأوربية أمثال دوزي وغيره لضرب وتشويه دولة سنية مالكية استطاعت ان تكون وحدة سياسية في الغرب الاسلامي، ضمت المغربين الأقصى والأوسط والأندلس والسودان الغربي، كما انها أوقفت الزحف الصليبي للممالك الاسبانية الشمالية على حساب المسلمين في الاندلس بعد موقعة الزلاقة المشهورة في سنة 479هـ/1086م، كما أن بعض حكام المرابطين كانوا بعيدي البعد عن قضية التجسيم فعلي بن يوسف بن تاشفين ثاني الأمراء المرابطين مثلا الذي ظهر في عهده المهدي بن تومرت كان من أصلح الحكام، وأشدهم تمسكا بالدين. أنظر: حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 181. أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 310. محمد الأمين بلغيث، **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار التنوير، الجزائر،2006 ص36 وما بعدها.

[2] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 171-172.عبد الواحد المركشي، المصدر السابق، ص 128. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص 301-302. وقد شكك بعض المؤرخين لقاء ابن تومرت للغزالي ببغداد كعبد الواحد المركشي، وابن خلدون، كما فند بشكل قطعي مؤرخون آخرون كابن الأثير مثلا لقائه به، أو التتلمذ على يديه ، فقد غادر أبو حامد الغزالي بغداد سنة 500هـ/1106، وتوفي في طوس سنة 505هـ/1111م بينما أن ابن تومرت خرج من بلده إلى المشرق سنة501هـ/1106م؛ أي بعد عام من مغادرة الغزالي مدينة بغداد، بل أن المؤرخ حسين مؤنس يشكك في وصول ابن تومرت إلى الحجاز، والشام، والعراق، ويقول أن رحلته المشرقية لم تتجاوز الاسكندرية حيث درس على بعض شيوخها كالطرطوشي وغيره ثم قفل راجعا إلى المغرب؛ كما أن المؤرخ محمد عبد الله عنان يضيف بأن فترة تواجد أبي حامد الغزالي بالمدرسة النظامية كان بين

المكرمة، وأخذ علم الشريعة، والحديث النبوي، وأصول الفقه، والدين؛ وأقام بها مدة من الزمن يظهر التعبد، والزهد، والورع، واشتهر فيها بالشدة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فأحدث فتنة، وتعصب عليه جماعة من مكة؛ فزج في السجن ثم أخرج منه، ونفي من بلاد الحرمين؛ فكر راجعا إلى المغرب[1].

-**عودة ابن تومرت إلى المغرب:** وفي طريقه إلى المغرب نزل ابن تومرت بالاسكندرية، ورأى فيها مناكير كثيرة مما جعله يعمل على تغييرها بالعنف والشدة، وقد كان ورعا، ناسكا، متقشفا،بساما في وجوه الناس، مقبلا على العبادة، فصيحا، أديبا، داهية، له قوة في الإقناع، مشهورا بنسكه، وزهده، وعلى قدر كبير من الشجاعة، وهي الصفات التي جعلته يؤثر في العامة، وفي الإسكندرية أحدث بأسلوبه العنيف في الدعوة فوضى وإضطراب؛ فنفي من الإسكندرية، وخرج منها قاصدا المغرب، وركب البحر في سنة 511هـ/1117م واستمر في دعوته وهو على ظهر السفينة إذ ألزم ركابها بإقامة الصلاة وقراءة القرآن، واشتد في ذلك حتى قيل أن ركاب السفينة ألقوه في البحر، فلبث نصف يوم وهو يسبح إلى جانب السفينة دون أن يصيبه شئ؛ فعظم أمره عند وأرجعوه إلى ظهر السفينة، وبالغوا في إكرامه[2].

ولما وصل إلى المهدية إتخذ المساجد مأوى له، فنهض للتدريس، وأقبل إليه طلاب العلم يقرأون عنه مختلف العلوم، وواصل دعوته، ورد المناكر بكسر ما رآه من آلات اللهو، وأواني الخمر؛فرفع أمره إلى أميرها العزيز بن الناصر حاكم الدولة الزيرية بين سنتي(509-515هـ/1116-1121م) فهم بالقبض عليه ففر ابن تومرت إلى بجاية[3].

سنتي 484-488هـ/1091-1095م، وفي سنة 488هـ/1095 خرج من بغداد في رحلته التأملية الشهيرة، أي قبل خروج المهدي بن تومرت من بلده. أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 195. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ص 203-204. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 161.

[1] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 171 وما بعدها. عبد الواحد المركشي، المصدر السابق، ص ص 128-129. ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص 46. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 246، 249.هشام أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس**، دار الفرقان،ط1، عمان، 1984، ص 31.

[2] عبد الواحد المركشي، المصدر السابق، ص ص 128-129. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، 164.

[3] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 174. ويرى ابن خلكان وابن الأثير أن نزول المهدي بن تومرت بالمهدية كان في سنة 505هـ/1112م في عهد الحاكم الزيري يحيى بن تميم بن المعز بن باديس (501-509هـ/1108 -1115م)، وأن يحيى لما سمع بشأنه استدعاه مع جماعة من الفقهاء؛ فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه ، وأحترمه، وسأله الدعاء، ورحل عن المدينة، وأقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة ثم سار إلى بجاية. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 195. ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص ص46-47. وأنظر: محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 164-165.

- نزول ابن تومرت ببجاية ولقاءه بعبد المؤمن بن علي الكومي بملالة:

وصل ابن تومرت إلى بجاية سنة 512هـ/1119م في عهد حاكمها الحمادي العزيز بن المنصور(498-515هـ/1105-1121م) الذي أحدث الفوضى بها بسب دعوته التي استنكره فيها مظاهر البذخ، وفقد حضر بعض الإحتفالات؛ فرأى الإختلاط بين الرجال والنساء والصبيان المتزينين والمتكحلين ما لا يحل؛ فأحدث فوضى واضطراب بدعوته، ولما سأل العزيز أعوانه عن أسباب هذا الإضطراب ووجد أن سببه هو المهدي بن تومرت، وهو ما أغضب العزيز، وأمر بإخراجه من بجاية، فخرج متوجها إلى المغرب، ونزل بضيعة يقال لها"ملالة" على بعد فرسخ من بجاية، وأقام بها أشهرا يعقد مجالس العلم والوعظ، وفي دعوته كان ينشر أفكاره السياسية ضد الحماديين، والمرابطين، ولما هم العزيز بالقبض عليه؛ فمنعه قبائل "بني ورياكل" الصنهاجية[1].

وكان المهدي بن تومرت كلما فرغ من مجلسه للتعليم يجلس على صخرة بإحدى الطرق بالقرب من ملالة إلى أن جاء اليوم الذي مر عليه فتى جميل الوجه، حسن التكوين، وهو عبد المؤمن بن علي الكومي كان يقصد المشرق لغرض أخذ العلم؛ فأغراه المهدي بملازمته، وأنه سيثريه بما حصله من معارف بالمشرق، كما دعاه إلى الوقوف بجنبه في دعوته، ومشروعه في الإصلاح بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ وإحياء العلم، فوافق عبد المؤمن بمصاحبته، وانضم إليه[2]،وإلتقى ابن تومرت بملالة أيضا بعبد الواحد الشرقي(نسبة إلى شرق المغرب الأوسط)[3].

ولما انتهى المهدي بن تومرت في تكوين نواة جماعة أتباعه ضمت ست أشخاص منهم عبد المؤمن بن علي، وعبد الواحد الشرقي، زيادة على شخصية أخرى سيكون لها شأن أكبر في دعوة

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 234-235. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 129. أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ص ص 72-73. عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 148 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص232.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 302-303. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 174-175. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 129-130. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 249. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص229.

[3] هو عبد الله الشرقي، واسمه الأول يرزيجن بن عمر، أصله من قرية ملالة ، لقي هبها المهدي بن تومرت بعد عودته من المشرق؛ فسماه عبد الواحد. البيذق(أبوبكر بن علي الصنهاجي)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور، الرباط، 1971، ص34. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 130. وتذكره بعض المصادر كابن سماك العاملي، وابن خلدون بأبي محمد عبد الله البشير, كما أن بعضهم يشير بأن لقاء المهدي بن تومرت كان بتلسمان أو بالقرب منها، وقال بعضهم أنه ألتقاه بموضع يقال له بفنزارة من بلاد متيجة إذ كان عبد المؤمن يعلم الصبيان في القرية المذكورة، كما أن لقاء ابن تومرت بالبشير يشير بعض المؤرخين بأنه إلتقاه بوانشرس بالمغرب الأوسط لما غادر ابن تومرت ملالة نحو المغرب الأقصى. أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص303. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 175. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 130.

ابن تومرت، ونقصد به عبد الله بن محسن الونشريسي المكنى بالبشير [1]، الذي درس الفقه، وكان جميلا فصيحا في العربية والبربرية؛ فأمره ابن تومرت بأن يخفي فصاحته وعلمه، وأن يظهر الجهل والعجز حتى يشتهر به بين الناس وهذا حتى يستعمله كمعجزة من معجزاته بإكتسابه العلم والفصاحة دفعة واحدة لما تحين الفرصة [2]. خرج من ملالة مع أتباعه قاصدا المغرب الأقصى فحلوا بتلمسان، وتسامع الناس به؛ وذاع صيته؛ فاستدعاه قاضي تلمسان ابن صاحب الصلاة ووبخه بالخروج على مذهب بلده، وطلب منه العدول عن مذهبه فأبى، فطرد وأتباعه من تلمسان، ومنها توجه إلى فاس وقد اجتمع له حشد كبير من الأنصار، وبفاس كان يقوم بنفس العمل الذي كان يقوم به أينما حل ببلد بإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يدعو إلى الإعتقاد على الطريقة الأشعرية، فأحظر والي المدينة ابن تومرت، وجمع له الفقهاء لمناظرته، فتغلب عليهم، وهو ما أثار حقد الفقهاء عليه؛ فطلبوا من الوالي طرده حتى لا يفتتن به طلاب العلم والعامة؛ فأمره والي المدينة بالخروج؛ متوجها إلى مراكش، وكتب بخبره إلى أمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين[3].

-وصول المهدي بن تومرت وأتباعه إلى مراكش: لما توجه ابن تومرت إلى مراكش مر في طريقه بمكناس ونهى بها عن بعض المناكير فأوقع به شرار القوم من الغوغاء؛ فأوسعوه ضربا [4]، ثم لحق بمراكش سنة 514هـ/ 1120م، ودخلها رفقة أنصاره، فقام بكسر أدوات الخمر، وإعتراض النساء السافرات وتوبيخهن؛ بل ذهب أبعد من ذلك عندما تجرأ على أخت الأمير المرابطي علي بن يوسف عندما اعترض موكبها ووربخها على سفورها، وأسقطها عن راحلتها؛ فدخلت باكية إلى أخيها الأمير؛ فاستشار الفقهاء في أمره؛ فأشاروا إلى مناظرته، فقعد مجلس المناظرة وكان غاصا بالفقهاء، وطلبة العلم، وكبار رجال الدولة، واستطاع ابن تومرت التغلب على الفقهاء فكانت بضاعته علم الكلام والفلسفة والمنطق، فكانت الأسئلة تدور حول طرق العلم، وأصول الحق والباطل،...، وغيرها من المسائل، وفي هذه المناظرة انتصر ابن تومرت على الفقهاء المالكيين

---

[1] من أهل المغرب الأوسط، لقيه المهدي بن تومرت بجبال ونشريس أثناء عودته من رحلته المشرق إلى المغرب فتتلمذ على المهدي وأعجب به، وتبعه، وصار من خواصه، وكان من العشرة الذين سارعوا إلى بيعته، توفي في معركة البحيرة بمراكش التي انهزم فيها الموحدون على أيدي المرابطين يوم السبت 2جمادى الأولى 524هـ/ 12 أفريل 1130. البيذق، المصدر السابق، ص 19.

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص48.

[3] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 173.عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 132. حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 206.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 303.

لتمكنه في الجدال والاستدلالات العقلية، وفي هذا اللقاء بدأ ابن تومرت يعظ الأمير علي بن يوسف حتى أبكاه، وهنا تنبه أحد وزراء الدولة المرابطية يقال له مالك بن وهيب لخطر ابن تومرت وشعبيته؛ فأشار إلى قتله أو سجنه؛ فأراد الأمير علي سجنه لكن أحد كبار المرابطين يقال له عمر بن بنتيان هون عليه الأمر وأشار بطرده من مدينة مراكش[1].

لكن ابن تومرت نصب خيمته في مقبرة بالقرب من مراكش، وقعد بها فقصده هناك الطلبة فيأخذون عنه العلم حتى كثر تلاميذه وأتباعه، وتكاثر عليه الناس، وأخذ يطعن في المرابطين، ويتهمهم بالكفر والتجسيم، وبأن غزوهم وإسقاط دولتهم أصبح واجبا، فانضم إلى دعوته هذه الكثير من الأنصار أحصاهم عبد الواحد المراكشي على أكثر من ألف وخمسمائة، فهدده حكام الدولة بالقتل؛ فخرج ابن تومرت وأنصاره إلى أغمات[2].

-ابن تومرت ينظم أنصاره بتنملل لمواجهة المرابطين: ولما حل ابن تومرت بأغمات واصل دعوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحريض ضد المرابطين، وهو الأمر الذي جعل صاحب المدينة يأمر بإخراجه من المدينة، وكان قبل أن يُبعد منها مع أنصاره، قد قصد أحد فقهاء أغمات من المصامدة يقال له عبد الحق بن إبراهيم، وهو من فقهاء المصامدة، وأخبره المهدي بن تومرت بمقصده ومشروعه للاطاحة بدولة المرابطين، وأشار عليه الفقيه بأن موقع أغمات لا يصلح له كمركز لمشروعه لانها جاءت في أرض منبسطة، وقريبة من عاصمة المرابطين "مراكش"، وأشار عليه بمكان أحصن من أغمات وهو موضع تنمل، وهو موطن المصامدة، وتنمل هي قرية تقع على جبل حصين(جبال الأطلس حاليا)، وهي من أكثر المواقع حصنا، وأمنا للمهدي بن تومرت وأصحابه من المرابطين، وجنودهم نظرا لتضاريسها الوعرة، وفي طريقه إلى تينمل عرج ابن تومرت على بعض قبائل المصامدة البربرية في جبال السوس فقصد أولا قبيلة مسفيوة، ثم هنتاتة، ثم إيلكين، وغيرها من القبائل، وكلما مر بهذه القبائل إلى واستقر بها مدة من الزمن يبث دعوته، ويبني المساجد، فانضم إليه الكثير من الأنصار والأتباع، ثم توجه إلى قبيلته هرغة،

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 196. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 133. ابن خلكان المصدر السابق، ج5، ص ص49-50. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 169. إبراهيم حركات، المرجع السابق، 251. وتذكر بعض المصادر كالبيذق وابن خلدون على سبيل المثال مثلا بأنه لما دخل المهدي بن تومرت إلى مراكش قصد مسجد صومعة الطوب فمكث به إلى غاية يوم الجمعة ثم أقبل على جامع علي بن يوسف بن تاشفين فوجد علي بن يوسف قاعدا والوزراء واقفون فوعظه ثم خرج إلى باب المسجد وقعد حتى خرج الناس من المسجد ثم دخل مع الفقهاء في مناظرة إلى أن انتصر عليهم، ثم خرج إلى مسجد عرفة فمكث فيه أياما عديدة إلى أن جاءت المناظرة التي كانت في بلاط الأمير علي بن يوسف بن تاشفين. البيذق ، المصدر السابق، ص27. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 303.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 196. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 133. إبراهيم حركات، المرجع السابق، 251.

واستقر فيها سنة 515هـ/1121م في مكان حصين يعرف بإيجليز(يعني الجبل) حيث كان يدرس العلم، ويهاجر إليه الطلاب والأنصار، ويخاطب القبائل للانضمام إليه ثم انتقل بعد ثلاث سنوات إلى تينمل، ومنها بدأ يدعوا الناس للهجرة إليه، والإنضمام إلى دعوته[1].

وتعد سنة 515هـ/1121م بداية الدعوة الرسمية للمهدي بن تومرت ضد المرابطين؛ فقد بدأ يدعوهم إلى التوحيد، وإلى قتال المرابطين المجسمين- في نظره- كما اشتغل بتعليم طلبته، ويركز لهم على قضية المهدي المنتظر، والإمام المعصوم، وما أوردته الأحاديث النبوية، والأقوال المأثورة عنه، كما وزع خاصته من دعاته بين رؤساء القبائل يمهدون للدعوة، ويبشرون بها إلى أن أعلن عن إمامته في يوم 15 رمضان 515هـ/ديسمبر 1121م حيث قام المهدي بن تومرت خطيبا في أصحابه تحت شجرة الخروب، وأعلن أنه المهدي المنتظر [2]، ثم بدأ ينظم أنصاره في تنظيم ديني وعسكري على شكل طبقات هرمية بحسب الأقرب إليه، وأسبقية الناس إلى اعتناق دعوته؛ فكان التنظيم كالآتي[3] :

-**إيت العشرة(أهل العشرة):** أو مجلس العشر، وهم الملازمين لابن تومرت وأول من بايعوه على أنه المهدي المنتظر، والإمام المعصوم، ويضم هذا المجلس عبد المؤمن بن علي الكومي، وعبد الواحد الشرقي، وأبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي المعروف بالبشير، وعبد الله بن ملويات وأبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني، وأبو حفص عمر بن علي أزناج (أصناك)، وغيرهم، وسمي هؤلاء العشرة بالمهاجرين الأولين وبالجماعة، ويعد مجلس العشرة الهيئة التنفيذية للدعوة، أي كالحكومة في عصرنا الحالي التي تصدر هنها القرارات، والمخطط الأول للعمل السياسي والعقائدي.

-**إيت الخمسين:** أو مجلس الخمسين ، ويضم مجموعة من رؤساء القبائل، ومهمته سياسية واستشارية.

-**إيت السبعين:** وهو مجلس دون سابقه من حيث الأهمية والدور.

---

[1] ابن القطان المراكشي(أبو محمد حسن بن علي)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، دراسة وتقديم وتحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط 2، بيروت، ص 78. ابن خلكان، المصدر السابق، ج 5، ص ص 50-51. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 303. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق،172.

[2] البيذق، المصدر السابق، ص35. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 175-176. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص176. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 133-134. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 304.

[3] البيذق، المصدر السابق، ص ص 34-35. ابن القطان المراكشي، المصدر السابق، ص 82. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 176 وما بعدها. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 134 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 304.حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 181.إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 252 وما بعدها.

وتعد الطبقات الثلاث السالفة الذكر أخلص أنصار المهدي بن تومرت، ثم تأتي بعد تلك الطبقات الأخرى، فضمت الطبقة الرابعة: الطلبة، ثم تليها الطبقة الخامسة، وهي طبقة الحفاظ والتي تضم صغار الطلبة، ثم الطبقة السادسة التي تسمى أهل الدار ، وهم أهل بيت المهدي بن تومرت، مع العلم أنه لم يتزوج أو ينجب، وإنما يقصد بهم أهل خدمته، وأقاربه، وعشيرته، ثم الطبقة السابعة هي أهل قبيلته هرغة وموطنه، والطبقة الثامنة تختص بأهل تنملل، والطبقة التاسعة لقبيلة جدميوه، والطبقة العاشرة لقبيلة جنفيسة، والطبقة الحادية عشر لأهل هنتاتة، والطبقة الثانية عشر لاهل القبائل التي حول مراكش كقبيلة هزمير، وهيلانة، وهزرجة، والطبقة الثالثة عشر هي الغِرَّات، أي الأحداث الصغار الأميون[1].

وقد وضع المهدي بن تومرت نظاما صارما لمهام كل طبقة، وجعل لكل منها مهام تختص بها ورتب لا تتعداها سواء في السفر أو الحضر، وشرع حتى القتل لمن خالف الأوامر، والتأديب لمن تخلف عن الحضور، والقتل إذا تكرر الغياب، وشدد ابن تومرت في تنفيذ قوانينه، وضبط الأمور بحزم، وكان هذا النظام هو أساس الدولة الموحدية[2].

ووضع ابن تومرت عقيدة التوحيد باللغة البربرية في كتب ألفها منها كتابه "المرشدة"، وكتب أخرى بالعربية والبربرية في العقيدة، والمواعظ، والأمثال ككتاب " القواعد"، وآخر سماه "الأمانة"، وكتب أخرى بالعربية أملاها على عبد المؤمن بن علي ككتاب"أعز مايطلب" التي جمع فيها عقائد المهدي على مذهب أبي الحسن الأشعري، زيادة على آراؤه الدينية والسياسية[3].

وقام ابن تومرت ببناء داره، ومسجد بتنملل، وسوّر البلد، وبنى قلعة حصينة على قمة الجبل، وواصل ببث دعوته بين القبائل، ومن أقوى قبائل المصامدة التي انضمت إليه هرغة، هنتاتة (إينتي)، وهيلانة (إيت إيلان)، وهرغة، وتحولت تنملل إلى مركز كبير لدعوته، ولما انتهى من تنظيم دعوته، وتدعيمها بالهياكل، قام بشن حملاته ضد القبائل التي تخلفت عن بيعته من المصامدة كقبيلة هَزْرَجَة، فدخل معهم في مواجهات كثيرة أدت في الأخيرة إلى الخضوع والطاعة ثم توجه إلى قبيلة هسكورة التي خضعت له بعد حروب، وبعدها بدأ بغزو المرابطين الذين كانوا في هذه الفترة قد دخلوا في مرحلة الضعف والإنحلال، وكان ابن تومرت على رأس جماعته ضم يليه عبد المؤمن بن علي ثم الشيخ أبو حفص عمر إينتي الهنتاتي، وكان أفراد عائلة بيت عبد

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 41-42. ابن القطان، المصدر السابق، ص 82. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 173-174. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 181.

[2] ابن القطان، المصدر السابق، ص 83. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص174- 175.

[3] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 179-180. عبد الواحد المراكش، المصدر السابق، ص 134. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص175. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص229.

المؤمن بن علي يسمون السادة، بينما بيت أبي حفص الهنتاتي يلقبون بالأشياخ، ومن هذين البيتين كانت تتكون رئاسة الجماعة، واما بيت ابن تومرت فكان يسمى أهل الدار كما ذُكر سابقا[1].

-حروب الموحدين ضد المرابطين في عهد المهدي بن تومرت: أدرك المرابطون بعد فوات الآوان خطورة حركة المهدي بن تومرت؛ فعملوا على تشويه سمعته، والتشهير بأنصاره للحيلولة دون إنضمام بقية قبائل السوس إليهم، وأشاعوا بأن الموحدين خوارج، ولما فشلوا في ذلك جهزوا الجيوش للقضاء على ابن تومرت وأنصاره، فبعث المرابطون ثلاث حملات على التوالي، الأولى بقيادة إبراهيم بن تعيشت عاملهم على بلاد السوس، والثانية بقيادة الأمير أبي إبراهيم إسحاق، والثالثة بقيادة سير بن فودي ومهدي بن توالي، وقد فشلت هذه الحملات الثلاث، وألحق بها ابن تومرت الهزيمة[2].

بعد انتصار الموحدين على المرابطين، قويت شوكة المهدي بن تومرت، وذاع صيته في المغرب والأندلس، فانتهز المهدي انتصاراته على المرابطين بشن العديد من الحروب ضد القبائل المجاورة والمرابطين سماها البيذق، وابن القطان بالغزوات، وقد عددها البيذق بتسع غزوات قام بقيادتها المهدي بن تومرت في سنة 516هـ/1122م أو 517هـ/1123م، انتصر في معظمها الموحدون ماعدا الغزوة الثانية التي انتصر فيها المرابطون بقيادة سليمان بن يكد، وابن أبي فراس، وعبد الرحمن قاضي السوس ويانو، والغزوة الخامسة التي سقط فيها ابن تومرت جريحا، والغزوة السادسة التي لم ينتصر فيها أي طرف، وأما الغزوة السابعة التي قام بها المهدي بن تومرت ضد قبيلة هسكورة قبل خضوعها للموحدين، فقد نشبت المعركة بمكان يقال له "أَزليم" وهي المعركة التي سقط فيها ابن تومرت، وشج رأسه؛ فحمله أصحابه إلى داره[3].

سطر الموحدون بعد نجاح أغلب حروبهم على حصون المرابطين في وادي نفيس، وبلاد هزرجة واغمات هدفهم التالي بغزو مدينة مراكش عاصمة المرابطين بقيادة عبد المؤمن بن علي؛ إذ تنازل له ابن تومرت على القيادة العسكرية والتخطيط السياسي، بينما احتفظ لنفسه الزعامة الروحية والعقائدية، وفي سنة 521هـ/1127م أرسل المهدي بن تومرت جيشا كبيرا بقيادة عبد المؤمن بن علي بلغ تعداده أربعين ألف راجل، وأربعمائة فارس لغزو مدينة مراكش؛ فخرج للقائهم أمير المرابطين علي بن يوسف لكنه انهزم أمام الموحدين، وولى خائبا إلى مراكش، وتحصن بها، ثم

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 304.حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي، ص 181.

[2] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 178-179. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص ص 40-42

[3] البيذق، المصدر السابق، ص35 وما بعدها. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 200. ابن القطان، المصدر السابق، ص 130. محمد عبد الله عنان المرجع السابق، ص 180. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 41.

خرج المرابطون من مراكش لمواجهة الموحدين فانهزموا للمرة الثانية، وتراجعوا إلى مراكش، ثم توالت المواجهات بين الطرفين إنهزم فيها المرابطين للمرة الثالثة والرابعة إلى أن جهز ابن تومرت جيشا ضخما لغزو مراكش، وجعل على قيادته محمد البشير، وجعل على الصلاة عبد المؤمن بن علي، وسار هذا الجيش؛ فانتصر في طريقه على جيش المرابطين بقيادة الأمير الزبير بن علي بن يوسف ثم واصل زحفه حتى وصل إلى مراكش؛ فحاصرها[1].

حاصر الموحدون مدينة مراكش مدة أربعين يوما؛ وفي خلال هذه المدة أرسل أمير المرابطين علي بن يوسف طلب النجدة من ولاته بالمغرب، فبلغه المدد من والي سجلماسة الذي جمع جيشا كثيرا، وسار به إلى مراكش، فلما قارب معسكر الموحدين، خرج اهل مراكش من غير الجهة التي أقبل منها، ونشب القتال بين المرابطين والموحدين في موضع بالقرب من مراكش يعرف بـ: البحيرة والتي يقصد بها عند المغاربة بالبستان، وانتصر في هذه المعركة المرابطون، وقتل فيها الكثير من الموحدين، وكان من بينهم قائد الموحدين محمد البشير، وقد دفنه عبد المؤمن بن علي في سرية من جنده الذين سألوا عنه؛ فقال أنه استشهد، ورفعته الملائكة إلى السماء، ثم رجع ما تبقى من جند الموحدين في جنح الليل[2].

واستقبل المهدي بن تومرت خبر هزيمة الموحدين في وقعة البحيرة وهو على فراش المرض بحزن بالغ، واشتد ألمه أكثر بهذا الخبر، وكان قد سأل اصحابه عن عبد المؤمن بن علي؛ فقيل له بأنه خرج حيا من المعركة، فطمأنهم، واعتبر بأن نجاة عبد المؤمن بن علي هو نجاة الموحدين كلهم، وعلامة على بقاء أمرهم، ثم توفي بعد أشهر من هذه الهزيمة في رمضان سنة 524هـ/ أوت 1130م، وكان قد أوصى بدفنه بجامع تنملل، وخلفه في قيادة الموحدين عبد المؤمن بن علي فتمت له البيعة الخاصة في 524هـ/1130م، وتم إخفاء موت المهدي بن تومرت ثلاث سنوات قام الموحدون خلالها بشن الغارات على المرابطين، ثم أعلن عن وفاة المهدي بن تومرت رسميا في سنة 527هـ/1133م[3].

---

[1] ابن القطان، المصدر السابق، ص 130. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 184-185. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص ص 137-138. محمد عبد الله عنان المرجع السابق، ص ص 185-186. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص ص 42-43.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 200. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص186.

[3] اختلف المؤرخون في قضية تعيين عبد المؤمن بن علي الكومي خليفة للمهدي بن تومرت؛ فابن أثير مثلا يقول بأن ابن تومرت هو الذي أوصى قبل وفاته أصحابه بإتباع عبد المؤمن بن علي، وتقديمه، وتسليم الأمر إليه، والإنقياد له، ولقبه بأمير المؤمنين ، بينما يقول بأن تعيين عبد المؤمن بن علي كان بفضل ثلاث أشياخ وهم: عمر أصناج، وعبد الرحمن بن زجو، وأبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي، وفيه رأي ثالث ينسب إلى ابن صاحب الصلاة يرى بأن تنصيبه كان بدهاء، وحيلة من عبد المؤمن بن علي نفسه للتأثير على كبار شيوخ الموحدين بتعيينه. أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 201.ابن القطان، المصدر

ومما سبق ذكره حول دعوة المهدي بن تومرت فإنه يمكن الإستنتاج بأنها قامت على أساسين:

-الأول: وهو طموح شخصي سياسي للمهدي بن تومرت، وأراد أن يؤسس دولة بدل دولة المرابطين.

-وأما الأساس الثاني: فهو نزعة قبلية عنصرية، تكمن في رغبته بتزعم قبيلته مصمودة بدل قبيلة صنهاجة في حكم المغرب.

-حروب عبد المؤمن بن علي ضد المرابطين: بعد أن تولى عبد المؤمن بن علي قيادة الموحدين على إثر وفاة المهدي بن تومرت سنة 524هـ/1130م، قام بشن الغارات على المرابطين؛ فارسل جيشين للغزو سنة 526هـ/1132م، استطاع الجيش الأول بقيادة عبد الرحمن بن زجو الانتصار على المرابطين، وأما الجيش الثاني فقد هاجم حصن تسغيموت؛ فقتل الموحدون قائد الحامية المرابطية أبا بكر بن ورصوال، وفي شهر شوال من نفس السنة سار عبد المؤمن بن علي بجيش يتألف من ثلاثين ألف مقاتل، وضرب حصار على مراكش، لكنه لم يستطع اقتحامها نظرا لمناعتها؛ فسار بناحية نادلة في وادي درعة، فافتتح حصن درعة، وحصن هزرجة، وبلاد جلاوة، ثم سار إلى سلا؛ فهاجم قلعة تازاجورت واقتحمها وقتل قائدها، ثم عاد إلى بلاد السوس؛ فاستولى في طريقه على مدينة تيونوين، ثم قبائل بلاد السوس فقتل كل من اعترض طريقه، وامتنع عن مبايعته، وعاد إلى تنملل[1].

وواصل الموحدون حروبهم فكانوا يحققون النصر بعد النصر على المرابطين، وفي سنة 528هـ/ 1134م تلقب عبد المؤمن بن علي بأمير المسلمين، وأمر بسك نقود جديدة مربعة الجوانب تمييزا عن نقود المرابطين[2].

جهز عبد المؤمن بن علي غزوة عظيمة استمرت طيلة سبع سنوات(534-541هـ/1139-1146م)، أستطاع أن يفتتح فيها الحصون، والمدن، إذ لم يكتف بتلك الأقاليم والأمصار التابعة للمرابطين في المغرب والأندلس بل توسع شرقا على حساب الحماديين والزيريين إلى أن وصلت جيوشه إلى مشارف برقة شرقا، وهي أقصى حدود الدولة الموحدية من ناحية الشرق، فحقق بذلك أول وحدة سياسية في الغرب الإسلامي ضمت المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط، والمغرب

السابق، ص ص 160-161. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 188. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 138. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 305. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 179-180. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص ص 190-191. إبراهيم حركات، المرجع السابق، 255. هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 44. صالح بن قربة، **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1991، ص20.

[1] هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 45.

[2] محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 527.

الأدنى، والأندلس، والسودان، وقد حاصر عبد المؤمن بن علي مراكش عاصمة المرابطين حتى سقطت في يد الموحدين في 18 شوال سنة 541هـ/24 مارس سنة 1146م[1].

ب)-أمراء الدولة الموحدين:

-عبد المؤمن بن علي الكومي(541-558هـ/1147-1162م): يكنى بأبي محمد الكومي،ولد بمدينة تاجرت قرب تلمسان بالمغرب الأوسط، وقد نشأ وتعلم فيها، كان عاقلا، حازما، شجاعا كثير البذل للأموال، شاعرا، وأديبا ناقدا، ومن أهم أعماله زيادة على ماسبق ذكره في الدعوة الموحدية، أنه بعد تأسيس الدولة الموحدية أنشأ الأساطيل، وفرض الخراج على القبائل، وقد قام عبد المؤمن بن علي الكومي ببناء نواة مدينة الرباط سنة 545هـ/1150م، ونقلها من مجرد رباط إلى قصبة تحتوي على مسجد جامع، والكثير من القصور ودعمها بأنابيب المياه من موضع يقال له عين غبولة[2]، فانتشرت الجنان والبساتين، وأمر الناس بتعمير هذه القصبة، وبناء الد ور، والأسواق فعمرت، ومُصرت ثم بنا أسوارها من جهة الجوف والغرب، وأطلق عليها اسم المهدية تيمنا بالمهدي بن تومرت ، وتوفي عبد المؤمن بن علي بالرباط، وهو في طريقه إلى الأندلس مجاهدا ودفن بتنملل قرب قبر ابن تومرت[3].

-أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ/1163-1184م): ولد سنة 533هـ/ 1138م بتينملل، كان يستخلفه والده عبد المؤمن على مراكش كلما خرج منها، ثم عين واليا على اشبيلية في أيام حكم أبيه، وتولى بعد وفاة بفضل الدور الذي قام به أبو حفص الهنتاتي حيث بويع له في اشبيلية سنة 558هـ/1163م، ثم البيعة العامة بمراكش سنة 560هـ/1165م، تابع سياسة والده، وتلقب بالأمير، ولم يتخذ لقب الخليفة إلا بعد أربع سنوات من توليته، كان فقيها حافظا، يتقن علوم اللغة، وله عناية بدراسة الفلسفة، والطب، وعرف بلاطه حضور العلماء والفقهاء؛ فكان من جلسائه الفيلسوف أبو الوليد بن رشد الحفيد ، وأبوبكر بن طفيل، عين ابنه يعقوب وزيرا له في أواخر أيامه[4].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 4، ص 79 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص251-252. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 193 ومابعدها. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 165-166.الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص127.إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 168.صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 27 وما بعدها.

[2] تبعد عن مدينة الرباط الحالية بنحو عشرين كيلو متر. عبد الله السويسي، **تاريخ رباط الفتح**، مطبوعات دار المغرب، الرباط، 1979، ص05.

[3] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص 357-358.ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ص 357. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 170. صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 48.

[4] السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص ص 163-164. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص 168- 169. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 241.

ومن أهم أعماله: بناء مسجد اشبيلية الذي أتمه سنة 567هـ/1172م، وتنسب إليه الدنانير "اليوسفية" اشتهر كذلك بغزواته على ممالك النصارى في شمال الأندلس التي انتهى بها وهو يحاصر مدينة شنترين، أصيب بجراح من حامية تابعة لإحدى ممالك النصارى ؛ فتوفي وهو عائد من حصاره لشنترين، بالقرب من الجزيرة الخضراء، وحُمل إلى تينملل ودفن بها[1].

-أبو يوسف يعقوب المنصور(580-595هـ/1184-1198م): ولد سنة 554هـ/1160م بمراكش، بويع له بعد وفاة أبيه، وكان معه في وقعة شنترين؛ فرجع إلى اشبيلية واستكمل البيعة، استطاع أن يقضي على حركة ابن غانية الذي تمرد عليه في المغرب والجزائر الشرقية سنة 583هـ/1187م، استانف حركة الجهاد ضد ممالك النصارى بشمال الأندلس الذين تحرشوا بقرطبة واشبيلية، وأحواز إستجة،وجنوبي الأندلس؛ فعبر على رأس جيش ضخم إلى الأندلس، فاخترق مملكة قشتالة، وفتح طليطلة، ولما علم ألفونسو الثامن ملك قشتالة بخبره خرج بجيشه إلى أن وصل إلى قلعة الأرك، وفي هذا الموضع جرت المعركة بين الموحدين والقشتاليين في 9 شعبان 591هـ/18 جويلية 1195م انتهت بإنتصار المسلمين[2].

اشتهر المنصور بمآثره العمرانية، ومنها إتمامه لبناء مدينة الرباط، وبناءه مدينة المنصورة بالقرب وبنى مسجد سلا الكبير، ومدرسته الجوفية، وبنى جامع حسان، ولم يتممه، وصومعة الخيرالدة بإشبيلية، وبمراكش بنى الجامع الأعظم، وصومعة الكتبيين، ومارستانا (مستشفى) للمرضى دشنه سنة585هـ/1189م مجهزا بالمتنزهات، والمياه، والنباتات، والأشجار ،والأطعمة، والأشربة للمرضى المقيمين فيه، كما قام بتدعيم المدينة بقنوات المياه والري لغرض السقاية؛ فكانت هذه القنوات تخرج من قصره؛ فتدخل المدينة من جهة القبلة إلى وسطها ، والمنصور هو بنى قصور البحيرة سنة 567هـ/ 1171م أثناء مقامه في إشبيلية[3].

-محمد الناصر بن يعقوب (595-610هـ/ 1199-1213م): يكنى بأبي عبد الله، بويع له في حياة أبيه، ثم جددت له البيعة بعد وفاة أبيه، بدأ محمد الناصر في بداية حكمه بإخماد الثورات التي قامت في عهده، ومنها تمرد عليه يحيى بن إسحاق المسوفي المعروف بابن غانية الذي

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص384-385. السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص164. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 241.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 216 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، 325 وما بعدها. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 239 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 203.

[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 167. ابن خلكان، المصدر السابق، ج 7، ص 9. الحميري المصدر السابق، ص541. الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1983 ج1، ص 198. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص 279-280.

استولى على طرابلس، والمهدية، وصفاقس، وقابس والقيروان، وتونس، وبلاد الجريد؛ وتبسة؛ فخرج إليه الناصر، واستطاع أن يخمد حركته، وقتله سنة 602هـ/1206م، كما أخمد ثورات بقايا المرابطين في جبال غمارة، وفي الجزائر الشرقية، حيث أرسل حملة بحرية إلى جزيرة ميورقة، وقتل زعيم هذه الحركة عبد الله بن إسحاق الميورقي سنة 604هـ/ 1207-1208م، وفي عصره حدثت معركة حصن العقاب الشهيرة بالأندلس سنة 609هـ/ 1212 بين الموحدين، ونصارى الشمال الذين تدعموا بقوات من أوروبا وفدت من فرنسا، وإيطاليا زيادة على مباركة البابا لهذا الإتحاد؛ فقد أعطاها صبغة حرب صليبية ضد المسلمين في الأندلس، وكانت نتيجة انهزام الموحدين على يد ألفونسو الثامن ملك قشتالة وحلفاؤه، وقُتل الكثير من المسلمين، ولقد أحدثت نتائج هذه المعركة آثارا سلبية أخرى على المسلمين في الأندلس، فقد إستولى النصارى على الكثير من الحصون الأندلسية كفرال، وبلج، وبانيوس، وتولوزا، كما أن الخليفة الموحدي محمد الناصر تأثر بهذه الهزيمة؛ فقد قصد بعدها اشبيلية، ومنها توجه إلى المغرب، فزهد في الحكم، واحتجب في قصره بمراكش، وانغمس في اللهو، والملذات، ثم أصيب بمرض، وتوفي، ويعد تعيينه للوزير ابن جامع الإسباني الأصل أسوأ أعماله في آواخر حياته، فقد كان له دور خطير على مستقبل الدولة الموحدية، وهذا الوزير أحد القادة السيئين الذين كانوا سببا في انهزام المسلمين بحصن العقاب زيادة على أسباب أخرى لا يتسع المقام لذكرها[1].

وبوفاة محمد الناصر انتهت مرحلة القوة لدولة الموحدين؛ فدخلت في مرحلة الضعف والإنهيار في عصور الحكام الذين أتوا من بعده ضعفاء الشخصية، زيادة على كثرة الفتن والاضطرابات التي أدت إلى تفكك وحدة الدولة .

-يوسف المستنصر أو المنتصر بن محمد(610-620هـ/1213-1223م): يكنى بأبي يعقوب، بويع له وسنه عشر سنة، وقيل ستة عشر سنة، ونظرا لصغره سنه فلم يكن على مستوى مسؤولية الحكم، فغلب عليه حياة اللهو، والإنغماس في الملذات، ولم تكن له غزوة أو عمل قام به بنفسه، بل تذكر المصادر كابن سماك العاملي بأنه لم يخرج من مراكش أبدا إلا لمدينة تينملل لزيارة ضريح المهدي كما هي عادة أسلافه من الحكام الموحدين، وقد ترك تدبير أمور الدولة لأعمامه، وبعض وزراءه السيئين كابن جامع وزير أبيه، وقد عين يوسف المستنصر عمه عبد الله

[1] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 225وما بعدها.الناصر السلاوي، المصدر السابق،ص 189 وما بعدها. ابن خلدون المصدر السابق،ج6، ص331. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 231 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7 ص 145. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص281 وما بعدها.

على بلنسية، ودانية،وشاطبة، ومرسية، وعين على غرناطة عمه أبا الحسن، وأما قرطبة فقد عين عليها عمه أبا العلاء إدريس، وعين على أبي إبراهيم الذي تلقب بالظاهر، وبأبي المرتضى[1].

وفي عهده ظهر أمر بني مرين سنة 613هـ/1217م الذي كانوا بدوا رحل يتنقلون بين بسكرة وسجلماسة؛ فعندما هاجمهم أبو إبراهيم عامل فاس في ناحية الريف، تمكنوا من التغلب عليه؛ فاعتقلوه، ثم أطلقوا سراحه، ومنها استفحل أمرهم وأصبحوا خطرا على الدولة الموحدية، كما ضعف الأندلس لضعف ولاتها؛ فقد كان أبو علي والي اشبيلية مثلا جماعا للمال من خلال بيع المناصب بما فيها مناصب القضاة، وهو ما جعل نظرة الدولة تسقط في أعين الفقهاء والعلماء وحتى العامة، واستغل النصارى هذا الضعف بالاستيلاء على الحصون والقلاع التي كانت بأيدي المسلمين؛ فسقط في أيديهم حصن القصر، والقنطرة، وانهزم المسلمين أمام النصارى في موقعة قصر أبي دابس الذي سيطروا وضموه إلى ماضفروا به سابقا في معركة حصن العقاب، وقد توفي يوسف المستنصر، وهو يلهو بين أبقاره في بستان له؛ فطعنته بقرة بقرنها في قلبه؛ فقتلته[2].

- **عبد الواحد المخلوع بن يوسف(620هـ/1223م):** لم يعقب يوسف المستنصر؛ فاجتمع كبار الدولة وشيوخ الموحدين، وبتدبير من الوزير ابن جامع تم تعيين أبي مالك عبد الواحد، ويذكره ابن سماك العاملي بانه عم والد يوسف المستنصر بينما يذكر ابن خلدون بأنه أخو المستنصر[3].

وبويع له بمراكش، وهو في سن الشيخوخة؛ وكان عالما متورعا، فاضلا، مجاب الدعوة، واستقام له الأمر نحو شهرين ثم انتفضت عليه الإمارات، فكان حكمه محصورا في المغرب الأقصى إلا بعض الأقاليم،وكانت أولى قراراته أن أمر بإطلاق سراح الوزير السابق أبي زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجان على الرغم من معارضة الوزير ابن جامع، ولما أطلق سراحه نفي بن يوجان إلى جزيرة ميورقة، ولما وصل إلى الأندلس اعتقل مجددا، وسجن في حصن جنجالة، ولم يطلق سراحه إلا بعد وفاة الوزير ابن جامع، وخرج على عبد الواحد بالأندلس ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور والي مرسية، الذي استوزر ابن يوجان بعد أن أطلق سراحه، فقام هذا الأخير بتحريضه للتغلب على عبد الواحد، فنهض أبو محمد عبد الله العادل، واستدعى أشياخ الموحدين والفقهاء،والأعيان، ودعاهم إلى مبايعته؛ فبايعوه، وتسمى بالعادل في أحكام الله، وبايعه إخوته ولاة

---

[1] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 245. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص331. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 559.

[2] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 246. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 242- 243. الناصري السلاوي المصدر السابق، ص ص194-195. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 248.

[3] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 246. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6 ص338. ابن أبي زرع، المصدر السابق ص243. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 288. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص195.

قرطبة وغرناطة، ومالقة، وكذلك بايعه أحد أحفاد عبد المؤمن، وهو أبو محمد عبد الله بن أبي عبد الله المعروف بالبياسي صاحب جيان، وخُلع عبد الواحد بعد قرابة ثمانية أشهر من مبايعته؛ فلُقب بالمخلوع ثم قُتل خنقا في قصره من طرف بعض أشياخ الموحدين، هذا الخنق الذي سيصبح تقليدا فيما بعد من طرف أشياخ الموحدين كلما نقموا من حكامهم[1].

-عبد الله العادل بن يعقوب(621-624هـ/1224-1226م): بويع له البيعة الأولى في مرسية في منتصف صفر؛ إذ كان أميرا عليها، ثم جاءته بيعة أهل مراكش بالخلافة بعد خلع عمه عبد الواحد بن يوسف في أواخر شعبان، وفوض أمر الأندلس إلى أخيه أبي العلاء، وتوجه نحو مراكش حيث خطب له بها[2].

تخلف على بيعة العادل بنو حفص في إفريقية الذين كانوا يمهدون للإستقلال عن الموحدين كما أن أبا زيد بن أبي عبد الله أخو البياسي والي بلنسية، ودانية، وشاطبة قد امتنع عن مبايعة العادل ولما رأى أبو محمد عبد الله البياسي أن أخاه استطاع أن ينفرد بحكم الولايات الاندلسية الشرقية السابقة الذكر، أعلن خلعه لطاعة العادل، ودعا لنفسه وتلقب بالظافر، ودخلت في طاعته ولايات الأندلس الوسطى كجيان، وأبدة، وقيجاطة، وبياسة؛ فأرسل له العادل قوة عسكرية من إشبيلية بقيادة أخيه أبا العلاء؛ فخرج أبو محمد عبد الله من جيان إلى بياسة وامتنع بها، ومنها أصبح يطلق عليه البياسي، وقد بعث هذا الأخير إلى فرناندو الثالث ملك قشتالة يستنصر به على العادل، وعقد معه تحالف يتنازل له بموجبه على بعض الحصون مقابل أن يدعمه بجيوشه ضد العادل الموحدي، وبموجب هذا الاتفاق سقطت العديد من المدن، والحصون، ومنها على سبيل المثال: قيجاطة سنة 622هـ/1224م، وحصن مرتُش، وأندوجر في صيف 623هـ/ 1225م، كما حاصر القشتاليون جيان التي استعصت عليهم، وسقطت في أيدي القشتاليين كذلك القيذاق، وباغة ولوشة، وضم البياسي قرطبة إلى ممتلكاته فأصبح يحكم بياسة وقرطبة، وكل المناطق والحصون الواقعة بين اشبيلية وقرطبة[3].

وطمع البياسي بضم اشبيلية إلى ممتلكاته فجهز قواته وسار نحوها، وحاول أن يضرب حولها الحصار لكن أبي العلا خرج له بجيشه وأهل اشبيلية، فجرت المعركة بين الطرفين في 25 صفر 623م/ 25 فيفري 1226م انتهت بهزيمة البياسي، وهروبه نحو قرطبة، واستطاع الموحدون أن

---

[1] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 246-247. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6 ص338. ابن أبي زرع، المصدر السابق ص243. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص195-196. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 178.

[2] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 247. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص 196. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 146.

[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص 351 وما بعدها.

يسترجعوا بعض الحصون من ممتلكات البياسي كطلياطة، وحصن القصر، كما انتفض أهل قرطبة ضد البياسي الذين حاصروه في حصن المدور؛ فاقتحموه وقتلوه وأرسلوا رأسه إلى أبي العلا باشبيلية، الذي أرسله بدوره مع كتاب إلى أخيه العادل بمراكش، فرد عليه العادل بكتاب يعين بمقتضاه أخاه أبو العلاء على اشبيلية وقرطبة[1].

وأما في المغرب فقد عرف الاضطراب والفوضى بسبب تمرد القبائل العربية والبربرية؛ فقد ثار عرب الخلط بقيادة شيخهم هلال بن مقدم بنواحي مراكش، ولم يستطع العادل إخضاعهم حتى أنهم قتلوا أحد قواده بها، وكذلك قبيلة هنتاتة البربرية، وأهل تينملل الذين تمردوا على الدولة وتغلب شيوخها ابن الشهيد، ويوسف بن علي، وأما قبيلة هسكورة بقيادة شيخها عمر بن وقاريط فقد أصبح خطرها يهدد العاصمة مراكش، زيادة على ماسبق فقد استفحل أمر المرينيين، وتغلبوا على الكثير من النواحي، والقبائل، وفرضوا المغارم والأتاوات على المدن القريبة من موطنهم مثل فاس، وتازا ومكناسة، ولما علم أبو العلا إدريس بهذه الإضطرابات في المغرب خرج على أخيه العادل، وخلع طاعته، ودعا لنفسه في إشبيلية في 2 شوال 624هـ/ 15 سبتمبر 1227م، وتلقب بالمأمون، وأما العادل، فقد حاول أشياخ الموحدين أن يرغموه للتنازل عن الخلافة لأخيه المأمون لكنه رفض؛ فقتلوه خنقا[2].

-إدريس المأمون بن يعقوب(624-629هـ/1226-1231م): بايعه بعض ولاة الأندلس ومنهم والي بلنسية السيد أبوزيد، وأما في المغرب فقد بايعته سبتة، وطنجة زيادة على أشياخ الموحدين بمراكش، وصف بالشجاعة، وبالعلم؛ فقد كان عالما أديبا، وشاعرا فصيحا، فقيها، حافظا للحديث، ضابطا للرواية، عارفا بالقراءات، حسن الصوت، والتلاوة، مقدما في علم اللغة العربية، والتاريخ كاتبا بليغا، ولكنه في نفس الوقت كان جبارا، فتاكا؛ إذ شبه في صرامته بالحجاج بن يوسف الثقفي(ت95هـ/ 714م)، ومن أهم أعماله بناء قصر السيد بمالقة عندما كان واليا عليها سنة 623هـ/ 1225م، كما أنه أمر بنزع إسم المهدي من السكة، وترك الدعاء له في الخطبة، وأزال اسمه من جميع رسوم الدولة الموحدية مما كان العمل به قبل توليه، وفرض المذهب المالكي[3].

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 340. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص ص 360-361.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6 ص339. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 247. الناصري السلاوي، المصدر السابق ص196-197. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص560- 561. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص289.

[3] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 247 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص340. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص249. الناصري السلاوي، المصدر السابق ص200. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص289. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج1، ص 281.

وعرفت بداية حكمه عدول أشياخ الموحدين عن بيعته خوفا من بطشه، وسطوته، وخوفا من أن يطالبهم بثأر من قتلوه من قرابته(عمه عبد الواحد المخلوع، ثم أخاه العادل)؛ فبايعوا يحيى بن الناصر رغم صغر سنه؛ فقد كان لا يتجاوز ستة عشر سنة، الذي تلقب بالمعتصم، وامتنع عن بيعة هذا الأخير عرب الخلط، وقبائل هسكورة، ولما علم المأمون وهو في الأندلس بعدول أشياخ الموحدين عن بيعته استنجد بملك قشتالة الذي دعمه بجيش من المقاتلين مقابل الكثير من التنازلات من طرف المأمون منها، حصول القشتاليين على عشرة حصون من الثغور يختارها الملك فرناندوا الثالث بنفسه، زيادة على السماح ببناء كنيسة قشتالية بمراكش، فعبر المأمون بجيشه من الموحدين والقوة القشتالية إلى المغرب عبر الجزيرة الخضراء، وسبتة في رمضان سنة627هـ/1229م، وهو أول حاكم مسلم يدخل جند النصارى أرض المغرب، فدخل في حرب مع ابن أخيه يحيى المعتصم وحلفاءه من أشياخ الموحدين بجبل إيجليز، بالقرب من مراكش انتهت بإنتصار المأمون، وفر يحيى المعتصم إلى جبل هنتاتة، ودخل المأمون الحاضرة مراكش، وأول عمل قام به إستدعائه لأشياخ الموحدين، ومنهم أشياخ هنتاتة وتينملل الذين نقضوا بيعته؛ فقتلهم بفتوى القاضي المكيدي الذي حضر معه من إشبيلية، وقد بلغ عدد القتلى ما لا يعد ولا يحصى، وقيل بأنه ساق من رؤوسهم إلى مراكش أربعة عشر ألف رأس مقطوعة، وقيل أكثر [1].

بإقدام المأمون قتل أشياخ الموحدين التي كانت قوة الدولة الموحدية منذ نشأتها، زيادة على تمكينه لنصارى الشمال العبور إلى المغرب لأول مرة في تاريخ حكم المسلمين بالغرب الإسلامي وتقديمه لتنازلات كبرى لهم، كالسماح ببناء كنيسة قشتالية بمراكش، حتى انقص بتلك الأعمال شعبيته، وهيبته لدى العامة، وعماله على الولايات؛ فقد انفصلت إفريقية عن الدولة الموحدية،وأسس بنو حفص دولتهم بها سنة 627هـ/1229م، كما قام عليه أبو عبد الله محمد بن يوسف حفيد أسرة بني هود السرقسطية، واستقل بمرسية، وأعلن نفسه أميرا عليها، وتلقب بالمتوكل على الله، ودعا لبني عباس، واعترفت بحكمه معظم مدن الأندلس كجيان، وقرطبة، وماردة، وبطليوس، واستطاع أن يستولي على حصن غرناطة، وحاول المأمون استرداد ملكه في الأندلس بواسطة حلفاءه القشتاليين لكنه فشل، كما ثار عليه أخوه أبو موسى عمران بسبتة؛ فمضى إليه المأمون بجيش كبير، وبينما هو محاصر سبتة حتى بلغه خروج يحيى بن الناصر، ودخوله مراكش؛ إذ فتحها

[1] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص250. محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ج3، ص367 وما بعدها.

عنوة، ففك المأمون الحصار عن سبتة، وارتد بقواته راجعا نحو مراكش، لكنه لما وصل إلى وادي العبيد مرض، ومات غما وأسفا لكثرة الثورات، والخارجين عليه[1].

-أبو محمد عبد الواحد الرشيد بن إدريس المأمون(630-640هـ/1232-1242م): لما توفي المأمون كُتم خبر وفاته من طرف كبار الدولة الموحدية، وبايعوا ابنه عبد الواحد الرشيد بتدبير من أمه "حباب"؛ إذ كان عمره أربعة عشر سنة، وبمساعدة جيش القشتاليين الذي استقدمه أبوه المأمون تولى الرشيد الحكم بوادي العبيد، وانتقل مسرعا إلى مراكش حيث استردها من يحيى الناصر فدخلها الرشيد،وبويع له بها، واعترفت بحكمه بعض ولايات الأندلس كإشبيلية، والجزيرة الخضراء[2].

ومن أهم أعمال الرشيد أنه أعاد مذهب المهدي، ومبادئه إلى رسوم الدولة الموحدية نزولا عند شروط أشياخ الدولة، وفي عهده استمر الصراع بينه، وبين يحيى الناصر، هذا الأخير الذي دعمه عرب الخلط، وقبيلة هسكورة الذين زحفوا إلى مراكش، وحاصروها ثم اقتحموها، وارتكبوا فيها مجازر فظيعة، واستطاع الرشيد أن يسترد مراكش بعد أن إلتقى بجيش يحيى الناصر سنة 633هـ/ 1236م، وإنهزم يحيى الناصر، ودخل الرشيد مراكش، وقضى على رؤوس الفتنة بها، وقتلهم، وأما يحيى الناصر فقد فر إلى بني معقل، وقتل بالقرب من تازا في رمضان 633هـ/ ماي 1236م

وفي عهد الرشيد سقطت كبرى المدن الاندلسية بيد النصارى الشماليين او كما يسميها المؤرخ كحسين مؤنس سقوط "خط الوادي الكبير"؛ فسقطت قرطبة في يد القشتاليين يوم الأحد 23 شوال 636هـ/29جوان1238م، وفي صفر 636هـ/1238م سقطت بلنسية، وفي آواخر سنة 639هـ/ 1241م سقطت جزيرة شقر، وأما في المغرب فقد اشتد خطر المرينيين على الدولة الموحدية،الذين انتشروا في المغرب سنة637هـ/1239م، وزحف إليهم الرشيد فهزموه، ثم زحف إليهم ثانية، وثالثة

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 1، ص130 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص340 وما بعدها. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 253. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص200. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص561-562. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج1، ص 281.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص 342. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 254. الناصري السلاوي، المصدر السابق ص201. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج 4، ص175. ويجعل ابن سماك العاملي صاحب الحلل الموشية ولاية يحيى بن الناصر قبل ولاية عبد الواحد الرشيد، ويذكر بأن خلافة يحيى بن الناصر كانت كلها نكدة، ولم يستقل له حال ولا أمر إلا نحو سنتين، ويقول بأن وفاته كانت بفج عبد الله بين مدينتي فاس وتازا في شوال سنة 633هـ/ 1236م. أنظر: ابن سماك العاملي المصدر السابق، ص ص 251- 252.

فهزموه، وأقام يحاربهم سنتين، ولم يستطع صدهم، وفرضوا على مكناسة الأتاوات، وتوفي الرشيد بمراكش غريقا في أحد صهاريج بستانه بمراكش[1].

-أبو الحسن علي السعيد بن إدريس المأمون(640-646هـ/1242-1248م): بايعه الموحدون بعد وفاة أخيه عبد الواحد الرشيد، وتلقب بالسعيد، والمعتضد بالله، وتميز عهده بالاضطراب والفوضى، إذ خرجت عن طاعته بعض الولايات في المغرب الأقصى كسجلماسة؛ فخرج إليها بجيشه سنة642هـ/1244م، واستطاع أن يخضعها لحكمه، وقتل صاحبها عبد الله بن زكريا الهزرجي الذي تمرد عليه، وأما مكناسة فقد ثارت العامة على واليها التابع للموحدين، وقتلوه، وأعلنوا طاعتهم للأمير أبي زكرياء الحفصي صاحب إفريقية، كما بايعه أهل سبتة واشبيلية، وبايعه كذلك بنو زيان أصحاب تلمسان تحت قيادة أبي يحيى يغمراسن بن زيان(ت 681هـ/ 1282م) ولما رأى السعيد خروج الولايات عن طاعته، زيادة على استفحال بني مرين بالمغرب الأقصى واقتطاع بني هود الأندلس، قرر الخروج بجيشه؛ فحشد جنده يريد مكناسة، وبني مرين أولا ثم تلمسان ويغمراسن ثانيا، ثم افريقية وبني حفص ثالثا، فخرج بقواته من مراكش في آواخر سنة 645هـ/1247م[2].

قصد الرشيد مكناسة، واستطاع ان يستردها بعد أن خرج أهلها، وشويخها، ونساءها، وصبيان المكاتب يطلبون العفو منه، فعفا عنهم، ثم قصد تازا التي كانت تحت أيدي المرينيين، فلما رأوا جيشه الضخم، هالتهم قوته؛ فدخلوا في طاعته، وبايعه المرينيون بها، ثم زحف إلى تلمسان لملاقاة أبي يحيى يغمراسن، وفي طريقه عسكر بظاهر فاس، وهناك أتته بيعة المرينيين بها، ثم انصرف بجيشه إلى تلمسان في محرم سنة 646هـ/1248م، ولما سمع يغمراسن بزحف جيش السعيد نحوه خرج من تلمسان مع عشيرته وقومه نحو قلعة تامزردكت [3] التي تقع قبلة وجدة؛ فاعتصموا بها، وتبعهم السعيد وجيشه نحو القلعة حيث نزل بالقرب منها في الجبل وبقي يترقب به ثلاثة أيام ثم خرج السعيد في اليوم الرابع في وقت القيلولة على حين غفلة ؛ فقام بتفقد القلعة، فتفطن له أحد حراسها من الزيانيين؛ فرماه بسهامه؛ فقتله في 29صفر 646هـ/23 جوان 1248م مع بعض

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص ص344-345. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص255. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص ص202-203. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 224. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 472 وما بعدها.

[2] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص253. الناصري السلاوي، المصدر السابق ص ص203-204.

[3] اختلفت المصادر في تسميتها؛ فبينما يسميها ابن خلدون ، والناصري السلاوي ب تامزردكت، يذكرها ابن أبي زرع بـ: تامجزرت . أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق،ج6،ص 347. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 257. الناصري السلاوي، المصدر السابق ص204.

حاشيته، ومواليه، وفر بعض الرجال الذين كانوا مع السعيد إلى معسكره، وأخباروهم بمقتل السعيد فارتحل الجيش عائدا نحو مراكش، وقد عين الجند عبد الله بن السعيد قائدا لهم خلفا لأبيه، ولكن اعترضهم بني مرين في طريق عودتهم بتازا، فنهبوهم، وقتلوا عبد الله بن السعيد، ولحق ما تبقى من الجيش إلى مراكش، وأما السعيد فقد أمر يغمراسن بأن يُغسل، ويُكفن، ودفن بالعباد قرب مدينة تلمسان، ومما يعرف عن أبي الحسن علي السعيد أنه كان حازما، عالي الهمة، شجاعا مقداما في الحروب، والنجدة، صادق العزيمة[1].

وتزامن عهد السعيد سقوط بعض المدن الأندلسية في يد النصارى الشماليين؛ فقد سقطت دانية في ذي الحجة سنة 641هـ/1243م، ثم جيان سنة 643هـ/1245م ثم شاطبة في صفر سنة 644هـ/ 1246م[2].

-أبو حفص عمر المرتضى بن إسحاق(646-665هـ/ 1248-1266م): تولى بعد وفاة السعيد بإجماع من بقي بمراكش من أشياخ الموحدين؛ فأخذوا له البيعة بجامع المنصور بمراكش وهو أحد أحفاد يوسف بن عبد المؤمن، كان قبل توليه واليا على رباط الفتح، طالت مدة حكمه نحو قريب من عشرين سنة، وكان المرتضى يتحلى بالزهد، والتصوف، والورع حتى تسما بثالث العمرين، مولع بالسماع، له حظ من العلم، والأدب، والشعر، ويقول السلاوي بأن أيامه كانت أيام أمن، ودعة، ورخاء مفرط لم ير أهل مراكش مثلها[3].

وفي بداية حكمه استولى بنو مرين بقيادة أبي يحيى بن عبد الحق على تازا، ومكناسة سنة 646هـ/1248، وفاس في 647هـ/1249م ، وفي نفس السنة خرجت عليه سبتة بزعامة الفقيه أبي الحسن العزفي اللخمي الذي طرد واليها ابن الشهيد، واستولى القشتاليون على إشبيلية سنة646هـ/1248م بعد حصارهم لها مدة سنة؛ فانتقلت قاعدة ملك المسلمين بالأندلس إلى غرناطة تحت حكم بني الأحمر، ولم يبق لأبي حفص المرتضى من دولته إلا بلاد الحوز من سلا إلى السوس[4].

---

[1] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص254. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص ص 346-347. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص256-257.الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص204-205.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 263.

[2] عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص 480.

[3] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 255-256. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص 348. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص258-259.الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص205-206.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص ص41-42.

[4] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص256. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص206. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص293. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص42.

وثار بالسوس علي بن بدر في سنة 651هـ/1254م وفشل المرتضى بالقضاء على حركته رغم محاولاته المتكررة لإخمادها، وفي سنة 653هـ/1256م خرج المرتضى بجيش ضخم من مراكش لإسترداد فاس من المرينيين؛ فسار حتى بلغ جبل بني بهلول الواقع قبلة فاس فعسكر به، وكانت هيبة المرينيين قد تمكنت في قلوب جند المرتضى؛ فكانوا لا ينامون خوفا من مهاجمة بني مرين عليهم؛ فحدث وأن انطلق فرس من معسكر المرتضى، وجرى بين الأخبية؛ فهرع الناس ليأخذوه فظن الجند بأن المرينيين قد هاجموهم، فركبوا خيولهم، وانتشرت الفوضى، والهلع في المعسكر وهرب بعضهم، فلما سمع أبو بكر بن عبد الحق أمير بني مرين، وهو بفاس بهذا الأمر خرج إليهم فانقضّ على المعسكر، واستولى على محلة الموحدين من أموال، وأسلحة، وانقلب المرتضى إلى مراكش خائبا مع ماتبقى من جيشه وبعض الأشياخ، ومن هذه الحادثة لم يتجرأ المرتضى مرة أخرى لمواجهة المرينيين[1].

واستولى بنو مرين على تامسنا؛ فأرسل المرتضى جيشا، وجرت بينهم معركة بوادي أم الربيع سميت بواقعة أم الرجلين سنة 660هـ/1262م انهزم فيها جيش الموحدين، وفي سنة 662هـ/ 1264م أقبل جيش الموحدين بقيادة الأمير يعقوب بن عبد الحق إلى العاصمة مراكش؛ فدخل في حرب مع الموحدين في ظاهر المدينة انتهت بمقتل ابن يعقوب يدعى "عبد الله أنعجوب"؛ فبعث المرتضى إلى أبيه بالتعزية، وعرض عليه أن يدفع الأتاوة له كل سنة مقابل أن يفك الحصار عن مراكش؛ فقبل يعقوب، وانصرف بجيشه، وفي آواخر أيام المرتضى خرج عليه إدريس أبو دبوس قائد جيشه؛ الذي استنصر بأمير المرينيين يعقوب بن عبد الحق ضد المرتضى؛ فوافق يعقوب المريني على أن يتقاسم معه الغنائم والأموال؛ فدعمه بجيش، كما انضمت إلى أبي دبوس بعض القبائل البربرية كقبيلة هسكورة، وهزوجة، وصنهاجة أزمور، وعرب الخلط، وبعض السادة الموحدين، والجند، والنصارى، ومضى إدريس بن دبوس إلى مراكش، واقتحمها سنة 666هـ/ 1268م، ونجا المرتضى بنفسه، ولجأ إلى صهره والي أزمور؛ فقبض عليه هذا الأخير، وقيده وبعث إلى أبي دبوس؛ فأرسل هذا الأخير من قتله، وهو سائر به في الطريق بدكالة، وأرسل برأسه إلى أبي دبوس[2].

- أبو العلاء إدريس الواثق بالله والمعتمد عليه بن محمد (665-668هـ/1266-1269م):

الملقب بأبي دبوس، وسمي بهذا الإسم لإنه لما كان في بلاد الأندلس لا يفارق الدبوس؛ فشهر به

---

[1] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص258-259.الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص206-207.

[2] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص 256. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص ص351-352. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 259. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص207-208.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص42.

وهو آخر حكام الدولة الموحدية، كانت أيامه نكدة لكثرة المخالفين عليه ، بايعه الموحدون، وأهل الحل، والعقد من الوزراء، والفقهاء، والأشياخ بجامع المنصور بمراكش، ومن أهم أعماله في فترة حكمه القصيرة رفع المكوس عن الرعية[1].

ولما علم الأمير المريني يعقوب بن عبد الحق بتقلد أبي دبوس حكم الموحدين أرسل له كتاب يهنئه بالفتح، ويطلب منه أن يقتسم معه الأموال والبلاد كما واعده؛ فأخذه الكبر، ونكث وعده وقال للرسول: "قل ليعقوب:" يغتنم سلامته، ويبعث إلى بيعته حتى أقره على ما بيده وإلا غزوته بجنود لا قبل له بها"" [2]؛ فعاد الرسول إلى يعقوب، وأبلغه رسال أبي دبوس، ودفع إليه الكتاب، ولما قرأه وجد بأنه يخاطبه مخاطبة الخلفاء لعمالهم، فعزم على تأديبه، وجمع جيشه لغزو مراكش؛ فلما أشرف على مراكش حاصرها، وعاث فسادا في نواحيها، بينما تحصن أبو دبوس داخل المدينة وأرسل إلى يغمراسن بن زيان صاحب تلمسان بهدية، وكتاب يدعوه فيه أن يشغل عنه الأمير يعقوب بما وراءه من أعمال فاس حتى يشتت جيوش الموحدين بالنواحي الشرقية للمغرب؛ فأجابه يغمراسن، وبدأ بالإغارة على ثغور المغرب الأقصى، فاضطر يعقوب المريني أن يرفع حصاره عن مراكش، والعودة لمواجهة يغمراسن، ولما فرغ يعقوب من الزيانيين رجع لحصار مراكش؛ فخرج إليه جيش الموحدين، ودخل مع المرينيين في حروب شديدة إلى أن استدرجهم يعقوب إلى وادي "وادغفوا" حيث جرت معركة بين الموحدين والمرينيين انتهت بهزيمة الموحدين، وحاول أبودبوس الفرار إلى مراكش؛ إلا أن خيل بني مرين أدركته، وتناولته برماحهم، فخر صريعا، واُحتز رأسه وجئ به إلى يعقوب؛ فبعث به إلى فاس بينما قصد هو مراكش؛ فاستولى عليها في أوائل محرم سنة 668هـ/1269م، وبمقتله ينتهي تاريخ دولة الموحدين، وحاول بعض الموحدين ممن فروا إلى تينملل بعد مقتل أبي دبوس عبثا مبايعة إسحاق بن أبي إبراهيم أخا المرتضي خلفا لأبي دبوس فبقي هنالك إلى سنة 674هـ/1276م؛ فقد قُبض عليه هو، و ابن عمه السيد أبو سعيد بن أبي الربيع، ووزيره، وأولاده، وجئ بهم إلى الأمير المريني يعقوب بن عبد الحق؛ فأمر بقتلهم جميعا [3].

---

[1] ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص257. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص352.الناصري السلاوي، المصدر السابق ص208.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 260-261. الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص ص208-209.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص353. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 261. الناصري السلاوي، المصدر السابق ص209. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 294. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص 280.

المحاضرة العاشرة: تابع للدول الإقليمية في المغرب والأندلس

11- الدولة الحفصية في افريقية والمغرب الأدنى(626-981هـ/1228-1573):

أ)-نشأة الدولة: تنتسب الأسرة الحفصية إلى الجد أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاتي(ت 571هـ /1175م) من قبيلة هنتاتة إحدى أعظم قبائل مصمودة، وأكثرها جمعا، وأشدها قوة، وهي من القبائل السابقة التي تبنت دعوة المهدي بن تومرت ضمن الطبقة الحادية عشر من الطبقات التي صنفها المهدي بن تومرت في دعوته، وكان لهذه القبيلة دور كبير في تثبيت الحكم لعبد المؤمن ومن تبعه في الدولة الموحدية[1].

وأما جد الحفصيين أبا حفص عمر بن يحيى؛ فقد كان ضمن طبقة ايت العشرة، أي العشرة الأوائل الذين بايعوا المهدي بن تومرت إماما على الموحدين، وهو من الثلاثة الأوائل الذين بايعوا عبد المؤمن بن علي، وكان له دور كبير في فتوحات الموحدين بالأندلس [2]، فتعززت مكانته وذريته الذين خلفوه في الجهاز الإداري للدولة الموحدية، وتقلدوا المناصب الكبرى كالوزارة، وقيادة الجيوش، والولايات في الدولة الموحدية.

وينقسم حكم بني حفص في إفريقية إلى مرحلتين:

-**المرحلة الأولى:** كولاة تابعين للدولة الموحدين، ومن الذين حكموا إفريقية بهذه الصفة عبد الواحد بن عمر بن أبي حفص(603-618هـ/1205-1221م)، ثم ابنه عبد الرحمن (618هـ/1221م) ثم إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن(618-620هـ/1221-1223م) ثم عبد الله بن عبد الواحد (620-626هـ/ 1223-1229م).

-**المرحلة الثانية:** وهي التي تشمل استقلال بني حفص بإفريقية عن دولة الموحدين، وتأسيس دولتهم التي تبدأ من فترة حكم أبي زكرياء يحيى (626-647هـ/1229-1249م) إلى غاية آخر حكام بني حفص محمد بن الحسن(980-981هـ/1572-1573م)، ودخول العثمانيين تونس وضمها إلى الخلافة العثمانية.

-**حكام المرحلة الأولى:** مرحلة التبعية للدولة الموحدية:

-**عبد الواحد بن عمر بن أبي حفص(603-618هـ/1205-1221م):** يعد من أشهر شخصيات بني حفص التي كانت لها دور فعال في قيام دولتهم بإفريقية، وقد عينه الخليفة الموحدي محمد الناصر بن يعقوب(595-610هـ/1199-1213م) واليا على إفريقية سنة

---

[1] ابن القطان، المصدر السابق، ص 82. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص370.

[2] ابن سماك العاملي، المصدر السابق،ص 177وما بعدها .ابن القطان،المصدر السابق،ص 126 وما بعدها .

603هـ/1205م، ويرجح بعض المؤرخين كالسلاوي الناصري، والزركشي بأن هذا التعيين كان بسبب خشية محمد الناصر من نفوذ، وحنكة أبي محمد عبد الواحد، فأحس هذا الأخير بما يراود محمد الناصر من مخاوف؛ فرفض تعيينه على افريقية؛ لكن الناصر ألح عليه إلى أن قبل عبد الواحد، ولكن بشروط[1]، وأورد السلاوي نصا لذلك بقوله: "...ويقال أن الناصر قال له: يا أبا محمد أنت تعلم ما تجشمناه من المشاق والصوائر في استنقاذ هذا القطر(أي افريقية) ولا آمن عليه من عدو متوثب ولا يقوم بحمايته إلا أنا أو أنت فامض إلى حفظ ممالكنا المغربية، وأقيم أنا أو أقم أنت، وأرجع أنا؛ فقنعه الحياء حينئذ، وأذعن للإقامة، واشترط شروطه المعروفة..."[2].

ومن الشروط التي فرضها أبو محمد عبد الواحد على الناصر: أن يترك له الحرية المطلقة في حكم الولاية؛ فلا يتدخل الناصر في شؤوونها، وأن يدعيمه بقودة كافية من الجيش، وأن لا تتجاوز ولايته على إفريقية أكثر من ثلاث سنوات، فوافق الناصر على ذلك، وقد أظهر أبو محمد عبد الواحد كفاءته في تسيير الولاية، ووضع حد للحركات المناوئة للدولة الموحدية بإفريقية كحركة ابن غانية يحيى بن إسحاق؛ إذ أوقع به عبد الواحد هزيمة قاسمة في تبسة بإقليم الزاب في 30 ربيع الأول سنة 604هـ/24 أكتوبر 1207م، وتعتبر هذه الواقعة بداية تثبيت أقدام بني حفص بإفريقية[3].

-عبد الرحمن بن عبد الواحد (618هـ/1221م): يكنى بأبي زيد، لم تدم فترة حكمه أكثر من ثلاثة أشهر، وقد وزع العطاء على الجند، والشعراء، ولم تحفل ولايته الكثير من الأعمال والإنجازات لقصر مدتها[4].

-إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن(618-620هـ/1221-1223م): انشغل في بداية حكمه بمحاولة وضع حد لحركة يحيى الميورقي بن غانية الذي أغار على بلاد إفريقية، واستطاع إدريس أن يبعده من إفريقية إلى الصحراء، ومن أهم أعماله العمرانية بناءه لبرجين على باب المهدية، وبرج الذهب بإشبيلية لما كان واليا عليها، وقد كان عاقلا، جوادا، وحسن التدبير[5].

---

[1] السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص ص 189-190. الزركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966، ص ص 18-19.

[2] السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص ص 189-190.

[3] نفسه. الزركشي، المصدر السابق، ص 18. حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 230.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 376-374. السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص 194.حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، ط3، تونس، ص106.عبد الرحمن حسين العزاوي، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الخليج، ط1، عمان 2011، ص141.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص377.السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص194.خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج1، ص 282. عبد الرحمن حسين العزاوي المرجع السابق، ص 141.

-**عبد الله بن عبد الواحد (620-625هـ/ 1223-1228م):** ثاني أبناء عبد الواحد، ومن أبرز أعماله أنه عين أخاه يحيى على قابس، ولما تولى المأمون حكم دولة الموحدين أرسل إلى عبد الله والي إفريقية ليأخذ له البيعة؛ فامتنع عبد الله ورد رسله إليه؛ فكتب المأمون إلى أخيه الأمير أبي زكرياء بأن يوليه على افريقية بشرط أن يعقد عليه البيعة، فاتفق أبو زكرياء يحيى مع شيخ قابس وبإتصال مع أعيان تونس لخلع عبد الله، وأستطاع يحيى أن يدخل تونس بجنده وأتباعه، وبويع له بها بيعة الخلفاء وأما عبد الله فقد اختلف الآراء حوله فمنهم من يقول بان أخاه يحيى اعتقله،ومنهم من يقول بأنه فر إلى مراكش حيث استقبل بالإكرام إلى أن قتله الموحدون بسبب موقف من أخيه يحيى ضدهم[1].

-**حكام المرحلة الثانية:** أي في مرحلة الاستقلال عن الموحدين، وقيام الدولة الحفصية، وأمراؤها:

-**أبوزكرياء يحيى بن عبد الواحد(625-647هـ/1228-1249م):** استقل بولايته افريقية سنة 626هـ/1229م، وقطع الخطبة للموحدين، وخطب لنفسه، ومن أهم أعماله: القضاء على حركة ابن غانية بقتله سنة 631هـ/1234م وقمع تورة بربر هوارة، ووسع مملكته حيث اخضع الجزائر، وبايعته تلمسان، وسجلماسة، وسبتة، وطنجة، ومكناسة، وعظم شأنه حتى أن بني مرين الذين قضوا على الموحدين بعد سقوط مراكش خطبوا له في بداية دولتهم، وفي سنة 628هـ/1230م وقع مع فردريك الثاني إمبراطور الدولة الرومانية معاهدة هدنة لمدة عشر سنوات تم بموجبها الإتفاق على عدم شن الرومان غاراتهم على سواحل تونس في هذه المدة على أن يتنازل أبو زكرياء لصالحهم جزيرة قوصرة(بنطلارية) التي كانت تابعة لافريقية لمدة خمس قرون، ولكن بوفاة أبي زكرياء نقضت هذه الاتفاقية، وتم طرد المسلمين من مالطا، وصقلية إلى إفريقية وأجبر الذين فضلوا البقاء بالتنصير، وانتته سنة 635هـ/1238م الوفود من شرق الأندلس تستنجد به من تحرشات الصليبيين فاجابها، ووجه اسطولا إلى الأندلس إلا ان المدد جاء متأخرا[2].

ومن أهم إنجازات أبي زكرياء بناءه جامع القصبة، وصومعته الجميلة الشكل، ونقش عليها بإسمه، وأذن فيها بنفسه ليلة تمامها في رمضان 630هـ/1233م زيادة على بناء مساجد ومدارس وهو الذي ابتنى سوق العطارين بتونس، وأنشأ في قصره بالقصبة دارا للكتب جمع فيها ستة

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص380.السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص195. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص 106-107. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج4، ص 101.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص380وما بعدها.السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص195. حسن حسني عبد الوهاب المرجع السابق، ص ص 107-108. عبد الرحمن حسين العزاوي المرجع السابق، ص 142-143. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج8، ص ص 155-156.

وثلاثين ألف مجلد من أنفس الكتب، وقد أتلفت في آواخر الدولة الحفصية، وتوفي ببونة، ودفن في جامعها ثم نقل إلى قسنطينة[1].

-المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء(647-675هـ/1249-1277م): وفي بداية ولايته خرج عليه ابن عمه محمد اللحياني، واستطاع أن يقضي على حركته، ولما سقطت بغداد في يد المغول سنة 656هـ/1258م وقتلوا الخليفة المستعصم بالله، وأصبح المسلمون بدون خليفة، بايعه سنة 657هـ/1259م أمير مكة المكرمة، وأهل الحجاز، واحتفل المستنصر بهذه البيعة احتفالا عظيما، ثم بايعه بنو مرين بفاس، وأرسل إليه ملك برنو بالسودان الأوسط بهدايا نفيسة، وزحف إليه لويس التاسع ملك الإفرنج الملقب بالقديس على رأس حملة عسكرية مع حلفائه الإيطاليين، واستطاع المستنصر أن يدحض هذه الحملة بعد ان نزلوا بقرطاجنة في سنة 668هـ/ 1270م، بعد معارك طاحنة، ولقد اشتهر المستنصر بإهتمامه بالعناية للآثار القديمة إذ رمم الحنايا الرومانية لجلب ماء زغوان إلى بساتينه بالقرب من أريانة، وبعضه إلى تونس، وجامع زيتونة[2].

-يحيى الواثق بن محمد المستنصر بالله(675-678هـ/1277-1280م): بويع له بعد وفاة أبيه ومن أعماله: رفع المظالم، والافراج عن المسجونين، وإصلاح المساجد، وزع العطاء على الجند ورفع الضرائب عن الناس، وامتدحه الشعراء فأجازهم، وثار عليه عمه إبراهيم بن يحيى،فخلع يحيى الواثق نفسه، وسلم الإمارة لعمه إبراهيم، فاعتقله هذا الأخير، ثم قتله في اليوم الموالي لاعتقاله مع ثلاثة من بنيه؛ فاشتهر يحيى الواثق بالمخلوع[3].

-أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى أبي زكرياء(678-682هـ/1280-1283م): كان قبل توليه مقيما في الأندلس، ولما علم بوفاة أخيه المستنصر صاحب إفريقية ركب البحر، وحل بتلمسان ثم امتلك بجاية، ثم تغلب على تونس بعد خلع الواثق نفسه، ولما بويع له، خرج عليه بنواحي طرابلس ابن أبي عمارة أحمد بن مرزوق المسيلي المدعو بالدعي، الذي زحف إلى قابس 681هـ/1282م ثم تقدم إلى الجريد، والقيروان، والساحل، وعظم أمره إلى أن بلغ تونس؛ فخرج إليه إبراهيم لكن جنده خذله حتى قبل لقاءه؛ فرحل إلى بجاية، وترك الحكم لابنه يدعى "أبا فارس" الذي كان عامله على بجاية، وتلقب هذا الأخير بالمعتمد، وزحف لقتال ابن أبي عمارة سنة 682هـ/1283م، لكن

---

[1] حسن حسني عبد الوهاب المرجع السابق، ص ص107-108. خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج8، ص ص155-156.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص402 وما بعدها.حسن حسني عبد الوهاب المرجع السابق، ص ص 108-109.خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج7، ص138. عبد الرحمن حسين العزاوي المرجع السابق، ص144.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص41 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص433. حسن حسني عبد الوهاب المرجع السابق، ص110.خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج8، ص166. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص144.

المعتمد فشل في صده وقُتل، ودخل ابن أبي عمارة تونس، وبايعه أهلها، لكنه كان سيء السيرة؛ فسار أهل تونس إلى أحد الأمراء الحفصيين بقلعة سنان بالقرب من تونس؛ وهو أبو حفص عمر بن أبي زكرياء فبايعوه، وخرج إليه ابن أبي عمارة لقتاله لكن جنده انقلبوا عليه ورجع مهزوما[1].

-المستنصر الثاني أبو حفص عمر بن يحيى(683-694هـ/1284-1295م): ومن أعماله القضاء على ابن أبي عمارة الذي وجده متخفيا؛ فقتله، وخرج عليه في بداية حكمه بالجزائر ابن عمه يحيى بن إبراهيم الذي دعمه الأعراب، وانضمت إليه بجاية، وقسنطينة، وبسكرة، فانقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين شرقية وغربية، وانفرد كل سلطان بقسم؛ فكان القسم الشرقي وقاعدته تونس تحت حكم المستنصر الثاني، والقسم الغربي، وقاعدته بجاية تحت حكم يحيى، وبقي هذا الوضع كما هو إلى أن توفي أبوحفص، وقد كان المستنصر عاقلا، شجاعا[2].

-أبو عصيدة أبو عبد الله محمد بن يحيى الواثق(694-709هـ/1295-1309م): لقب بالمستنصر الثالث، حاول أن يسترجع الجزء الغربي(مملكة بجاية) لكنه فشل، وفي صفر 709هـ/ 1309 صنع المنجنيق بدار الصناعة بتونس، وكان أبو عصيدة مهابا، حميد السيرة، داهية،عرفت مرحلته الهدوء والرخاء، وتوفي ولم يخلف ولدا[3].

-أبوبكر الشهيد خالد بن عبد الرحمن(709هـ/1309م): لما مات أبوعصيدة كان من المفروض ان تتم مبايعة أبي البقاء خالد بن يحيى صاحب بجاية بموجب اتفاق مسبق مع أبي عصيدة قبل وفاته؛ إذ أتفقا على أنه في حالة وفاة احد حكام القسمين الشرقي أو الغربي للدولة الحفصية يبقى الآخر حاكما للقسمين، ولكن أبوبكر خالد بن عبد الرحمن الذي تربى في بيت أبي عصيدة أخذ البيعة لنفسه من أهل تونس؛ فلما علم خالد بن يحيى ما قام به خالد بن عبد الرحمن زحف إليه ودخل تونس، وتمت البيعة له، فقتل أبا بكر بعد أن جلس لسبعة عشر يوما فقط في الحكم، ولذلك سمي بالشهيد[4].

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص45 وما بعدها .ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص436 وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب المرجع السابق، ص ص110-111.خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج1، ص ص79-80.

[2] الزركشي، المصدر السابق، ص42 وما بعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص445 وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب المرجع السابق، ص 111.خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج5، ص69.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص53 وما بعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص456 وما بعدها. ابن القنفذ القسنطيني(أبو العباس أحمد بن حسين)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** ، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، تونس، ص152 وما بعدها . حسن حسني عبد الوهاب المرجع السابق، ص ص 111-112.خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج7، ص138. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص146.

[4] الزركشي، المصدر السابق، ص ص 58-59. ابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص ص154-155. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 112.

-**أبو البقاء خالد الناصر لدين الله بن يحيى(709-711هـ/1309-1311م)**: كان واليا على بجاية خلفا لأبيه منذ سنة 700هـ/1301م، ولما دخل تونس تلقب بالمتوكل كذلك، عين أخاه أبابكر على قسنطينة، فتمرد عليه، فخرج إليه أبو البقاء على رأس حملة إلى أن وصل إلى باجة، وفي هذه الأثناء خرج عليه كذلك أبو يحيى زكرياء بن أحمد اللحياني الحفصي الذي رجع من المشرق فدخل طرابلس، ودعا لنفسه، وبايعه العرب، فزحف إلى تونس وأمتلكها بعد أن خلع أبو البقاء نفسه، وبقي أبوبكر بن يحيى أخو البقاء أميرا على الناحية الغربية[1].

- **أبو يحيى زكرياء بن أحمد اللحياني(711-717هـ/1309-1315م)**: تولى الحكم وهو كبير في السن، وقدم أبوبكر بن يحيى صاحب قسنطينة إلى إفريقية ونزل بلاد هوارة؛ فخافه أبو يحيى زكرياء أن يزحف إليه ؛ فجمع ما لديه من ذخائر وأموال حتى أنه باع نفائس الكتب التي كان اقتناها أبو زكرياء يحيى الأول مؤسس الدولة الحفصية، فخرج أبو يحيى زكرياء هذا من تونس إلى قابس، ومنها إلى طرابلس حيث اكتفى بإمارتها، وبقي سنة بها ثم رحل بأمواله وذخائره إلى الإسكندرية التي توفي بها سنة 727هـ/1326م، وكان أبو يحيى قد قرأ الفقه، والعربية، ولما حل بالاسكندرية في آواخر أيامه زار القاهرة أكرمه السلطان محمد بن قلاوون[2].

- **أبو ضربة محمد بن زكرياء(717-718هـ/1315-1316م)**: تولى بعد أن تخلى أبوه عن الحكم، تلقب أبو ضربة محمد بالمنتصر، ولم تطل ولايته حيث زحف إليه أبوبكر بن يحيى من قسنطينة على رأس جيش كثيف، وخرج إليه أبو ضربة محمد ودار بينهما قتال أدى إلى هزيمة أبي ضربة ، فهرب هذا الأخير إلى أبيه في طرابلس[3].

-**أبوبكر الثاني المتوكل على الله بن يحيى(718-747هـ/1316-1346م)**: كانت ولادته بقسنطينة سنة 692هـ/1293م، دخل تونس وجلس على كرسي الحكم، وخرج عليه أحد الأعراب يدعى محمد بن أبي عمران، وإستطاع المتوكل أن يقضي عليه بعد سنوات من القتال، ثم خرج عليه بعض أقاربه الأمراء، ومنهم إبراهيم بن أبي بكر الشهيد الذي استنجد بأبي تاشفين أمير الدولة الزيانية بتلمسان الذي كانت له مطامح بضم بجاية إلى الدولة الزيانية، واستطاع إبراهيم الثائر أن يُخرج المتوكل من تونس، فنهض المتوكل لاسترجاع ملكه، وقام بإتصالات مع المرينيين

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص ص 58 ومابعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص461 وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص112.خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج2، ص300.

[2] الزركشي، المصدر السابق، ص ص 56، 60 ومابعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص475 وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص112-113.خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج3، ص ص45-46.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص 64 ومابعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص482. حسن حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق، ص114. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص146.

أصحاب مراكش؛ فتحالف معهم، واتفقا على تقسيم بلاد الزيانيين بين الحفصيين والمرينيين، وتمت تدعيم هذا التحالف والإتفاق بالمصاهرة؛ فقد تمت خطبة فاطمة الحفصية لأبي الحسن ولي العهد المريني، وهاجم الطرفان الزيانيين، واغتصبا ملك تلمسان، واقتسما اراضي الدولة الزيانية بينهما سنة 720هـ/1318م، وبهذا قضى المتوكل على حلفاء الثائر إبراهيم ودخل الحاضرة تونس وصفا له الحال إلى أن توفي، وقد كان شجاعا حازما.[1]

-أبو حفص الثاني عمر بن أبي بكر (747-748هـ/1346-1347م): تولى بعد وفاة أبيه وقد قام الحاجب محمد بن تَافْرَاجِّين بجمع أعيان الدولة، لمبايعة أبي حفص، وكان من المفروض أن تعقد البيعة لولي العهد أخيه أبي العباس أحمد الذي كان واليا على الجريد، والجنوب التونسي، ولما بلغ هذا الأخير خبر وفاة والده، وتولية أخيه أبي حفص جمع جيشه، وزحف نحو تونس في 05 رمضان 747هـ/ديسمبر 1346م، ولما سمع أبو حفص بخبر قدوم أخيه خرج إليه على رأس جيشه، ولما تقابل الطرفان نكث الحاجب ابن تافراجين، وخذل صاحبه أبي حفص، وولى راجعا إلى الحاضرة تونس ثم إلتحق بالسلطان أبي الحسن المريني، وأما أبو حفص فقد فر، فتلقب أبو العباس، بالمعتمد على الله، ولم يمض على حكم أبو العباس لتونس أكثر من أسبوع حتى فوجئ بعودة أبي حفص عمر على رأس قوة عسكرية قادما من باجة، فاحتل المدينة، وبايعته العاملة وقام بقتل أخيه أبي العباس، ومن معه من الوزراء، والأعيان حتى قيل أنه بلغ قتلى تونس نيف وثمانون رجلا من أنصار أبي العباس[2].

-التبعية للمرينيين (748-750هـ/1347-1349م): لما سمع أبو الحسن المريني حالة الفوضى والإضطرابات التي سادت تونس في هذه الفترة، انتهز الفرصة فاتجه على رأس جيش ضخم من مراكش سنة 748هـ/1347م فسار إلى قسنطينة، وقبض على الأمراء الحفصيين ونفاهم، ثم قصد تونس ففر أبو حفص؛ فلحقه وقتله، وبهذا دان له المغارب الثلاث (الأدنى، والأوسط، والأقصى)، ولكن لم تتجاوز تبعية إفريقية له أكثر من سنتين ونصف، وكان قد عين صهره (زوج ابنته) يحيى بن سليمان العسكري حاكما لتونس تابعا له، لكن سياسة المرينيين في هذه الفترة كانت سيئة على العامة خاصة العرب الذي كان لهم نفوذ قوي؛ فأصروا للتمرد والثورة

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص66 ومابعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص482 وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص114-115. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص ص146-147.

[2] الزركشي، المصدر السابق، ص 79 ومابعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص517 وما بعدها. ابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص168 وما بعدها.حسن حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق، ص 117. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص ص147-148.

عليهم بإيعاز من الحاجب ابن تافراجين الذي لم يجد ضالته مع السلطان المريني، فثارت قبائل أولاد مهلهل، وبني كعب، وبني حكيم الذين تحالفوا مع الثائر أحمد بن عبد السلام بن عثمان بن أبي دبوس المعروف بالخياط؛ فدخلوا في حرب مع المرينيين بالقيروان في محرم 749هـ/ أبريل 1348م، فانتصروا عليهم، ثم كانت المعركة الثانية في تونس، وانتصروا عليهم ثانية، وفي هذه الأثناء وصل لأبي الحسن خبر تمرد ابنه أبا عنان بمراكش، فعاد إلى عاصمته سنة 750هـ/ 1349م، وأما الحاجب ابن تافراجين فإنه قصد المشرق لغرض الحج، واظهر الزهد،والورع، وعادت تونس لحكم الحفصيين حيث تولى الحكم الفضل بن أبي بكر[1].

-أبو العباس الفضل بن أبي بكر(750-751هـ/1349-1350م):كان واليا على بونة (عنابة) ولما خرج ابو الحسن المريني من تونس إلى مراكش، قصد الفضل تونس؛ فبايعه أهلها، وتلقب بالمتوكل، وفي عهده عاد ابن تافراجين من الحج، وطلب من الفضل إرجاعه لخطة الحجابة فامتنع ، فدبر ابن تافراجين مكيدة لقتل الفضل؛ فقام بإحضار أخو الفضل (أبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر) وهو صغير في السن، وحمل الناس على مبايعته؛ فأغرى له ابن تافراجين بقتل أخيه الفضل؛ فقتل، ووصف الزركشي الفضل بانه كان من أجمل الناس صورة، وأحسنهم حظا، وأركنهم إلى صحبة من يضحكه[2].

-أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر(751-770هـ/1350-1368م): بويع له، وهو غلام صغير السن، واستبد بأمور مملكته الحاجب ابن تافرجين، وطال عهد أبي إسحاق إبراهيم؛ فكان مليئا بالفتن، يخرجه أهلها من تونس، ويعودون به آخرون إلى أن توفي، ومن أبرز الأحداث أن الأمراء الحفصيين نقموا عليه لتسلط ابن تافرجين بالحكم، فاستولى كل واحد منهم على عمالة، كما أعلن أبو عنان الحاكم المريني الحرب على تونس؛ فحاصرها برا، وبحرا، ولم يستطع الحفصيون مقاومة المرينيين الذين دخلوا تونس مرة ثانية في سنة 758هـ/1357م، وفجأة قرر أبو عنان العودة إلى مراكش بعد أن لبث في تونس سبعون يوما، وتوفي الحاجب ابن تافراجين سنة 766هـ/1364م فاستراحت تونس من قلائله، ثم توفي أبو إسحاق إبراهيم في 770هـ/ 1368م[3].

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص81 ومابعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص523 وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص117-118. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص 148.

[2] الزركشي، المصدر السابق، ص 90 ومابعدها. ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص ص 528-529. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 118. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص147.

[3] الزركشي، المصدر السابق، ص 92 ومابعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج 6، ص 529. ابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص174 وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق، ص 118. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 1، ص34. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص ص 148-149.

- **أبو البقاء خالد الثاني بن إبراهيم (770-772هـ/1368-1370م)**:بويع له وهو طفل ابن الثانية عشر من عمره، فاستبد بالأمر حاشيته، وأساءوا السيرة، وبعد عاما وتسعة أشهر ثار عليه أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر عامل قسنطينة، وتنافس مع أبو عبد الله محمد عامل بجاية للاستيلاء على الحكم في تونس، إلا أن أبا العباس إستطاع أن يدخل تونس، ويعتقل خالد الثاني، حيث وجهه إلى قسنطينة عبر البحر، فغرق في الطريق[1].

-**أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر(772-796هـ/1370-1393م)**: لقب بأبي السباع دخل أبو العباس تونس في يوم 18 ربيع الأول 772هـ/9 نوفمبر 1370م، واستطاع أن يخمد حركات الأعراب والمفسدين، كما أخضع المتمردين، فاستعاد الولايات التي استقلت عن تونس قبل توليه كسوسة، والمهدية، وجربة، وقابس، والجريد، وطرابلس، والزاب، واهتم بإصلاح أجهزة الدولة إداريا، وإقتصاديا؛ فكثرت الأرزاق، وساد الأمن، والعدل، وفي عهده شهدت المهدية غزو الإفرنج من جنوة، والبندقية سنة 792هـ/1389م بأسطول يتألف بأكثر من ثمانين قطعة بحرية؛ فسير إليهم السلطان أبو العباس جيشا عظيما بقيادة ابنه أبو فارس عبد العزيز الذي استطاع أن يدحضهم، وينتصر عليهم فرجعوا خائبين، وتوفي أبو العباس، وخلفه ابنه أبو فارس عبد العزيز[2].

-**أبو فارس المتوكل على الله عزوز(عبد العزيز) بن أحمد(796-837هـ/1393-1434م):**

يعد أبو فارس من أقوى حكام الدولة الحفصية، فقد حسنت سيرته، واشتهر بالحزم في حكمه والرفق في سياسته مع الرعية، زيادة على الكرم، والجود في تدشين المآثر والإنجازات، وعرفت تونس في عهده الإزدهار، والتقدم، ووزع الوظائف والمناصب العليا كالوزارة وغيرها على إخوته، وكان كلما يدخل مدينة لإخضاعها يأمر جنوده بالمحافظة على الأشجار، والعمران، والبنايات من التخريب كما حدث عندما حاصر قسنطينة سنة 798هـ/1395م، وقد استطاع ان يضع حدا للحركات التمردية التي قام بها الأعراب، خاصة بني سُليم، فدانت له الجريد، وقابس، وطرابس، والصحراء، ولما أرسل سلطان فاس المريني عساكره إلى تونس لمواجهة أبي فارس، وقد تحالف

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص104 ومابعدها. ابن القنفذ القسنطيني، المصدر السابق، ص176.الباجي المسعودي(محمد بن أبي بكر)، **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة 2012، ص191. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص 118-119. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2 ص294. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص 149.

[2] الزركشي، المصدر السابق، ص106 ومابعدها. ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص 536 وما بعدها. ابن القنفذ القسنطيني المصدر السابق، ص177 وما بعدها.الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص ص 192-193 . حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 119. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص225. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص ص 149-150.

معه أمير بجاية أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء فخرج إليهم أبو فارس سنة 812هـ/1410م بقوة عسكرية؛ فألحق بهم الهزيمة، وقتل ابن عمه امير بجاية ثم زحف إلى فاس؛ فاستولى على تلمسان، ولما كان على مقربة من فاس أرسل إليه أميرها هدايا، وكتاب يذكر فيه خضوع لحكمه والطاعة له، فقبل أبو فارس، وأوصاه بالعدل في الرعية وقفل راجعا إلى تونس، وبايعه أهل المغرب الأقصى، والأندلس، وفي سنة 835هـ/1431م غزا ملك آرغون ألفونسو الخامس جزيرة جربة؛ فأنجدها السلطان الحفصي أبوفارس، ومنها بدأ يشيد الحصون البحرية، والقلاع، والمحارس لحماية السواحل والثغور البحرية كمحرس "راس أدار"، و" الحمامات"، و"رَفْراف"، وغزا مالطا، فانتهزت تلمسان الفرصة بالخروج عن طاعته، ولما رجع لإخضاعها ثانية توفي فجأة بالقرب من جبال الونشريس بالمغرب الأوسط[1].

وكان أبو فارس يجالس العلماء بقصبته؛ حيث تدار في بلاطه حلقات العلم في التفسير، والفقه والحديث، ومن أشهر علماء بلاطه قاضي الجماعة الإمام الحافظ أبومهدي عيسى بن أبي العباس أحمد الغُبريني، وأوقف خزائن كتبه بالجامع الأعظم بتونس، وعلى عهده أنهى العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ذكر تاريخ الحفصيين في كتابه العبر حيث توفي بمصر سنة 808هـ/ 1405م قبل نهاية عهد السلطان أبي فارس عزوز بكثير [2]، كما أنهى قاضيه ابن القنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407م) كتابه:"الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية" عن الأمراء الحفصيين بذكر أبو فارس آخر الحكام الحفصيين الذين عاصرهم، والفارسية في عنوان كتابه هذا يقصد بها أبا فارس عزوز هذا السلطان الذي نترجم له في هذا الموضع، فقد تولى ابن القنفذ عنده القضاء [3]،كما كان ضمن شخصيات بلاطه[4] .

وأوقف أبو فارس عزوز خزائن كتبه، وذخائره من آلاف المصنفات في مختلف التخصصات في العلوم الشرعية، والأدب، واللغة العربية، والطب، والحساب، والتاريخ، وغيرها بالجامع الأعظم (جامع الزيتونة) بتونس، ومن مآثر أبي فارس العمرانية أنه بنا زاوية باب البحر بتونس، كما أجرى السقاية خارج باب الجديد بتونس، وأوقف عليها أوقافا، ودشن مرستانا لعلاج المرضى لصالح

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص114 وما بعدها.ابن خلدون، المصدر السابق،ج6، ص ص 582-583. ابن القنفذ القسنطيني المصدر السابق، ص177.الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص ص 194-195. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق ص ص 119-120. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص14. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص ص 150-151.

[2] ابن القنفذ القسنطيني المصدر السابق، ص197.الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 195 .

[3] ابن القنفذ القسنطيني المصدر السابق، ص198.

[4] نفسه، ص 197.

الفقراء، والغرباء، وألغى الكثير من الضرائب التي كانت عبئا على العامة، وابتنا لنفسه قصرا بضاحية "باردو" بتونس، وأحاطه بحديقة بديعة [1]، وتوفي أبوفارس وتولى من بعده حفيده محمد المنتصر.

-محمد المنتصر بن محمد المنصور بن أبي فارس عزوز(837-839هـ/1433-1435م):

بويع له بعد وفاة جده عزوز، وكان أبوه محمد المنصور وليا للعهد لجده أبي فارس إلا أنه توفي في حياة هذا الأخير سنة 833هـ/1429م فعقدت البيعة لمحمد المنتصر الذي كان في طرابلس فانتقل إلى تونس، ولم يهنأ في حكمه إذ لازمه المرض إلى أن توفي، كما أنه دخل في حروب مع الأعراب، وكان شجاعا، كريما، عفيفا، محمود السيرة، ومن إنجازاته بناء المدرسة المنتصرية بسوق الفلقة بتونس التي أكملها أخوه عثمان أبو عمرو، وأنفق أموالا على أهل المدارس، وذوي الحاجات والأرامل، والأيتام، كما أرسل أموالا للمجاهدين في الثغور الأندلسية ضد النصارى الشماليين، وبنى سقاية الماء بداخل باب أبي سعدون[2].

-أبو عمرو المتوكل على الله عثمان بن محمد المنصور(839-893هـ/1435-1487م):

بويع له بعد وفاة أخيه محمد المنتصر، وكانت أمه من العلوج ، اسمها مارية أو ريم أو مريم؛ فلما بويع له أقبل إليه أخواله لتهنئته؛ فأسكنهم بالربض الملاصق للقصبة؛ فعرف المكان بحومة العلوج من ذلك الحين، وعرف عهده كثرة ثورات الأعراب الذين استنجدوا بعمه أمير بجاية أبا الحسن بن أبي فارس، الذي فأجاب دعوتهم إلا أن السلطان أستطاع أن يخضعهم، ويخمد حركاتهم، ويقتل الأمير أبا الحسن سنة 856هـ/1452م، وثارت عليه نفطة؛ فخرج إليها وأخضعها، وخرج سنة 869هـ/1465م إلى تقرت في شرق صحراء المغرب الأوسط؛ فأغرم أهلها أموالا، وهدم أسوارها فطلبوا منه أهلها العفو؛ فعفا عنهم، وصاهر صاحبها، وثارت عليه تلمسان فخرج إليها سنة 880هـ/1476م وهدم أسوارها، وبايعه أمير فاس، ومن مآثره أنه استكمل بناء مدرسة المنتصرية التي وضع أساساها أخوه محمد المنتصر،كما أنه بنا مدرسة أخرى، وزاوية تحتها بدار صولة بتونس، وأجرى عليها السقاية وكل المرافق الضرورية، وأنشأ مكتبة عمومية في أحد أروقة جامع الزيتونة، وأتمها بعده حفيده أبو عبد الله محمد؛ فنسبت إليه وسميت بالمكتبة العبدلية، ومن محاسنه كذلك أنه كتب القرآن الكريم بخط يده في عدة أسفار جعله بجانب نسخة البخاري التي

---

[1] الزركشي، المصدر السابق، ص ص 116-117. الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 195. حسن حسني عبد الوهاب المرجع السابق، ص120. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص151.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص 137-138. الزركشي، المصدر السابق، ص 131 وما بعدها. الباجي المسعودي المصدر السابق، ص 197. حسن حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص123 .خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7 ص46.

وقفها أبوه في جامع الزيتونة، ولما توفي أبو عمرو تولى حفيده أبوزكرياء الثالث [1]، وبوفاة أبي عمرو عثمان المتوكل على الله تدخل الدولة الحفصية مرحلة الضعف والاضمحلال إلى غاية سقوطها بيد العثمانيين.

-أبوزكرياء الثالث يحيى بن محمد المسعود بن عثمان(893-899هـ/1487-1493م): كانت ولاية العهد قبل توليه لأبيه محمد لكنه توفي في حياة جده السلطان عثمان سنة 875هـ/ 1471م، ولما توفي عثمان بويع لحفيده أبو زكرياء يحيى، وبعد بيعته خرج لإخماد بعض الثورات في النواحي إلا أن بعض جنده فروا من محلته، ورجعوا إلى العاصمة تونس، ونشروا إشاعة هزيمة السلطان ووفاته بإحدى المعارك، وجاؤوا برأس زعموا أنها للسلطان وطيف به، ثم قام للحكم عمه عبد المؤمن بن أبي إسحاق إبراهيم، في رجب سنة 894هـ/1489م، ثم ظهر السلطان أبو زكرياء ودخل تونس؛ فبويع له ثانية، وفر عبد المؤمن؛ فوجه من قتله، وطيف برأسه، واشتهر أبو زكرياء بالحلم في سياسته مع الرعية فقد ألغى ضريبة العشر، وفي عهده انتشر الطاعون الذي ضرب تونس، وتوفي بسبب الكثير من التونسيين، ومنهم السلطان نفسه؛ إذ توفي في شعبان؛ فكانت مدة حكمه ست سنين إلا شهرا، وعشرة أيام[2].

-أبوعبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود(899-932هـ/1493-1525م): تولى بعد وفاة عمه يحيى بن محمد المسعود، اشتهر بالذكاء، والفصاحة، والخير، لكنه أتى والدولة الحفصية تعاني الضعف، والتفكك، فقد خرجت عليه القيروان، وخرج إليها لكنه إنهزم وولى إلى تونس، وفي عهده سقطت بجاية في يد الإسبان سنة 910هـ/1505م، واستقلت طرابس التي حكمها بنو عزاب تحت الحماية الإسبانية سنة 914هـ/1509م؛ وضمت الجزائر إلى الخلافة العثمانية بفضل حملات الأخوين عروج وخير الدين بربوس البحرية حماية لها من التحرشات الإسبانية، وجعلا الجزائر مركز قيادتهما بداية من سنة 916هـ/1510م، ومن آثاره بناء المقصورة الشرقية بجامع الزيتونة بتونس التي أنشأ فيها مكتبة الجامع التي اشتهرت بالعبدلية، وهي في الأصل مشروع لجده السلطان أبي عمرو عثمان المتوكل على الله، كان قد بدأه لكن وافته المنية قبل إتمامه؛ فأتمه

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 147 وما بعدها. الزركشي، المصدر السابق، ص 134 وما بعدها. الباجي المسعودي المصدر السابق، ص ص198-199. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص123 .خير الدين الزركلي، المرجع السابق ج4، ص213. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص ص151-152.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص149-150. الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص200. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص168.

السلطان أبو عبد الله ،ونسبت إليه هذه المكتبة، كما تنسب إليه القصور والحدائق التي سميت كذلك بالعبدلية[1].

-أبو محمد الحسن بن أبي عبد الله محمد(932-942هـ/1525-1535م): بويع له بعد وفاة أبيه، سار في بداية عهده بعدل وإحسان حتى تعلقت به الرعية، ثم ساءت سيرته؛ فاضطربت أحوال البلاد بخروج المدن عن طاعته كسوسة، والقيروان، وسقطت قسنطينة بيد الأتراك، ثم ثارت عليه الأعراب، وقويت شوكتهم؛ فاستغل خير الدين بربروسا صاحب الجزائر هذه الأوضاع، وأوعز له السلطان سليمان القانوني بضم تونس؛ فزحف نحوها؛ واستولى على بنزرت ثم استولى على تونس سنة 935هـ/1428م بغير قتال، وهرب السلطان الحسن الحفصي، فجمع الأعراب، ودخل في قتال مع خير الدين؛ فصوب إليهم هذا الأخير المدافع، ولم يكونوا يعرفونها من قبل حتى طلبوا الأمان، واستسلموا، فأمنهم، وفر السلطان الحسن مرة أخرى لكنه في هذه المرة لجأ إلى ملك إسبانيا شارلكان أو كارلوس الخامس(1516-1558م)؛ فأمده بأسطول يضم مائة ألف مقاتل بحسب ما أورده ابن أبي دينار، قاد هذا الأسطول السلطان نفسه رفقة قائد إسباني إسمه"جوان" فنزل على برج العيون قرب ساحل حلق الوادي ثم زحف نحو العاصمة تونس؛ فدخلها سنة 942هـ /1553م واستطاع الحسن، ومن معه من القوات الإسبانية أن ينتصروا على خير الدين رغم مقاومته وبطولته في صدهم إلا أنه لم يستطع خاصة بعد سماعه بسقوط قصبة الحكم بيد النصارى الإسبان، ففر إلى الجزائر، ثم استباح الإسبان العاصمة تونس؛ فقاموا بقتل أهلها، ونهب دورها، وحرماتها، وذخائرها مدة ثلاثة أيام، وكان هذا بموافقة السلطان الحسن بن أبي عبد الله وقد أُصطلح على هذه الحادثة بـ:"خطرة الأربعاء"، وقيل بأن عدد سكان تونس الذين قُتلوا في هذه الواقعة قد بلغ ستين ألفا أو أكثر (وهم ثلث سكان تونس في ذلك العهد) وأُسر ثلث السكان، وهرب الثلث الآخر، ومن فظائع هذه الواقعة كذلك أن عساكر الإسبان قد اقتحموا جامع الزيتونة، وقاموا بتبديد ما يوجد فيه من نفائس المخطوطات في المكتبة العبدلية؛ فظاعت معظمها[2].

وبعد أن إسترد السلطان الحسن الحفصي كرسي عرشه، ولو بالاستقواء بالنصارى الإسبان، وما أنجر عنه من مآسي، فرض عليه شارلكان ملك إسبانيا إبرام معاهدة، ومن بنودها: إخلاء سبيل جميع الأرقاء المسيحيين، واباحة لجميع المسيحيين الاستيطان في تونس، وفرض حرية ممارسة

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ص150-151. الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص 201. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص123-124 .خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص89.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص152. الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص202وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 124 وما بعدها .خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج2، ص217.

الشعائر، والطقوس الدينية المسيحية بالأراضي التونسية، وأن يتنازل الحسن الحفصي للملك الإسباني عن مدائن: بونة–حلق الوادي–بنزرت، وأن يدفع الحسن الحفصي لشارلكان اثنا عشر ألف دوكا كأتعاب ومصاريف للحرب، وأن يقدم له سنويا اثنا عشر ألف من الخيول العربية،ومثلها من المهار العربية كعلامة شكر، وإمتنان لشارلكان، وغيرها من البنود المذلة، كما فرض عليه أن يحكم معه أحد القواد الإسبان، فانتفض أهل القيروان على السلطان الحسن؛ وخرج إليهم لإخضاعهم مستعينا بالإسبان، واستغل ابنه أحمد "احميدة" صاحب بونة(عنابة) هذه الأوضاع ودخل تونس، ونادى بنفسه سلطانا، ولما علم الحسن بذلك قرر العودة مع جيوش المرتزقة الإسبان، ودخلوا في حرب ضد أحمد، ومن معه من التونسيين الذين ناصروه فظفر أحمد، وقُبض على الحسن، وسُملت عيناه، ولكنه فروهو أعمى إلى القيروان، ومات بها، وقيل بانه مات بأروبا[1].

-أبو العباس الثاني أحمد بن الحسن(942-980هـ/1535-1572م): حاول السلطان أحمد إصلاح الدولة لكن وجد نفسه بين عدوين وهما الإسبان، والأتراك؛ فقد استولى الإسبان على المهدية، والمنستير، وجزيرة جربة، وطرابلس، وحلق الوادي القريبة من العاصمة تونس، وأما الأتراك؛ فقد دخلوا في صراع مع الإسبان لامتلاك تلك المدن، واستطاعوا أن يفتكوا ببعض المدن من الإسبان كطرابس مثلا سنة 958هـ/1551م، والمهدية، والمنستير، وجربة، واستنجد أهل القيروان بالقائد التركي "درغوث باشا"؛ الذي ازاح واليها التابع للسلطان الحفصي،وعين عليها"حيدر باشا"، ولما تولى خير الدين باشا خلفه على الحامية البحرية بالجزائر علي باشا، وهو الذي جهز حملة لضم تونس؛ فاستولى على باجة سنة 977هـ/1570م، ثم زحف نحو العاصمة تونس، وحاول السلطان الحفصي أحمد بن الحسن صد هذه الحملة إلا أنه فشل؛ فخرج بأهله، وأمواله وأتباعه، واستنجد بالإسبان؛ فجهزوا له أسطولا كبيرا، ولما وصلت القوات الإسبانية إلى ساحل حلق الوادي أخرج القائد الإسباني كتابا من الدولة الإسبانية ينص على شروطٍ لتقديم المساعدة للسلطان الحفصي، ومن هذه الشروط: حصول إسبانيا على نصف ممتلكات الدولة الحفصية، وأن يتقاسموا معه الجباية المحصلة؛ فرفض السلطان أحمد بن الحسن، وتنازل عن الحكم لأخيه محمد، ورحل أحمد بن الحسن إلى بلرم بجزيرة صقلية؛ فأقام بها إلى أن توفي، وحُمل إلى تونس ودفن بها[2].

---

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 156 وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص ص126-127. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص ص155-156.

[2] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 159 وما بعدها. حسن حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص127وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص111. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص 155 وما بعدها.

-محمد بن الحسن(980-981هـ/1572-1573م): آخر حكام الدولة الحفصية في تونس تولى الحكم، ورضي بالشروط التي فرضها الإسبان بفرض الحماية على البلاد، وتقاسموا معه الحكم، والجباية، ولما دخل الإسبان تونس قاموا بتحصين المدينة بإنشاء قلعة عظيمة جدا خارج سور تونس عرفت بإسم الباستيون، وقاموا بترميم حصن " بشكلي"، وحصون حلق الوادي وأسوارها بالحجارة الكبيرة، وأذاق الإسبان أهل تونس الويلات من ظلم، وجور، والجوع، والعذاب؛ فخاف التونسيون أن تتكرر واقعة الأربعاء ففروا إلى الأرياف، والبادية، واختفوا في الكهوف، وسميت هذه الواقعة بخطرة الدواميس، واستباح الإسبان تونس حتى أنهم دنسوا جامع الزيتونة، وربطوا أحصنتهم فيه، وألقوا بمحتويات مكتبته النفيسة في الشوارع، والطرق، فأتلفت، ذخائره من الكتب والمصنفات ودنست بأرجلهم، ونهبت بعضها، وأرسلت إلى مكتبة الفاتيكان، بل أنهم تعدوا إلى نبش قبور العلماء والصالحين، كقبر الولي الصالح سيدي محرز بن خلف، وعزم "حيدر باشا" الوالي التركي على القيروان بالإستيلاء على تونس العاصمة فتحالف مع نظيره على طرابلس" مصطفى باشا" واتفقا على جمع قواتهما والسير نحو الحاضرة تونس؛ فجهز كل منهما بقواته العسكرية البحرية والتقيا بالمحمدية، وحاولا فتحها لكنها امتنعت، فسارا نحو العاصمة تونس، ولما أوشكا على الوصول إلى تونس حتى علما بحلول قوة بحرية عثمانية قادمة من اسطنبول سنة 981هـ/1573م تحت قيادة الوزير سنان باشا لنفس الغرض؛ فتقوّت الجبهة العثمانية؛ ونزلوا بحلق الوادي فدخلوها بالقوة، فإلتجأ السلطان الحفصي محمد بن الحسن والإسبان بحصن الباستيون، إلا أن العثمانيين استطاعوا أن يدخلوه بالقوة كذلك، ونشبت معارك بين العثمانيين الأتراك، والإسبان انتهت بظفر سنان باشا ومن معه، ودخولهم العاصمة تونس؛ فقبض سنان باشا على الحاكم الحفصي محمد بن الحسن، وعاد به إلى الأستانة؛ فأمر السلطان العثماني سليم الثاني بن سليمان القانوني بسجنه، وبقي في السجن إلى أن توفي، وبذلك انقرضت الدولة الحفصية التي دامت تقريبا ثلاث قرون وخمسين عاما[1].

12-الدولة الزيانية أو دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط(633-962هـ/1235-1554م):

ينتسب بنو زيان أو بني عبد الواد إلى قبيلة زناتة البربرية إحدى فروع قبائل البتر، وبنو زيان في الأصل هم من القبائل الرحل؛ فقد كانوا يتنقلون من صحراء المغرب الأوسط ويستقرون في تلال تلمسان، وسهول وهران، وقد وضع بنو عبد الواد رجالهم، وفرسانهم في خدمة الموحدين،

[1] ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 165وما بعدها. الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص ص 207-208. حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص129وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص89. عبد الرحمن حسين العزاوي المرجع السابق، ص ص157-158.

وساهموا بدور كبير في الدفاع عن إقليمي تلمسان، ووهران؛ فكافأهم الموحدون بأن أغدقوا عليهم بالإمتيازات، ولما ضعفت دولة الموحدين في آواخر مراحلها أعلن عامل تلمسان يغمراسن بن زيان تأسيس دولة الزيانيين بالمغرب الأوسط، وعاصمتها تلمسان سنة 633هـ/ 1235م، هذه الدولة التي رسمت حدا فاصلا بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، استمر عمرها لأكثر من ثلاثة قرون[1]. وفيما يلي الولاة الزيانيين الذين عينوا على تلمسان قبل استقلالها عن الموحدين:

-جابر بن يوسف(627-629هـ/1230-1232م): كان مقيما مع عشيرته قرب تلمسان فتعرض هو ومن معه بسوء معاملة من طرف والي تلمسان آنذاك الحسن بن حيان الكومي؛فاعتقل رؤساء بني عبد الواد؛ فشفع لهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي(شيخ مرتجلة لمتونة) إلا أن الوالي رفض شفاعته؛ فجمع إبراهيم قومه، وقتل الوالي، وأطلق سراح شيوخ بني عبد الواد وخلع طاعة الموحدين، واعتقل أبا سعيد عثمان أخ الحاكم الموحدي إدريس المأمون، وحاول إحياء الدولة المرابطية، وخاف من أن ينقلب عليه بني عبد الواد؛ فدعاهم إلى وليمة في تلمسان؛ وعلموا بما يخطط له من غدر؛ فقبضوا عليه، ومن معه، وعين بنو عبد الواد جابر بن يوسف واليا عليهم، فقام بالدعوة للموحدين على المنابر، والسكة، وبايعه كل إقليم تلمسان إلا ندرومة فقصدها لإخضاعها؛ وحاصرها إلا أنه توفي بعد أن رماه يوسف الغفاري التلمساني بسهم فقتله[2].

-الحسن بن جابر (629هـ/1232م): تولى بعد وفاة أبيه جابر بن يوسف، حكم لمدة ستة أشهر ثم خلع نفسه، وتنازل لعمه عثمان لكبر سنه[3].

-عثمان بن يوسف(629-631هـ/1232-1234م): وكان فظا غليظا، فساءت سيرته على الرعية؛ فتمرد عليه بنو عبد الواد، وأخرجوه من تلمسان، وولوا عليهم أبا عزة زيدان بن زيان[4].

-أبو عزة زيدان بن زيان(631-633هـ/1234-1236م): كان شجاعا مقداما للأمور،صاحب رأي وحزم، ثار عليه بنو مطهر فحاربهم؛ واستظهروا ببني راشد؛فكانت بينه وبينهم حروب إلى قُتل

---

[1] ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى بن أبي ببكر محمد)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، مطبعة بيير فونطانا الشرقية الجزائر، 1903، م1، ص ص 89-104. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ص ص 786-787.

[2] أبو زكرياء يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص ص 106-107. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 2، ص 105.

[3] أبو زكرياء يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 107. التنّسي (محمد بن عبد الله)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 113.

[4] أبو زكرياء يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص ص107-108. التنسي، المصدر السابق، ص 113.

زيدان خارج تلمسان ؛ وبوفاته انقطعت دعوة الموحدين بتلمسان وقطرها؛ فقد اجتمع بنو عبد الواد، وقدموا أخاه يغمراسن[1].

-الأمير المستقل والمؤسس يغمراسن بن زيان(633-681هـ/1236-1283م): بويع له يوم مقتل أخيه زيدان بن زيان، قام بإخضاع القبائل التي كانت متمردة في عهد أخيه كبني مطهر وبني راشد[2].

تزامنت تولية يغمراسن الإمارة مع ضعف دولة الموحدين، فثار عليهم وخرج عن طاعتهم الأمير الحفصي أبي زكرياء صاحب إفريقية، وقد جهز هذا الأخير جيشه، وزحف نحو تلمسان سنة 639هـ/1242م؛ فخرج منها يغمراسن مع اهله إلى الصحراء، وأرسل إليه أبوزكرياء الحفصي يدعوه فلم يجب، وأدرك بانه بمجرد خروجه من تلمسان سيعود يغمراسن، ويستعيدها، فبعث إليه أبوزكرياء بالصلح، والرجوع إلى بلده على أن يتعاونا ضد الموحدين، وعاد أبوزكرياء إلى افريقية كما عاد يغمراسن إلى تلمسان، وفي هذه الفترة خرج الأمير الموحدي السعيد بن إدريس المأمون(640-646هـ/1242-1248م) من مراكش آواخر سنة 645هـ/1247م لاخضاع الولايات المتمردة عليه، واستطاع أن يسترد فاس وفي سنة 646هـ/1248م توجه نحو بني حفص بإفريقية، وفي طريقه إليهم قصد تلمسان؛ فخرج منها يغمراسن إلى قلعة تامزردكت في جبل قريب من تلمسان؛ فقصده السعيد الموحدي، وجرت بينهما وقائع انتهت بمقتل الأمير الموحدي السعيد بن إدريس في 29صفر 646هـ/23 جوان 1248م مع بعض حاشيته، ومواليه، وفر بعض الرجال الذين كانوا مع السعيد إلى معسكره، وأخبروهم بمقتل السعيد فارتحل الجيش عائدا نحو مراكش، وظفر يغمراسن بذخائر المحلة الموحدية كالمصحف العثماني، زيادة على متاع، وأموال وأسلحة، وأمر يغمراسن بأن يُغسل السعيد الموحدي، ويُكفن، ويُدفن بالعباد قرب مدينة تلمسان[3].

وبقضاءه على السعيد الموحدي أعلن يغمراسن بن زيان إستقلاله عن الدولة الموحدية، وقيام الدولة الزيانية بتلمسان؛ إذ ضمت أقاليم بني راشد، والجزائر بني مزغنة، ووهران، ووجدة، وأغادير، وغيرها من الأقاليم القريبة، ويعد يغمراسن أول من خلط زي البداوة بأبهة الملوك في بلاطه، ورتب الجنود، وفرض العطاء، واتخذ الوزراء، وأختار نخبة من خيرة الكتاب الوافدين إليه من الجاليات

---

[1] أبو زكرياء يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص108. التنسي، المصدر السابق، ص 113. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص62.

[2] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق،ج7، ص ص 105-106.

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق،ج6،ص ص346- 347. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 256- 257. ابن سماك العاملي، المصدر السابق، ص ص 253-254. الناصري السلاوي، المصدر السابق ص 203 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 263.

الأندلسية المهاجرة، وبعث في الأعمال(الولايات)، وقد كان شجاعا، دينا، فاضلا حليما، متواضعا، يجالس العلماء والصالحين، حسن السيرة مع الرعية وصاهر الحفصيين بإفريقية بأن زوج ابنه عثمان بابنة إبراهيم بن عبد الواحد الحفصي، وخرج يغمراسن لإستقبالها بمليانة وبينما هو عائد إلى تلمسان حتى أدركته المنية في وادي الشلف؛فحمل إلى العاصمة تلمسان،ودفن فيها، ومن أعماله بناء الصومعتين بالجامعين الأعظمين بأغادير، وتلمسان التي كانت تسمى تاجرارات[1].

-الدولة الزيانية بعد وفاة المؤسس يغمراسن بن زيان:

- أبو سعيد عثمان بن يغمراسن(681-703هـ/1282-1303م): تقلد أبو سعيد الحكم بعد وفاة أبيه يغمراسن، وتميز عهده بكثرة الخارجين والمتمردين عن سلطته، فخرج لإخضاع تلك الحركات؛ ومنها حركة ابن عبد القوي ملك تجين، الذي قتله، واستعاد ونشريس، والمدية منه، ثم قصد أراضي مغراوة فاستولى على مازونة، وتنس، وبرشك من المتمرد ابن ثابت بن منديل، هذا الأخير الذي فر إلى البحر، ثم زحف السلطان الزياني عثمان إلى بجاية فنزل بها، وأحرق قراها، واستولى على مازونة[2].

وفي عهده هاجم السلطان المريني يوسف بن يعقوب الدولة الزيانية خمس مرات انهزم في معظمها، ومنها حملته التي كانت سنة 689هـ/1290م التي استطاع الأمير الزياني عثمان بن يغمراسن أن ينتصر عليه، وزحف إلى الأقاليم التي خضعت للمرينيين في حملتهم على تلمسان هذه، وأعاد الأمير المريني يوسف غزو تلمسان سنوات 695هـ/1296م و 696هـ/1297م و697هـ/1298م ففشل فيها كلها، لكن السلطان المريني يوسف إستطاع في حملته الخامسة الأخيرة سنة698هـ/1299م أن يستولي على جميع أعمال الدولة الزيانية ماعدا العاصمة تلمسان فبنى حولها مدينة مسورة شيد فيها القصور، والحمامات، والفنادق، والأسواق، وسماها تلمسان الجديدة، والتي اشتهرت بالمنصورة، وبقي يحاصر أبا سعيد عثمان بتلمسان، ونقضت الكثير من القبائل عن طاعة السلطان الزياني عثمان، وعانى اهل تلمسان بسبب حصار المرينيين الذي تجاوز ثمان سنوات؛ إذ أُهلكوا بالجوع فأكلوا الجيف، والحشرات؛ وتوفي أبو سعيد عثمان، وهو

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق،ج7، ص107 وما بعدها. التنسي، المصدر السابق، ص125. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص ص206-207. عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني** ، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2002، ص21.

[2] أبو زكرياء يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 117 وما بعدها. التنسي، المصدر السابق، ص 129.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص215. حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية** ج1، منشورات الحضارة، الجزائر،2009، ص10.

محاصر بتلمسان، وكان أبو سعيد عثمان شهما، مقداما، ذا سياسة وصبر، وبويع بعد وفاته لابنه محمد[1].

-أبو زيان محمد بن عثمان(703-707هـ/1303-1307م): ولما تقلد أبو زيان الحكم لم يقدر على مواجهة المرينيين، وفك الحصار؛ فمات كمدا هو الأخر، وفي سنة 707هـ/1307م توفي السلطان المريني يوسف بن يعقوب وفك المرينيون الحصار على تلمسان.

-أبو حمو موسى الأول بن عثمان(707-718هـ/1307-1318م): إشتغل بتثبيت ملكه وهاجم غربي الجزائر، وسيطر على مليانة، ومدينة الجزائر، وسهل متيجة وجنوبيها، وكاد أن يسيطر على بجاية، وقسنطينة لكنه أغتيل سنة 718هـ/1318م على يد ابنه أبي تاشفين لتقديمه غيره عليه[2].

-أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى الأول (718-737هـ/ 1318-1337م):

والجدير بالذكر بأن الدولة الزيانية تعرضت بتحرشات من طرف الدول المجاور، الدولة الحفصية من الشرق، والدولة المرينية من الغرب بسبب موقعها الذي يتوسط الدولتين؛ فخضعت في الكثير من الفترات للتبعية الحفصية أو المرينية إلى غاية سقوطها نهائيا في يد الأتراك على يد صلاح رئيس باشا الذي استولى على تلمسان سنة 962هـ/1554م.

ولقد خلف الزيانيون العديد من المنشآت المعمارية الجميلة والبديعة كتلك التي بنيت في عهد أبي حمو موسى الأول بن عثمان(707-718هـ/1307-1318م)، وابنه أبي تاشفين عبد الرحمن (718-737هـ/1318-1337م)، ومنها دار الملك، ودار أبي الفهر، وقصر المشور، التي ساهم في بناءها البناؤون، والمزخرفون الأندلسيون الذين هاجروا من غرناطة، ووفدوا إلى تلمسان في خدمة السلاطين الزيانيين[3].

13 – الدولة المرينية في المغرب الأقصى (668-869هـ/1269-1465م):

يرجع نسب المرينيين إلى جدهم مرين بن ورتجان بن مخوخ من قبيلة زناتة إحدى قبائل البتر ومن أهم فروع المرينيين نذكر قبيلة بني عسكر التي كانت تقطن من أراضي الزاب إلى تلمسان

---

[1] أبو زكرياء يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 118. التنسي، المصدر السابق، ص130. ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل فرج)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان** ، تقديم وتحقيق وتعليق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية ط 1، 2001، ص ص 68-69.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص215.

[2] أبو زكريائ يحيى بن خلدون، المصدر السابق، 126وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص 325.

[3] السيد عبد العزيز سالم، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985، ص249.

بالمغرب الأوسط، وكان لها دور كبير في قيام دولة الموحدين؛ إذ إستعان بها الأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي في حملته التوسعية بالمغرب الأوسط على إخوانهم بني عبد الواد سنة 540هـ/1146م ونزلوا جنوبا إلى الصحراء يعيشون حياة البداوة والترحال، كما استعان بهم السلطان الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور(580-595هـ/1184-1198م) في معركة الأرك سنة 591هـ/1195م التي انتصر فيها ضد النصارى الشماليين في الأندلس، وقد جرح أمير المرينيين محيو بن أبي بكر بن حمامة في هذه المعركة بجروح قاتلة ادت إلى وفاته؛ فعظمت مكانة المرينيين لدى سلاطين الدولة الموحدية[1].

ومن هذا التاريخ بدأ المرينيون يتطلعون لتأسيس إمارة مستقلة بهم مثل المرابطين، والموحدين؛فبعد أن دب الضعف في الدولة الموحدية في آواخر سنواتها ظهر الأمير المريني أبوبكر بن عبد الحق(643-658هـ/1245-1260م) الذي يعد المؤسس الفعلي للدولة المرينية في المغرب الأقصى؛ إذ استولى على مكناسة سنة 643هـ/1245م، وجعلها عاصمة دولته الجديدة وأستطاع أن يخضع فاس سنة 646هـ/1248، وأن يتغلب على يغمراسن صاحب الدولة الزيانية في إحدى الحروب ضده، وانتزع سلا، والرباط من الموحدين سنة 649هـ/1251م، وبايعه أهل سجلماسة ودرعة سنة 655هـ/1257م، وبعد وفاته خلفه ابن أخيه يعقوب بن عبد الحق(656-685هـ/ 1258-1286م) الذي استطاع أن يدخل مراكش سنة 668هـ/1269م، ويقضي على دولة الموحدين نهائيا، وهكذا قامت الدولة المرينية في المغرب الأقصى شماله وجنوبه، وفرض المذهب المالكي السني بإعتباره المذهب الرسمي للدولة[2].

ومن أهم أعمال السلطان المؤسس يعقوب بن عبد الحق بناء مدينة فاس الجديدة التي تقع على مسافة ميل غرب المدينة القديمة إلى الجنوب قليلا، وجعلها عاصمة لدولته، وسماها: " المدينة البيضاء"، وشيد فيها قصوره، وحدائقه، وجامعا، وبنى في عدوة القرويين بفاس مدرسة كبيرة ومارستانا، وزوايا، وبجوار القصر السلطاني دشن دارا لسك العملة[3].

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج7، ص ص221-222. ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص 279-280. ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل فرج)، **روض النسرين في دولة بني مرين** ، تحقيق بن منصور عبد الوهاب، منشورات القصر الملكي، الرباط، 1962، ص 38. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص ص 9-10.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص223وما بعدها. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 281وما بعدها. السلاوي الناصري المصدر السابق، ج3، ص5 وما بعدها. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج 2، ص11 وما بعدها.عبد الرحمن حسين العزاوي المرجع السابق، ص167 وما بعدها

[3] السلاوي الناصري المصدر السابق، ج3،ص 44. عبد الرحمن حسين العزاوي، المرجع السابق، ص ص169-170.

ومن أشهر حكام الدولة المرينية نذكر أبو الحسن علي بن عثمان(731-752هـ/1331-1351م) الملقب بالمنصور الذي استطاع أن يملك المغرب العربي بأكمله، وبلغت دولته إلى حدود مالي جنوبا، ومن أهم إنجازاته بناءه لمدينة المنصورة بالقرب من تلمسان، كما قام ببناء سور يحيط بتونس، ودشن حصنا في جبل طارق، وأنشأ العديد من المدارس كالمدرسة المصبحية، ومدرسة صهريج بفاس والمدرسة الجديدة بمكناس، ومدرسة الطالعة بسلا، وبنى القناطر كقنطرة الوادي، وقنطرة الرصيف بفاس، وقنطرة وادي سطيف بتلمسان[1].

وأما ابنه السلطان أبي عنان فارس(752-759هـ/1351-1357م) الملقب بالمتوكل على الله فقد شيد بتلمسان كل من مسجدي سيدي الحلوي، والمنصورة سنة 754هـ/1354م عندما مكان مقيما بتلمسان، وعلى الرغم من انه اغتصب الملك من أبيه أبي الحسن علي إلا أنه كان عالما مطلعا، فقيها يناظر العلماء، ويحفظ القرآن الكريم، ويتمثل به، يعرف ناسخه، ومنسوخه، حافظا للحديث، عارف برجاله، كاتبا بليغا، شاعرا، عارف بالمنطق، وأصول الدين، وله حظ في العربية، والحساب، ومرض أياما؛ فدخل عليه وزيره الحسن بن عمر الفودودي؛ فقتله خنقا[2].

ويعد أبو عنان فارس بن أبي الحسن آخر السلاطين المرينيين الأقوياء من حيث بسط سيطرة الدولة، ومن حيث الإنجازات المخلدة، وخلفه حكام ضعفاء أدت سياساتهم غير الرشيدة إلى إنهيار الدولة المرينية، وتمزقها، وسقوطها في الأخير بعد أن إحتل البرتغاليون سبتة سنة 818هـ/ 1415م، وطنجة وأصيلا، والعرائش سنة 876هـ/1471م، زيادة على هذا فقد تمرد أهل فاس وخروجوا عن طاعة آخر حكام المرينيين، وهو عبد الحق بن أبي سعيد(823- 869هـ/1420-1464م) بسبب السياسة الجائرة للوزراء اليهود في حق المسلمين[3].

14- دولة بني الأحمر أو بني نصر في غرناطة(612-897هـ/1215-1492م):

ظهرت هذه المملكة بفضل جهود محمد بن يوسف بن أحمد بن نصر الخزرجي الذي اشتهرت أسرته ببني الأحمر نسبة إليه إذ كان يلقب بابن الأحمر لنضارة وجهه، وإحمرار شعره على الأرجح، وقد ظهر محمد بن يوسف على مسرح الأحداث السياسية في ظل الصراع الإسلامي-النصراني في الأندلس، وأصل هذه الأسرة من أرجونة إحدى الحصون التابعة لقرطبة، ويطلق على هذه الأسرة كذلك بني نصر، ولقد حافظ ابن الأحمر على آخر معقل من الأندلس وهي "غرناطة"

---

[1] السلاوي الناصري المصدر السابق، ج3،ص ص 119-120. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص43.

[2] أحمد بن القاضي المكناسي، **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** ، دار المنصور، الرباط، 1973، ص ص 508-510. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص44. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص 127.

[3] إبراهيم حركات، المرجع السابق، ج2، ص48.

وما يجاورها من السقوط لأزيد من قرنين، وألتف حوله الكثير من الأتباع في أرجونة، والمناطق المجاورة لها، ودخلت جيان، وبسطة، ووادي آش والحصون القريبة في طاعته، وانضم إلى جيشه الكثير من المسلمين الذين غادروا المناطق التي إستولى عليها الإسبان، فتوجه ابن الأحمر بهذا الجيش إلى المناطق الجنوبية البعيدة عن هجمات الإسبان، ومنها غرناطة التي أعلن أشرافها وأعيانها ولاءهم له، فدخل ابن الاحمر مدينة غرناطة في شهر رمضان 635هـ/ أفريل 1238م وبهذا أسس مملكته، وجعل قاعدتها غرناطة[1].

وعمل ابن الأحمر على حماية ما تبقى من الأراضي الأندلسية من إعتداءات الإسبان إلا أنه إضطر بعد مواجهات مع فرديناند الثالث ملك قشتالة أن يهادنه عندما عجز على مواجهته؛ فعقد معه اتفاق نص على أن يحكم ابن الأحمر بإسم ملك قشتالة، وأن يدفع ابن الأحمر للقشتاليين جزية سنوية، وأن يتنازل على عدد من الحصون، وأن يساعد الملك القشتالي في حروبه ضد المسلمين، ونتج عن هذا أن سقطت اشبيلية في يد القشتاليين في سنة 646هـ/1248م بعد سنة ونصف من الحصار، وقد ساعد ابن الأحمر القشتاليين في الاستيلاء على اشبيلية، والمناطق المجاورة تطبيقا لنص الإتفاق السالف الذكر[2].

ونظرا لهذه المهانة التي وصل إليها الأندلسيون وهي ما أدت بهم للاستنجاد بالحكام المرينيين في المغرب الأقصى الذين لبوا النداء، وأرسلوا جيشا قوامه ثلاثة آلاف جندي مع الكثير من المتطوعين بقيادة محمد بن إدريس المريني، وأخيه الفارس عامر؛ فعبروا المضيق إلى الأندلس وخشي ابن الأحمر على نفسه؛ فانضم إلى القوة المغربية؛ وأعلن عصيانه على الإسبان فهاجمهم وأستطاع أن يتغلب عليهم بفضل القوة المغربية سنة 662هـ/ 1264م لكن سرعان ما استرد ملك قشتالة قواه؛ فاستولى على استجة سنة 662هـ/1264م، وهاجم غرناطة الأمر الذي أدى بابن الأحمر إلى مهادنته، وأن يتنازل له على بعض الحصون في غربي الأندلس، ولم يبق من الأراضي الأندلسية سوى رقعة ضيقة حول غرناطة، وتوفي ابن الأحمر محمد بن يوسف في عام 671هـ/1273م، وهو الذي ابتنى قصر الحمراء بغرناطة، وخلفه ابنه محمد الملقب بالفقيه لعلمه

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص395. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 344.محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ص 264. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 577.

[2] محمد سهيل طقوش، التاريخ الإسلامي الوجيز، ص ص264-265.

وسعى محمد إلى التخلص من الإلتزمات التي عقدها والده مع النصارى من خلال التعاون مع المرينيين بمراكش[1].

ولبى السلطان المريني أبو يوسف يعقوب هذه الإستغاثة الأندلسية بعد أن تنازل له الأمير الأندلسي محمد عن الجزيرة الخضراء، وجزيرة طريف؛ فعبرت الجيوش المرينية أربع مرات، وانتصر على النصارى إلا أن هذه الأعمال لم تحدث أي تغيير في وضع الأندلسيين، وبعد وفاة محمد الفقيه سنة 701هـ/1302م كثرت الفتن الخلافات داخل بيت بني الأحمر الحاكم، واشتدت حملات قشتالة وأرغون، ولكن البيت الحاكم في مملكة غرناطة استهلكته حروب السلطة بين الخَلع أحيانا، والاغتيالات أحيانا أخرى ، فقد خُلع محمد الثالث بن محمد الفقيه في 708هـ/1309م، ثم ابنه نصر الذي خلفه على العرش، في سنة 713هـ/1314م وأغتيل خليفته إسماعيل الأول بن فرج بن إسماعيل بن يوسف سنة 725هـ/1325م، ثم أغتيل ابنه، وخليفته محمد بن إسماعيل سنة 733هـ/1333م، ليخلفه أخاه يوسف الأول، الذي اغتيل كذلك سنة 755هـ/1354م، ودار الخلاف بين محمد الخامس بن يوسف(755-793هـ/1354-1391م) وأخيه إسماعيل بن يوسف الذي نازعه الملك لمدة ثلاث سنوات[2].

وفي الوقت الذي كانت الأسرة الحاكمة في غرناطة منشغلة بالمؤامرات، والإغتيالات السياسية من أجل كرسي العرش، كان التقارب والتعاون بين مملكتي النصارى أراغون قشتالة، هذه الأخيرة التي تمكنت من احتلال جبل طارق عام 867هـ/1462م أيام حكم السلطان سعيد بن إسماعيل (858-868هـ/1454-1464م)، فحاصر هذا الإحتلال مملكة غرناطة، ومنع وصول إمدادات الدولة المرينية.

وإتحدت مملكتا قشتالة وأراغون في سنة884هـ/1479م على إثر زواج ملك الأولى فرديناند الخامس وملكة الثانية إيزابيلا والذي تم سنة 874هـ/1470م ، ونتج عن هذا الزواج أن استولى الملكان فرديناند، وإيزابيلا على مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس في شهر ربيع الأول سنة 897هـ/جانفي سنة 1492م في عهد آخر الحكام محمد بن علي بن سعد المعروف بأبي عبد الله الصغير.

---

[1] لسان الدين بن الخطيب، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تصحيح ووضع الفهارس: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1347، ص 37. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 265-266. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7، ص 151.

[2] انظر: إبراهيم علي الحجي، المرجع السابق ص 548 وما بعدها. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص 582 وما بعدها.

المحاضرة الحادية عشر: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي

1)-الحياة الإقتصادية في المغرب الإسلامي:

عرف المغرب الإسلامي العديد من النشاطات الإقتصادية كالفلاحة، والصناعة، والتجارة والضرائب على أنواعها(الخراج، العشر، الجزية...الخ)، وإزدهرت أكثر بداية من العصر الولاة وقيام الدول.

أ)-الفلاحة: تعد الفلاحة العمود الفقري للإقتصاد المغربي منذ القدم، وخاصة في فترة الفتوحات الإسلامية نظرا لما تملكه المنطقة من تنوع في التضاريس؛ فتتواجد بها السهول في الشمال، وهي العامل الجغرافي الأول الذي ساعد قيام وإزدهار زراعة وإنتاج الحبوب، والبقول، وأما الفلاحة الجبلية، فقد تخصصت بغرس الأشجار المثمرة كالزيتون بشكل أكبر، وأما الصحراء، فقد توزعت فيها الواحات بالقرب من الينابيع المائية؛ فعرفت هذه المناطق بإنتاج التمور.

ب)-الصناعة: عرفت الصناعة تطورا نسبيا في المغرب الإسلامي في عصر الولاة من خلال إستخراج الثروات المنجمية، وإستغلالها كمناجم الحديد، والفضة، والرصاص في مجانة [1]؛ فازدهرت بذلك صناعة الحديد والبلور.

وكان للتأثير المشرقي دور في التقاليد الصناعية والحرفية؛ فمنذ أن أنشأ حسان بن النعمان دارا لصناعة السفن بتونس عند حلق الوادي عام 84هـ/ 703م استقدم ألف شخص من أقباط مصر لتعليم اليد العاملة المحلية صناعة السفن[2].

وعرف المغرب إنتاج النسيج والقماش الرفيع؛ فزودت ولاية إفريقية به ديوان الطراز بمقر الخلافة الأموية بدمشق؛ فكانت تبعث عينات مصنوعة خصيصا للخليفة مروان الثاني بن محمد الجعدي (127-132هـ/744-750م)[3].

ج)-التجارة: يكتسي الموقع الجغرافي للمغرب الإسلامي أهمية كبيرة في تنشيط العلاقات التجارية بين المغرب، وجيرانه من أوروبا عن طريق صقلية، وإسبانيا، وكذلك مع الممالك التي قامت في الصحراء في السودان الأوسط، والغربي.

---

[1] سميت بمجانة المطاحن، وهي مدينة قديمة وبها مقطع حجارة الأرحاء ليس على الأرض مثله. أبو عبيد البكري، المصدر السابق ج2، ص710.

[2] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 84. حسين مؤنس، أطلس التاريخ الإسلامي ، ص135.

[3] هشام جعيط، **تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م**، دار الطليعة، ط1، بيروت، ص149.

وتعد التجارة إحى أكثر الأنشطة الإقتصادية التي عرفت إزدهارا وإنتعاشا أكثر بعد دخول المنطقة إلى حضارة الإسلام، كما أنها إرتبطت إرتباطا وثيقا بالإنتاج الفلاحي، والحرفي زيادة على شبكة الطرق التجارية بين المدن الكبرى مع مناطق الإنتاج[1].

واشتهرت العديد من الحواضر التجارية في المغرب الإسلامي كطرابلس، والقيروان، وتونس وتيهرت، وتلمسان، والمسيلة، وفاس، وورجلان، وغدامس، وسجلماسة ...الخ.

وعرفت التجارة عبر الصحراء الكبرى نشاطا ملحوظا منذ الفتح الإسلامي، وكان الفضل في ذلك للتجار، والدعاة العرب والمسلمين بداية من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، وراجت أكثر بعد فتح المرابطين لغانا في عام 470هـ/1077م، ودامت هذه النهضة _الاقتصادية –ان صح التعبير – إلى غاية القرن العاشر الهجري/منتصف القرن السادس عشر للميلاد، أي شملت معظم مرحلة العصور الوسطى، وأصبحت منتجات افريقية الغربية محل طلب من طرف أوروبا والمشرق الإسلامي، وتكفلت حواضر المغرب الإسلامي بدور الوسيط أو حلقة وصل لهذه التجارة[2] .

وتعد الطرق التجارية شريان اقتصاد أي دولة فهي التي توردها بالمستلزمات، والحاجيات سواء منها المجتمعية، أو السيادية من مختلف المواد، والبضائع مهما كانت طبيعتها، ولمختلف استعمالاتها، زيادة على عائدات هذه الطرق التجارية من ضرائب التي تحصلها الدولة من المارين عبر هذه الطرق لتوفير الحماية والأدلاء، أو توفير الأسواق، وتنظيمها، وبهذه الطرق التجارية تستطيع الدولة تصدير منتجاتها إلى باقي الدول المجاورة لها أو البعيدة عنها عن طريق وكلاء لها محليين أو أجانب، لهذا فالطرق التجارية هي عصب اقتصاد الدول في فترة العصور الوسطى وغيرها.

ومن هذا المنطلق فان الاستقرار السياسي، وتوفر الأمن عبر هذه الطرق كانا لهما الدور البارز في حيويتها ونشاطها، أو العكس، فقد كانت للصراعات السياسية دور بارز في تغيير بعض المسالك التجارية ابتعادا عن الأماكن الخطيرة[3]

ومن المواد التي يصدرها المغرب الإسلامي إلى المشرق:الحبوب،الزيت، السجاد، أقمشة الطراز. وكان المغرب يستورد من المشرق:الأقمشة، الأسلحة، التوابل الموجهة إلى الطبقة الغنية والحاكمة. وأما التبادل التجاري بين المغرب الإسلامي مع ممالك السودان ؛ فقد كان المغرب يصدر إليها:

---

[1] نفسه.

[2] ا.ج.هوبكنز، **التاريخ الإقتصادي لافريقيا الغربية**، تقديم: محمد عبد الغني سعودي ، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 158.

[3] مختار حساني، المرجع السابق، ص 152.

-**مادة الملح:** وهو من بين أهم المواد التي يتم التعامل بها نظرا لندرته في ممالك السودان الغربي فقد استخدم كالعملة التي يتصارف بها في الأسواق مثل الذهب، والفضة[1].

-**الجلد:** الذي تشتهر به غدامس[2] حتى أصبح يطلق عليه الجلد الغدامسي.

-**مادة التمر** : الذي ينتج في غادمس، و أكثر طعام أهل غدامس، ويتخذون الكمأة عندهم بكثرة حتى تتخذ فيها الأرانب جحرة[3].

ووارجلان تصدر إلى حواضر ممالك السودان الحنطة [4].

وكان يستورد المغرب الإسلامي من ممالك السودان المواد التالية: الذهب، والتبر [5]، وأنواع العود والنباتات، والعقاقير كالعود المسمى بالحية والذي يستخدم في الوقاية من لسعات الحيات والأفاعي ويصدر هذا العود إلى المغرب الأقصى وورجلان[6].

ويستورد المغرب من بلاد السودان أحد أنواع **الصوف**، والقطن" الذي لا تؤثر فيه النار ، ولا يحترق، والذي ينتج من شجرة طويلة الساق دقيقة تسمى تورزى، تنبت في الرمال، ولها ثمر كبير منتفخ بداخله صوف أبيض يصتع منه الثياب والأكسية، ومن هذا الجنس حجارة بوادي درعة تسمى بالبربرية تامطغست تحك باليد فتلين إلى أن تأتي في قوام الكتان، فتصنع منها الأمرة (الأحزمة) والقيود للدواب؛ فلا تؤثر النار في شئ من ذلك، وقد صنع منا كساء لبعض ملوك زناتة بسجلماسة[7]، وببلاد السودان تنتج أنياب الفيل التي تستخدم في صناعة العاج[8].

د)-الضرائب: خضعت الأملاك العربية والمستعربة لضريبة العشر، وأما الخراج فقد فرض على الأراضي الصالحة للزراعة سواء زراعة الحبوب أو لزراعة الأشجار المثمرة ، وواحات النخيل، وأما الجزية فكانت تفرض على الطوائف غير المسلمة كالنصارى، واليهود.

2)-الحياة الإجتماعية في المغرب الإسلامي:

أ)-عناصر السكان: سكن المغرب الإسلامي ثلاث طوائف قبل الفتح الإسلامي وهي:

---

[1] ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)، **رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الأنصار وعجائب الأسفار** ، أكاديمية المملكة المغربية ،ج2، الرباط 1417هـ، ص523. محمد عيسى الحريري، المرجع السابق ، ص211.

[2] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ج1، ص 145.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 881.

[4] الحميري ، المصدر السابق، ص ص 513-514.

[5] أبو عبيد البكري ،المصدر السابق، ج2، ص 877. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 101. ابن الفقيه الهمداني (أبو عبد الله أحمد بن محمد)، **البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1996، ص 138.

[6] الحميري ، المصدر السابق، ص 503.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 878.

[8] نفسه، ج1، ص 321.

أ-1)-**الأفارقة**[1]: وهم خليط جنسي؛ فيهم من يرجع أصله إلى القرطاجيين، ومنهم من ينتسب السلالة الآرية أي من بقايا الرومان، والروم أو من الإيطاليين أو من كان في خدمتهم وعنهم أخذوا المسيحية، ومظاهر الحضارة الرومانية، وفيهم من دخل إلى الإسلام، وتقلد المسؤوليات الإدارية والساسية في ولاية إفريقية بعد الفتح الإسلامي كعبد الأعلى بن حديج مولى موسى بن نصير[2].

أ-**2**)-**البربر**[3]: وهم الغالبية العظمى من سكان بلاد المغرب، ويرى البكري بأن ديارهم كانت في فلسطين من بلاد الشام، وكان ملكهم جالوت، وساروا إلى بلاد المغرب ثم تفرقوا في بلاد إفريقية وطنجة[4]، بينما أطلق الأوربيون لفظ البربر على سكان المغرب الأصليين للدلالة على الحالة البدائية والهمجية أو الوحشية، ويفضل البربر أن يُطلق عليهم إسم الأمازيغ، والتي يرجح أنها ترجع إلى جدهم الأعلى مازيغ بن كنعان بن ...حام، ويقسم النسابة العرب البربر بحسب أحوالهم الإجتماعية والإقتصادية إلى جذمين: البرانس، والبتر[5].

أ)-**البرانس:** أو بربر الحضر، وهم الذين غلب عليهم الإستقرار في القرى الساحلية، والتلية والجبلية للزراعة، ومن قبائل البرانس: مصمودة، وازداجة، وأورية، وعجيسة وكتامة،وصنهاجة، وأوريغة، ولمطة، وهسكورة، وكزولة(جزولة).

ب)-**البتر:** وهم الذين غلب عليهم طابع البداوة؛ فكانوا ينتجعون المراعي الخصبة، ومنابع المياه ومن أشهر قبائل البتر: أداسة، نفوسة، ضريسة، بنولو الأكبر أو لواتة.

---

[1] أطلق الفينيقيون لفظ افري (Aphri) على أهل البلاد الذين كانوا يسكنون حول مدينة (Utica) أي المدينة القديمة وعاصمتهم قرطاجنة " المدينة الحديثة"، وعنهم اخذ اليونان هذا الإسم الذي أطلقوه على سكان البلاد الأصليين الذين يسكنون بلاد المغرب من حدود مصر إلى المحيط، ومن ثم سميت أفريكا أي بلاد الأفرى، واستعمل هذا الإسم للدلالة على هذه المنطقة؛ فهيرودوت يطلق اسم أفريكا على كل المنطقة التي تقع غرب مصر إلى غاية المحيط الأطلسي، وأخذ الرومان هذا الإسم على الفينيقيين لما إحتلوا المنطقة؛ فأطلقوا إسم افريقية القنصلية على قرطاجنة وما حولها حتى نوميديا ثم اتخذ هذا المدلول يتسع حتى أصبح يطلق في العصر البيزنطي تشمل كل ما دخل في طاعة البيزنطيين من برقة إلى طنجة، وعن البيزنطيين أخذ العرب هذا المدلول إلى أن ضيق الإطار الجغرافي لهذا، وأصبح يطلق على مايلي مصر غربا إلى بجاية، وما يلي بجاية غربا أصبح يطلق عليه المغرب. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص 1-2.

[2] موسى لقبال، المرجع السابق، ص20.

[3] يذكر ابن خلدون ان أصل تسمية البربر بهذا الإسم إلى أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة (بنوحمير باليمن) لما غزا المغرب وإفريقية، وقتل الملك جرجيس، وبنى المدن والأمصار لما رأى هذا الجيل من الأعاجم، ورطانتهم ولهجتهم تعجب من ذلك وقال: " ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر، والبربرة بلسان العرب بمعنى إختلاط الأصوات غير المفهومة. ابن خلدون، المصدر السابق ج6، ص ص 116-117.

[4] البكري، المصدر السابق، ج1، ص 328.

[5] موسى لقبال، المرجع السابق، ص21.

ولقد صد البربر حركة الفتوحات الإسلامية ظنا منهم بان الهدف منها السلب والنهب، واستغلال ثروات البلاد مثل الغزاة السابقين كالرومان، والوندال، والبيزنطيين، غير أنهم مع مرور فهموا رسالة الفتح الإسلامي، والهدف منه، فدخلوا في كنف الدولة الإسلامية المترامية الأطراف في العصر الأموي، وفيهم حتى من تقلد المناصب السامية كقيادة الجيوش وإستكمال حركة الفتوحات الإسلامية في الأندلس، ونقصد بذلك القائد الفاتح طارق بن زياد.

واتسمت العلاقة قبل الفتح بين بربر البتر وبربر البرانس بالتوتر والتطاحن؛ فقد كان البربر البتر الرحل يغيرون على مزارع بربر البرانس، فاضطر بربر البرانس الإحتماء بالعنصر الأجنبي سواء كان لاتين أو بيزنطيين ضد بربر البتر[1].

أ-3)-الروم: ويقصد بهم البيزنطيون الذين احتلوا شمال إفريقية قبل دخول العرب إليها، واستقر الروم على الشريط الساحلي لبلاد المغرب، ولم يتوغلوا في المناطق الداخلية للبلاد، إما لصعوبة الحياة وقساوتها أو لصعوبية التضاريس أو لمقاومة السكان الأصليين لهم[2].

أ-4)-طوائف أخرى: وهم أقلية من العناصر السابقة الذكر، **كاليهود** الذين وجدوا كجماعات، وقد حلوا بإفريقية مع الهجرات الفينيقية، والعنصر الآخر هو **السودان** الذين اختلطوا بالمغاربة بواسطة التجارة فاستقر بعضهم في الواحات الصحراوية، وكان تواجدهم بالمنطقة منذ العصر الفينيقي والروماني، واشتغلوا عند الأفارقة في ميدان الحراسة والفلاحة، وكأدلاء للتجار لمعرفتهم المسالك، والطرق التجارية الصحراية الرابطة بين حواضر المغرب والسودان[3].

أ-5)-العرب: وهم العناصر الجديدة التي قادت الفتح الإسلامي، زيادة على ذلك فقد رافقت حملاتها جماعات عربية، استقرت في البلاد المفتوحة مع مواليهم من المشرق[4].

ولقد امتزجت تلك الطوائف، والأعراق في بوتقة الحضارة الإسلامية بالمغرب منذ الفتح الإسلامي، وبدأت تتناقص أعداد بعض الطوائف إلى أن هجرت أو دخلت في الإسلام، أو حافظت على ديانتها مع دفع الجزية كالروم، والأفارقة، والبربر، والسودان، واليهود بينما بقي العنصر العربي هو الحاكم في البلاد.

ب)-دور المرأة المغربية: نميز من حيث الحالة الإجتماعية للمرأة المغربية إلى وضعين مختلفين:

---

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص6.

[2] نفسه، ص 5. حمودة عبد الحميد حسين، المرجع السابق، ص 24.

[3] نفسه، ص ص 20-21.

[4] هشام جعيط، المرجع السابق، ص151

المرأة العبدة، وهي التي كانت تستخدم كجارية تخدم بيوت الخاصة أو تباع في الأسواق حتى انها كانت تسوق إلى المشارقة لميلهم إلى النساء البربريات[1].

وأما المرأة الحرة فلم يقترن دورها في البيت، وأنما برز دورها حتى في مختلف المجالات الحضارية، ففي الميدان السياسي اشتهرت كنزة الأوربية البرنوسية في بلاط دولة الأدارسة، وهي زوجة إدريس الأول بن عبد الله(172-177هـ /788-793م) مؤسس دولة الأدارسة التي انتسبت إليه، وقد ظهر دور كنزة السياسي خاصة في عهد حفيدها محمد بن إدريس الثاني(213-221هـ /828-836م) عند توليه الإمارة بعد وفاة والده إدريس الأول؛ فقد أشارت عليه بتقسيم الإمارة بين إخوته[2].

وبرزت في بيت أحد ملوك الدولة الزيرية الصنهاجية بإفريقية إحدى النساء الفضليات والتي تعرف بـ: بلارة بنت تميم بن المعز بن باديس، وكانت من أهل الرأي، وعلو الهمة، واشتهرت بالكثير من الخصال، والشمائل؛ وهي التي تزوجها سنة 470هـ/1078م ابن عمها حاكم الدولة الحمادية الناصر بن علناس الصنهاجي (454 - 481هـ/1062-1088م) صاحب قلعة بني حماد وبجاية، وابتنى لها الناصر في مملكته قصورا شامخة، منها قصرها الذي اشتهر باسمها "قصر بلارة" بقلعة بني حماد[3].

واشتهرت في عصر المرابطين زينب بنت إسحاق النفزاوية(464هـ/1072م) من حيث الجمال والنفوذ، والرياسة، وترجع أصولها إلى قبيلة نفزة إحدى قبائل بربر طرابلس، وكانت بارعة الجمال وحازمة، وذات عقل، ورأي، ومعرفة بإدارة الأمور حتى أنها لقبت بالساحرة، وكانت قد انتقلت إلى أغمات، وتزوجها الأمير أبو بكر بن عمر، ولما طُلقت منه تزوجها الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين سنة 454هـ/1062م وكان يستشيرها في أمور دولته حتى أصبحت القائمة بملكه، والمدبرة لأمره، ووصفت آراءها وسياستها بالحسنة[4].

وفي الميدان الإجتماعي ساهمت المرأة المغربية في الأوقاف، ومن اشهر نساء المغرب الإسلامي في هذا الجانب أم البنين فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرية القيروانية(ت نحو

---

[1] نفسه، ص150.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص51.حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص130.

[3] عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ص ص 139-140.

[4] الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص ص14، 19، 20، 21.خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج3، ص ص 65-66.

265هـ/نحو 880م) التي أوقفت أرضا بفاس لبناء مسجدا عرف بجامع القرويين عام 245هـ/ 859م، وأختها مريم التي شيدت مسجدا جامعا بعدوة الأندلسيين بفاس في نفس العام[1] .

وفي الميدان العلمي فقد اشتهرت في القيروان اشتهرت أسماء بنت أسد بن الفرات(توفيت في حدود250هـ/نحو864م) التي كانت من فضليات نساء عصرها، فقد اعتنى أبوها بها فرباها تربية حسنة؛ فكانت تحضر مجالسه الفقهية، والعلمية، وتشارك طلبته في السؤال، والمناظرة، فاشتهرت برواية الحديث، والفقه على مذهب أبي حنيفة النعمان(ت150هـ/767م)[2].

وفي المغرب الأقصى برزت خديجة بنت هارون بن عبد الله الدوكالية (عاشت بين 640 – 695م) في علم الإقراء بالروايات السبع، وحفظت الشاطبية [3]، وقيل بأنها حجت خمس عشرة حجة(ثلاث عشرة منها ماشية على الأقدام، وحجتان راكبة)[4].

المحاضرة الثانية عشر: الحياة الثقافية والفكرية في المغرب الإسلامي

الحواضر المغربية، ومؤسساتها العلمية، وأشهر العلماء بها:

1)– القيروان: وهي أول حاضرة بنيت في الإسلام بإفريقية ، اختطها الصحابي الفاتح عقبة بن نافع (ت 63هـ/683م) بإفريقية سنة 51هـ/671م، ولقد حظيت مدينة القيروان بمكانة هامة لدى المؤرخين كمنارة ومصدر إشعاع علمي وفكري باعتبارها أعظم الحواضر الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي على الإطلاق.

ولقد كانت الرحلة العلمية تعقد إلى القيروان منذ القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي، للمغاربة والأندلسيين، ولأهل السودان، كما كانت بمثابة محطة لعبور الأندلسيين نحو المشرق لأداء فريضة الحج أو طلباً للعلم أو للهدفين معاً، فان بعض العلماء الأندلسيين كانوا ينتهزون

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص 211. ابن خلدون، المصدر السابق، ص20. ابن أبي زرع علي الفاسي، المصدر السابق، ص 54 وما بعدها. أبو العباس الناصري، المصدر السابق ص ص 76–77. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص128–129.خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص132.

[2] عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج1، ص45.

[3] وهي منظومة شعرية في علم القراءات، والعنوان الأصلي لهذه المنظمة هو: " حرز الأماني ووجه التهاني" ، ألفها الإمام القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي الأندلسي الرعيني(عاش بين 538–590هـ/1144–1194م)، إمام القراء في عصره، وكان ضريرا، ولد بشاطبة، وتوفي بمصر، وكان إذا قرئ عليه صحيح البخاري، ومسلم، والموطأ تصحح النسخ من حفظه، وشاطبة: هي مدينة بشرقي بالأندلس، شرق قرطبة، تشتهر بصناعة الكاغد الجيد. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م 3 ص 308. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص 180.

[4] عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ص 345.

الفرصة لمقابلة علمائها ، وكان الكثير من علماء قرطبة يتوقفون بها باعتبارها عاصمة فكرية لها مكانتها في الحضارة بالغرب الإسلامي[1].

و عرف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي انتشار المذهب المالكي ، وسيادته في المغرب، وهذا لوجود كبار علماء المالكية في القيروان كالبهلول بن راشد(ت 183هـ/799م)،وعلي بن زياد(ت 183هـ/799م)، وأسد بن الفرات(ت 213هـ/828م)، وسحنون عبد السلام بن سعيد التنوخي (ت 240هـ/854م) وغيرهم[2].

ومما يزيد من أهمية حاضرة القيروان العلمية والدينية توافد علماء وفقهاء المالكية من المدينة المنورة للتدريس بها كالفقيه عبد العزيز بن يحيى الهاشمي وذلك سنة 225هـ/839م ، وفي السنة نفسها حل بالقيروان من مصر الفقيه أبو يحيى زكرياء بن يحيى الوقار (ت254هـ/868م)[3].

ولقد شهد القرن الثالث الهجري/ التاسع للميلاد نشاطاً مكثفاً للرحلات ما بين قرطبة والقيروان خاصة في موسم الحج، ومن العلماء الأندلسيين الذين قدموا إلى القيروان أبو هارون الأندلسي(ت291هـ /903م)[4] الذي نزل في ضيافة حماس بن مروان بن سماك (ت 303هـ/ 915م)، وكان عدد من الأندلسيين قد حضروا للسماع من أبي الحسن القابسي (ت403هـ/ 1012م)[5].

ولم تقتصر الرحلة بين الأندلس والقيروان على طلبة العلم فقط، بل شملت القضاة كذلك وهذا ربما لدافع طلب المزيد من العلم ، والاستفادة من الخبرة والتجربة في مجال عمل القضاء ،وهو ما حدث مع القاضي أسلم بن عبد العزيز(ت 317هـ/929م) الذي تولى قضاء قرطبة سنة 300هـ /912م إلى غاية 309هـ/921م ثم رحل إلى القيروان، وسمع من شيوخها كقاضي الجماعة محمد بن عبد الله بن عيسى(ت339هـ/950م) وغيرهما[6] .

---

[1] سامية مصطفى مسعد ، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/912- 1008م)**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ،ط1 ، 2000، ص188. محمد طه الحاجري، **دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية بالمغرب العربي** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1983 ، ص 39 .

[2] بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، ط1 ، بيروت، 2003، ص246 .

[3] علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد**، " أطروحة دكتوراه" ،كلية التربية ، جامعة الموصل، 2003 ، ص56.

[4] الفقيه، العابد، الزاهد، توفي بالمدينة المنورة، ودفن بمقبرة البقيع. المالكي، رياض النفوس، ص 516وما بعدها.

[5] بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 248 .

[6] الضبي (أحمد بن يحيى)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة، بيروت، 1989،ج1، ص ص294-295. سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص187.

وكان يشترط من يتصدر الفتيا في الأحكام والشرائع بالأندلس أن يكون حافظاً لموطأ الإمام مالك، ومدونة سحنون بن سعيد التنوخي، وغيرهما[1]، وترجع أهمية القيروان العلمية كذلك إلى وجود ما يشبه في عصرنا الحالي معهد لدراسة الطب والصيدلة وترجمة الكتب اللاتينية وهو ما عرف ببيت الحكمة والذي كان مقصداً لطلبة العلم من المغرب، والأندلس [2] ،واشتهرت هذه الحاضرة العريقة بعالمها المربي الطبيب ابن الجزار(ت 369هـ/980م) الذي وفد إليه بعض الأطباء الأندلسيين طلباً للاستزادة من العلم والمعرفة والخبرة في ميدان الطب والصيدلة، وكان منهم على سبيل المثال عمر بن حفص بن برتق الذي أخذ عنه الطب، ولزمه ستة أشهر وعاد إلى الأندلس وأدخل معه كتاب زاد المسافر ، وخدم الطب الخليفة عبد الرحمن الناصر [3]، وزيادة على ما سبق فقد كان المسجد الجامع بالقيروان من أقدم المساجد ومصدر الإشعاع العلمي والفكري الأول في تاريخ الغرب الإسلامي ، بالإضافة إلى جامع الزيتونة بتونس الذي يعد كذلك من أقدم الجامعات في العصور الوسطى حيث كانت تدرس فيه علوم اللغة، والتاريخ، والفقه[4].

2)- تاهرت: تعد مدينة تاهرت من أهم المراكز الثقافية في المغرب الأوسط، فقد عمل أئمة وحكام الدولة الرستمية على تشجيع الحركة العلمية والثقافية [5]، وساهموا في نشر العلم، وتوقير العلماء حتى أصبحت تاهرت قبلة لطلاب العلم، وقصد بعضهم علماء الإباضية، وتتلمذوا عندهم في العلوم العقلية من رياضيات وطب وكيمياء وغيرها[6]، ولقد عرفت عاصمة الرستميين تاهرت وبعض وبعض مدن الأندلس كقرطبة مثلًا تبادل الهجرات العلمية[7].

---

[1] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج2، ص79. بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص248.

[2] رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه وثقافته** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص51. حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر** ، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط 1، بيروت 1992، ج1، ص133 .

[3] صاعد الأندلسي(أبو القاسم صاعد بن أحمد)، **طبقات الأمـم**، نشره وذيله بالحواشي لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية بيروت، 1912، ص79. ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق، ص ص 490-491.

[4] البكري أبو عبيد، **المغرب في ذكر افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 22. ياقوت الحموي، المصدر السابق ج4، ص421. زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب وأثرها على الحضارة العربية في أوروبا** ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار الآفاق الجديدة، ط6، بيروت، 1981، ص 396.

[5] عبد العزيز فيلالي، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس**، دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس ، 1991 ،ص97.مارمول كرباخال، **إفريقيا** ، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1988، ج3، ص97 .

[6] عصام عبد الرؤوف الفقي، المرجع السابق، ص156.

[7] سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص193 .

ولقد كان الكثير من العلماء الأندلسيين يمرون على تاهرت في طريقهم من وإلى الأندلس في رحلاتهم العلمية ، ونذكر منهم مثلًا الفقيه النحوي الغازي بن قيس(ت 199هـ/814م)[1]، وحفيده محمد بن عبد الله (ت بعد 296هـ/908م)، وأصبح علماء تاهرت بمثابة ذلك الوسيط الثقافي بين المشرق، والأندلس [2]، دون التقليل من جهد علماء الأندلس الذي وصلوا إلى حواضر المشرق الأخرى ، ونقلوا ما نقلوا منها وعادوا بها إلى الأندلس.

وقد ظهر تأثير إباضي تاهرتي في الأندلس، وذلك في مناطق الالتقاء والتبادل التجاري بين الرستميين، والأمويين، وتجسد في منطقة قرية بلفين التابعة لمدينة المرية الأندلسية، والتي كان أهلها على المذهب الإباضي، وكذلك جزيرة يابسة(Ibiza) التي أشار إليها الباحث محمد عيسى الحريري بأنها كانت إباضية إلى غاية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر للميلاد[3].

واشتهرت تاهرت باحتضانها مكتبة ضخمة عرفت باسم المعصومة [4]، والتي كانت تحوي نحو ثلاثمئة ألف كتاب في مختلف العلوم، ويرجح أنه استفاد منها طلبة العلم من أهل المغرب والأندلس الذين توافدوا على تاهرت أو الذين مروا عليها أثناء رحلاتهم، والمؤسف أن هذه المكتبة الجليلة قد أحرقت من طرف الشيعة، وهذا للقضاء على آثار وتراث الفكر الإباضي المعادي لهم[5].
لهم[5].

3)- فاس: ازدهر النشاط الفكري والثقافي بفاس منذ بناء جامع القرويين عام 245هـ/859م وأختها مريم التي شيدت مسجدا جامعا بعدوة الأندلسيين بفاس في نفس العام[6].

وبفضل جامعها أصبحت فاس قبلة لطلبة العلم سواء من المغرب أو غيرها من الأقطار خاصة من الأندلس للقرب الجغرافي، فقد أشارت بعض المصادر مثل المسالك والممالك للبكري، وبعض الدراسات مثل ما قدمه السيد عبد العزيز سالم أن أولى الرحلات الجماعية الأندلسية التي وفدت

---

[1] غازي أو الغازِ بن قيس الأندلسي، من الموالي ، يكنى بأبي محمد، كان مؤدباً بقرطبة، روى عن الإمام مالك كتاب الموطأ من حفظه، وهو أول من أدخله إلى الأندلس، وكان يحظى باحترام وتقدير الخليفة عبد الرحمن بن معاوية الداخل، وعرض عليه القضاء فرفض. الضبي، المصدر السابق، ج2، ص 575. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص113.

[2] نفسه، ص 175 .

[3] نفسه. الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص 221 .

[4] وهو اسم لقصبة مشرفة على السوق بتاهرت. البكري أبو عبيد، المصدر السابق، ج 2، ص ص733. ياقوت الحموي، المصدر السابق، م2، ص17 . الحميري، المصدر السابق، ص ص126.

[5] الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص 220. سامية مصطفى مسعد، المرجع السابق، ص 194.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج 1، ص211. ابن خلدون، المصدر السابق، ص20. ابن أبي زرع علي الفاسي، المصدر السابق، ص54 وما بعدها. أبو العباس الناصري، المصدر السابق ص ص76-77. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 128-129. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص132.

إلى مدينة فاس استقرت في جزء من هذه المدينة، وأطلق على هذا الجزء عدوة الأندلسيين ابتداءً من سنة 192هـ/807م[1]، وبلغ عدد هؤلاء الذين فروا من الأندلس بعد حادثة الربض سنة 189هـ /804م حوالي ثمانية الاف بيت حسب رواية ابن أبي زرع [2]، ومن العلماء الأندلسيين الذين وفدوا إلى فاس العالم عمير بن مصعب الأزدي(ت نحو 225هـ/840م)[3] الذي عينه إدريس الثاني (ت213هـ/ 828م) في منصب الوزارة ، كما عين أندلسي آخر وهو عامر بن محمد بن سعيد القيسي في القضاء، وربما هذا التوقير والاحترام شجع العلماء الأندلسيين على الهجرة نحو فاس خاصة أتباع مذهب الإمام مالك[4].

ولقد كان الكثير من أمراء فاس الأدارسة من محبي طلب العلم ،ومجالسة العلماء، منهم مثلاً أحمد بن إبراهيم بن محمد (عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد) [5]، وكذلك يحيى بن إدريس بن عمر(ت 332هـ/943م)[6] الذي كان يشهد مجلسه الكثير من العلماء والشعراء ، وينسخ له عدد من الوراقين[7].

ومهما يكن من الأمر، فقد برز دور جامع الأندلسيين بفاس، الذي كان يضم خليطًا من المغاربة، وعرب المشرق ، والأندلسيين، إذ كانت تعقد فيه المناظرات العلمية، والمجادلات الفقهية وكذلك في جامع القرويين، ولقد ساهمت هذه الأجواء ، والمنافسات العلمية، والمناقشات في التحصيل العلمي للطالب الأندلسي المرتحل، والتقرب من علماء هذه الحاضرة كما ساهمت كذلك في الإبداع الفكري والثقافي من خلال تأليف الكتب والمصنفات، مما يؤدي إلى تزايد عدد المكتبات التي ساهمت المساجد في ظهورها في البدء باعتبار أن المسجد كان بمثابة المركز الذي يرعى

---

[1] البكري أبو عبيد، المسالك والممالك، ج2، ص795 وما بعدها .السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص224.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص47 . بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص240 .

[3] تنسب اليه عين عمير التي تقع على رسخين من مدينة فاس. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص89.

[4] بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص240.

[5] من العلماء الأدارسة الأجلاء، كان يحفظ السير والتواريخ، كما كان نسابة، ويعرف بأحمد الفاضل، واشتهر بميله وتعاطفه الشديد لبني أمية الأندلسيين حيث استأذنهم في دخول الأندلس للجهاد سنة 332هـ/943م. البكري أبو عبيد، المصدر السابق، ص 130. بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص242.

[6] تولى الحكم سنة 292هـ/904م الى غاية نفيه من قبل الشيعة 309هـ/921م، اشتهر بالعدل والكرم ، واحترام العامة له، وكان فقيهاً، حافظاً للحديث، فصيحاً، ديّناً، ورعاً. ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص80-81.

[7] بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص 242.

هذه المناقشات الفكرية [1]، هذه المكتبات وما تحتويه من ذخائر الكتب هي بدورها يستفيد منها الطالب الأندلسي في بحثه، ورحلته العلمية .

المحاضرة الثالثة عشر: العمارة والفنون في المغرب الإسلامي

تعددت مظاهر اهتمام حكام المغرب الإسلامي منذ الفتح الإسلامي بالحركة العمرانية، و قد تنوعت في عدة مجالات ؛ فمنها ما يحمل الطابع المدني ، ومنها ما هو ديني، ومنها ما هو عسكري.

1)-المنشآت المدنية:

أ) – المدن : يعد الاهتمام بالمدن ترميما وتأسيسا، وإضافة،وتوسعة أحد أكثر المظاهر وضوحا، وكان الهدف من هذا إما استجابة ومراعاة للازدياد السكاني، أو بتخليد أسماء أصحابها في التاريخ الحضاري للدول، أو استجابة لضرورة إستراتيجية، ومن أشهر المدن التي بنيت بالمغرب في العصر الإسلامي ما يلي:

أ)-1-القيروان: التي أنشأها الفاتح عقبة بن نافع (ت63هـ/683م) بإفريقية سنة 51هـ/671م لضرورة حربية بالدرجة الأولى، إذا رأى هذا الفاتح بضرورة بناء قاعدة بين الساحل والداخل؛ أي بعيدة عن الساحل حتى لا يتعرض لغزوات البيزنطيين البحرية، ولا تكون في عمق مواطن القبائل البربرية حتى يتفادى تحركات القبائل البربرية المتقلبة الأهواء؛ فكان موضع القيراون هو الإختيار المفضل لبناء هذه المدينة فأسس بها مسجدا جامعا، واتخذها دارا للإمارة، كماضم مخطط هذه المدينة يتألف كذلك مساكن وأحياء للخاصة ومسؤولي الولاية الجديدة؛ فكان حي الفهريين، وحي يحصب وحي بني نافذ، كما قام بتشييد البساتين لهذا فقد راعى في هذا التشييد توفر المياه، وكانت بنايات المدينة في بدء الأمر على غاية البساطة، واستعمل في بنائها القرميد الآجر المطبوخ لوجود الطين[2].

أ)-2-تونس: وأسسها الفاتح حسان بن النعمان الغساني(71-85هـ/690-704م) عند موضع حلق الوادي، وكان ذلك سنة 84هـ/703م، وبنى فيها دارا لصناعة السفن، وميناء بحريا ترسوا فيه السفن، وكانت الهدف من تاسيسها كنقطة حراسة للقيروان في الداخل، وقاعدة انطلاق ضد الروم في البحر[3].

---

[1] بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص245.

[2] موسى لقبال، المرجع السابق، ص 33 وما بعدها. حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 134.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص36. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 99ومابعدها. موسى لقبال المرجع السابق، ص 84.

أ)-3-**بجاية:** أسسها الأمير الحمادي الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1089م)، بدأ في بناءها سنة 457هـ/1065م، وسماها الناصرية نسبة إليه، وانتقل إليها سنة 461هـ/1069م وشيد فيها قصر يعرف باللؤلؤة، وصفه ابن خلدون بأنه كان من أعجب قصور الدنيا، ولما عمرها بالسكان أسقط عنهم الخراج[1].

أ)-**4- رباط الفتح:** وهي المدينة التي أسسها الموحدون، ولقد كانت في الأصل عبارة عن رباط تابع لمدينة سلا مثله مثل العشرات من الرباطات الجهادية الموزعة على طول السواحل المغربية سواء المطلة على بحر الشام أو البحر المحيط [2]، وكان سبب تأسيس المدينة من طرف الموحدين بهدف إنشاء قاعدة لتجميع الجيوش قبل سيرها نحو الأندلس شمالا أو إلى إفريقية شرقا، لهذا تم اختيار موضع رباط الفتح الذي يتمتع بموقع جغرافي، وإستراتيجي هام يحقق هذا الغرض، زيادة على توسطه بين مراكش، وفاس، والأندلس[3].

وتجدر الإشارة بأن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي هو الذي بنا نواة المدينة سنة 545هـ/1150م، ونقلها من مجرد رباط إلى قصبة تحتوي على مسجد جامع، والكثير من القصور ودعمها بأنابيب المياه من موضع يقال له عين غبولة [4]، فانتشرت الجنان والبساتين، وأمر الناس بتعمير هذه القصبة، وبناء الديار، والأسواق؛ فعمرت، ومُصرت ثم بنا أسوارها من جهة الجوف والغرب، وأطلق عليها اسم المهدية تيمنا بالمهدي بن تومرت(ت 524هـ/1130م)[5].

وترى بعض المصادر كابن أبي زرع الفاسي، والناصري السلاوي بأن المؤسس الفعلي لهذه المدينة هو يوسف بن عبد المؤمن، ولكنه لم يكمل تخطيطها إلا بعد تولي خليفته يعقوب المنصور الذي أكمل سورها، وانفق الأموال على تعميرها حتى أصبحت تشبه الإسكندرية في الاتساع ،وحسن التقسيم، وضخامة البناء، وتم له ذلك سنة 593هـ/1197م[6].

ب)- المنازل والقصور: شيدت المنازل والقصور في المغرب الإسلامي خاصة في عصر الدول المستقلة بحسب طابع كل مدينة والظروف المناخي ة، والطابع الجغرافي المميز لكل منطقة مستغليين عاملين الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي.

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 229 وما بعدها . رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 58 وما بعدها. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص349.

[2] عبد الله السويسي، المرجع السابق، ص05.

[3] نفسه، ص49.

[4] تبعد عن مدينة الرباط الحالية بنحو عشرين كيلو متر. نفسه، ص 52.

[5] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص 357-358. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص357.

[6] نفسه، ص 269. أبو العباس أحمد الناصري، المصدر السابق، ج2، ص ص 106، 174، 181، 183.

ب-1)-المـنازل: يعد المنزل النواة الأساسية لقيام المدن، ولقد اختلفت طرائق بنائها من مدينة إلى أخرى بحسب الإمكانيات المتوفرة والظروف المحيطة لكل مدينة، والقاسم المشترك بين هذه البنايات أنها بنيت على الطراز الإسلامي .

اشتهرت فاس على سبيل بكثرة تشييد المنازل فيقول عنها الشريف الإدريسي: " وبمدينة فاس ضياع ومعايش ومبان سامية ودور وقصور، ولأهلها اهتمام بحوائجهم ومبانيهم وجميع آلاتهم..." [1] ولقد استخدم أهلها في بناء منازلهم الحجر، والآجر والكلس، بينما كان السقف من الخشب[2].

ومما يلاحظ في طريقة بناء منازل المغرب أنها مشابهة لما هو موجود في منازل حواضر المشرق، وهو ما يبين التأثيرات المشرقية في بناء هذه المنازل، فقد تشابهت أبنية سجلماسة بمساكن الكوفة، فيقول ابن حوقل: " وابنيتها – أي سجلماسة– كأبنية الكوفة ..." [3]، والسبب في ذلك يعود لدور التجار الذين وفدوا من الكوفة وبلاد المشرق واقامتهم بالحاضرة سجلماسة ، ونقلوا الى أهلها تجارب، وخبرات البنائين من المشرق[4].

ب-2)-الـقصـــور: اعتنى بتشييد القصور طبقة الخلفاء وأصحاب السلطة من وزراء وغيرهم أو طبقة الأعيان، والخاصة لكن الكثير لم يستطع مقاومة ظروف الزمن سواء منها السياسية من حروب وفتن، أو اجتماعية كالهجرة والنزوح أو طبيعية ومناخية متعددة...الخ.

إهتم حكام الدولة الحمادية على سبيل المثال ببناء القصور، فاشتهرت قصور بجاية، ومنها قصر اللؤلؤة الذي بناه الناصر، الذي وصف بانه أعجب قصور الدنيا، وكانت هذه القصور تحتوي على طاقات مشرفة على البحر بشبابيك حديدية، وأبواب مخرمة منحنية، ومجالس مبنية حيطانها بالرخام الأبيض منقوشة بالذهب، مطرزة بالكتابات، والصور الحسنة[5].

وفي الدولة الموحدية فيعد عبد المؤمن بن علي أول خليفة موحدي من [6] بدأ ببناء القصور وحظيت مدينة فاس باهتمام الموحدين بها من خلال تشييد الكثير من القصور كما هو الحال مع

---

[1] الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص ص 242-243.

[2] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 390.

[3] ابن حوقل النصيبي(أبو القاسم محمد بن علي)، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص90.

[4] حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين** ، ط1،مكتبة الخانجي القاهرة، 1980 ص391.

[5] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 245.

[6] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 389.

العاصمة مراكش التي كانت قصورها أشبه بالمدن المستقلة لكثرتها، وتعدد مرافقها، وعظم بساتينها؛ واشتهر فيها قصر خاص بالاستقبالات والتشريفات عرف بإسم " قصر دار الحجر"[1].

2)-المنشآت الدينية:

-**المساجد:** احتل المسجد المكانة الأولى في اهتمام وعناية المسلمين باعتباره أول مؤسسة بنيت في الإسلام تعتني بإدارة شؤون المسلمين بعد البعثة النبوية، كما كان مركزا روحيا وعلميا للعبادة والتعلم، ونظرا لهذه المكانة، والأهمية أولى المسلمون بتشييد الكثير من المساجد التي لا تعد ولا تحصى.

أ-**جامع الزيتونة بتونس:** بناه حسان بن النعمان سنة 79هـ/698م، وقام الوالي عبيد الله بن الحبحاب بإتمامه سنة 114هـ/732م، ويعد أول جامعة إسلامية في العالم، وقيل بأنه بني على أنقاض كاتدرائية مسيحية؛ وأعيد بناؤه بالكامل سنة 250هـ/864م في عهد الحاكم الأغلبي أبو إبراهيم بن الأغلب[2].

ب- **مسجد الكتبية بمراكش:** شيده الموحدون في عهد عبد المؤمن بن علي سنة 553هـ/ 1158م[3]، وكان بديع الصنع والبناء والتجهيز؛ ففيه "من الشمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياح المقصورة لم يعمل مثله من سنين عديدة"[4]، ولم يتم بناء الصومعة إلا في عهد يعقوب المنصور[5]. المنصور[5].

3)-المنشآت العسكرية:

أولى حكام المغرب الإسلامي بأهمية بالغة بالعمران العسكري؛ من خلال بناء منشآت دفاعية سواء في المدن أو خارجها أو في الثغور، والمناطق التي تكثر فيها القلاقل، فتحقيق الأمن، والاستقرار من خلال توفير التجهيزات العمرانية الحربية من بين أهم مظاهر وسمات الحضارة للدول، ولقد تنوعت المنشأت العسكرية بين حصون، وقلاع، وأبراج، وأسوار.

---

[1] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 52.

[2] الرقيق القيراوني، المصدر السابق، ص 66.ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 1، ص ص36، 51. عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 99ومابعدها. موسى لقبال المرجع السابق، ص 84.

[3] المقري التلسماني، المصدر السابق، ج2، ص128.

[4] السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص 114.

[5] عبد الله علي علام، **الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن**، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص 375.

-**حصن تينملل:** أنشأه الموحدون بتينملل، إذ كانت تتمتع بموقع استراتيجي مهم؛ فهي في حد ذاتها حصنا طبيعيا منيعا، وهو ما أثار إعجاب ابن تومرت لبث دعوته دون أن يتمكن المرابطون من الوصول إليه[1].

شكل حصن تينملل دورا بارزا في نجاح الدعوة الموحدية وانتشارها ، وبعد وفاة المهدي بن تومرت استمر خلفائه في بناء الحصون داخل حدود دولتهم، ولعل السبب في ذلك راجع إلى اتساع حدودها وكثرة الأخطار التي كانت تهددهم.

-**قصبة المهدية:** وهي بناية كبيرة تتخذ شكل مربع غالبا، وتتشكل من عدة طبقات قد تصل إلى أربعة أو أكثر، وغالبا ما يخصص الطابق الأرضي للبهائم والدواب، وبقية الطبقات للسكن والإقامة وغيرها، وقصبة المهدية التي بناها الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي سنة 545هـ/ 1150م على الصخور البحرية عند مصب وادي أبي الرقراق الحالي مقابل مدينة سلا وفي مدينة الرباط أو قصبة الوادية الحالية وإن كانت الرواية الموحدية كانت تبشر ببناء هذه القصبة في نفس المكان والزمان اللذين بنيت فيهما[2].

4)-النقود والمسكوكات: اهتم الحكام في المغرب الإسلامي في مختلف العصور بالسكة والعملة ومن أشهر المسكوكات التي إهتم بها المؤرخون والأثريون المسكوكات العبيدية في المغرب الأدنى التي ضربت بين سنتي(296-344هـ/908-955م)، وكان أبو عبد الله الشيعي أول من سك الدنانير في تاريخ الدولة العبيدية تخليدا للانتصارات التي أحرزها على الأغالبة في معركة الأربس سنة 296هـ/908م، ولم ينقش في عملته أي إسم، وإنما كتب في وجه العملة:"بغت حجة الله"،وأما الوجه الآخر كتب: "تفرق أعداء الله"، و" الحمد لله رب العالمين"[3].

وفي عصر المرابطين ضرب يوسف بن تاشفين بإسمه في أسفل العملة، ونقش على الدينار:" لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وكتب على الدائرة :"وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ" [4]، وفي الوجه الآخر: " عبد الله أحمد أمير المؤمنين العباسي"، وتاريخ ضرب هذا النقد، وموضع سكته[5].

وفي عصر الموحدين أتخذ الدرهم والدينار شكل المربع، ويعد المهدي بن تومرت أول من سنّ تربيع السكة، وكان يضرب على أحد وجوه العملة ذكر كلمة الجلالة، والصلاة على النبي صلى

---

[1] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص393.

[2] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 211.

[3] قربة بن صالح، **من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الإسلامية**، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص ص355-356.

[4] سورة آل عمران، الآية 84 برواية ورش عن نافع .

[5] الناصري السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص59.

الله عليه وسلم، والبسملة، وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة، أو عامله، وتاريخ الضرب، واسم المدينة التي سك فيها، وكانت المسكوكات تحلّى بالخط الكوفي، وقلّما كانت صورة الخليفة تضرب على العملة المعدنيّة ، ومن أشهر العملات الموحدية الدراهم المومنية نسبة إلى الأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي(541-558هـ/1147-1162م)[1]، والدنانير اليوسفية التي تنسب إلى يوسف بن عبد المؤمن (558-580هـ/1163-1184م)[2]، والدينار اليعقوبي نسبة إلى يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1198م)[3].

المحاضرة الرابعة عشر: الحضارة الإسلامية في الأندلس

1)-الحياة الاقتصادية:

1-أ)-الفلاحة: ساعدت الكثير من العوامل على الإنتاج الفلاحي، وتنوعه في الأندلس، ومنها بالأخص عامل توفر المياه الذي تنوعت مصادره بين مياه الأمطار لاعتدال المناخ، ومياه الأنهار لكثرتها بالأندلس(نهر الوادي الكبير، نهر وادي لكة، نهر تاجة...الخ)، زيادة على خصوبة التربة لكثرة السهول، ومنها السهول الساحلية الشرقية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، والسهول الساحلية الغربية المطلة على المحيط، والسهول الساحلية الجنوبية[4].

ومن المحاصيل الفلاحية التي كانت تنتج في الأندلس نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الزيتون الذي اشتهرت به اشبيلية، وسرقسطة، وقسطلة، ولبلة، ولاردة، ومالقة, وأما التين؛ وهو أنواع في الاندلس: التين القوطي، والتين السفري الذي يكثر باشبيلية[5]، واشتهرت بانتاج التين كذلك كذلك بلش، وإشبيلية، ومرسية، ولقنت زيادة على التين المالقي الذي كان يحمل إلى مصر، والشام والعراق، وحتى قيل أنه وصل إلى الهند، وهو من أحسن أنواع التين في الأندلس طيبا وعذوبة ونجد كذلك الزبيب المنكبي، والزبيب العسلي الذي يستخلص من العنب، وهو بدوره يكثر

---

[1] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص ص357-358.ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق ص357. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 170. صالح بن قربة، عبد المؤمن بن علي، ص 48.

[2] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص384-385. السلاوي الناصري، المصدر السابق، ص ص 163-164. إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص 168- 169. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 241

[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 167. ابن خلكان، المصدر السابق، ج 7، ص9. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 203.

[4] عمر زعل محمد المزايدة، **الحياة الإقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر** ، "أطروحة دكتوراه"، جامعة مؤتة، 2009، ص77 وما بعدها.

[5] الحميري، المصدر السابق، ص 59.

زراعته في شنت مارية الغرب، ولقنت، وسرقسطة، والمرية، وبلش، ووادي آش [1]، وانتشر غرس شجر الموز في السواحل الأندلسية خاصة بسواحل إلبيرة، ومنطقة المُنَكَّب[2].

وتعد فاكهة الرمان إحدى أهم المنتوجات الفلاحية في الأندلس شهرة إذ كانت تنتج بطليطلة ومالقة، وغرناطة، وكان في الأندلس وادي للرمان يقع غرب حصن المدور قرب قرطبة، ومن أشهر، وأجود أنواعه: الرمان السفري الذي كان بداية زراعته برصافة الأمير عبد الرحمن الداخل عندما ارسل هذا الأخير مبعوثه "سفر بن عبيد الكلاعي من جند الاردن" الى الشام ليستجلب له أجود أنواع النباتات، فجلب له هذا ثمار هذا التين، ولما نجحت غراسته بالرصافة واعطى ثماره استحسنه الامير، واجزل له العطاء، وانتشر هذا النوع في بعض مدن الاندلس حتى اشتهر بالسفري نسبة لهذا المبعوث، وعموما فقد اشتهرت الأندلس بكثرة إنتاج الفواكه زيادة على جودة وطيب مذاقه، ومن الفواكه الأخرى كالخوخ، والجوز، واللوز[3].

وأما الحبوب كالقمح والشعير فقد اشترت بإنتاجهما كل من جيان، وبرشلونة، وطلبيرة، وأرجونة وبجانة، واشتهرت بالحنطة لشبونة، وطليطة وتميزت هذه الأخيرة بأن حنطتها لا تتغير ولا تسوس على طول السنين، وتزود طليطلة مدن الاندلس بمادة الزعفران، بل يصدر الى خارجها زيادة على الصبغ السماوي، والعنبر الذي يكثر بشنترين، وشذونة، ومنهما يحمل الى قرطبة، كما يصدر إلى مصر[4]، وأما منطقة نهر الوادي الكبير ومناطق مرسية، وبلنسية حتى طرطوشة فقد اشتهرت كمناطق إنتاج الأرز، والبرتقال[5].

1-ب)-الصناعة: اهتم الأندلسيون بالصناعة، ولقد ارتبطت بعض المرات الصناعة بالحرف، وقد تنوعت الصناعات في الأندلس بين المعاشية، والحربية، والكمالية.

-**الصناعات المعاشية:** وهي أنواع كالصناعات الغذائية ومنها صناعة الزيتون، وأشهر المدن الأندلسية التي ازدهرت فيها هذه الصناعة إشبيلية [6]، كما برع الأندلسيون بصناعة الألبان والأجبان، والسمن، والعسل زيادة على صناعة تجفيف الفواكه، ونظرا لطول السواحل التي تحيط

---

[1] نفسه، ص511. عمر زعل محمد المزايدة، المرجع السابق، ص ص91-92.

[2] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1 ، ص167 .

[3] نفسه، ج1، 167. ج2، ص12.

[4] نفسه، ج1، ص 129.

[5] حسين مؤنس، **موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث**، مكتبة الثقافة الدينية، ط2، القاهرة، ج1، 2009،ص130.

[6] الحميري، المصدر السابق، ص 59. إبراهيم القادري بوتشيش، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والإجتماعي**، دار الطليعة، ط1، بيروت، 2002، ص ص 94-95.

بالأندلس من الشرق، والجنوب، والغرب؛ فقد انتعشت بالأندلس صناعة حفظ الأسماك، واشتهرت منطقة سهيل في الأندلس بسمك السردين.

ومن الصناعات المعاشية كالصناعات الجلدية والتي اعتمدت على وفرة الثروة الحيوانية، ويعرف أصحاب هذه الصناعة بالصوافين، وسوقهم يسمى حوانيت الصوافين،زيادة على صناعة الأحذية ومن أشهر مدن الأندلس في الصناعات الجلدية طليطلة، وقرطبة، وميورقة[1].

-**الصناعات الحربية:** ومن المدن الأندلسية التي اشتهرت بهذه الصناعات وشقة فقد كانت كمركز لصناعة الدروع، وأما المرية فقد أنشئ فيها دارا لصناعة الحراريق، وبتوفر مادة الحديد بمدينة شلطيس صنعت السيوف، والسكاكين، وأما الخشب فقد ازدهرت به صناعة المراكب، والقوارب في المراسي الأندلسية كطرطوشة، ولقنت، ودانية، وبلنسية، وقادس، والمرية[2].

-**الصناعات الكمالية:** وهي أنواع كثيرة، ومنها صناعة المجوهرات التي ساعد على قيامها توفر المعادن النفيسة كالذهب الذي يوجد في غرناطة بكثرة [3]، والفضة في غرناطة، وقرطبة، ومرسية [4] والأحجار الكريمة في ألبيرة التي تتوفر على كميات كبيرة من مادة الرخام الذي يستعمل في بلاطات القصور وبيوت الخاصة، وأما المرية فقد ازدهرت بها صناعة الحرير، والحلل والديباج والقلاطون الأصبهاني والجرجاني، والستور المكللة، وكانت بها دار لصناعة النحاس، والزجاج[5].

وأما مدينتي ألش، ومرسية فقد اختصتا في صناعة البُسُط الفاخرة، وبمالقة كان يصنع الفخار المذهب الذي لا يوجد مثله في البلد[6].

ومن الصناعات الكماليات كذلك صناعة الورق، واشتهرت في الأندلس مصانع رائدة في صناعة الورق, حيث كانت شاطبة [7] مهد هذه الصناعة في الأندلس ، وكانت تصدره إلى باقي المدن

---

[1] صباح خابط عزيز سعيد الحميداوي، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لأعيان الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة** ، دار ومكتبة عدنان، ط1، بغداد، 2014، ص 387 وما بعدها.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 89 وما بعدها.

[3] الحميري، المصدر السابق، ص46.

[4] الحميري، المصدر السابق، ص ص 46، 539. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1 ، ص167.

[5] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص ص167-168. إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص 91-92.

[6] نفسه، ص 93.

[7] مدينة تقع في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة وهي قريبة من جزيرة شقر, يقال أن أسمها مشتقة من الشطبة وهي السعفة الخضراء الرطبة ، وهي مدينة يوجد بها مادة القصاب الذي يصنع به الكاغد يضرب به المثل في الحسن والمنعة (الجودة والقوة) ليس مثله في الأندلس, بل لا نظير له في المعمورة , ويحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس .الشريف الإدريسي(محمد بن محمد)،**المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** , مطبعة بريل, ليدن , 1863, ص196. الحميري المصدر السابق,ص337 .ياقوت الحموي، المصدر السابق, م3, ص309 .

الأندلسية، وكذلك إلى أوروبا وإلى المشرق [1] وزيادة على شاطبة, اشتهرت كذلك ، بلنسية واشبيلية, وغرناطة, ومالقة, وطليطلة التي يوجد بها أجود أنواع الورق ، والذي يرجع تاريخه إلى عصر ملوك الطوائف[2]، وراجت صناعة الخمور، التي أصبحت تباع علنا بداية من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[3].

1-ب)-التجارة: ساعدت الكثير من العوامل على إزدهار التجارة سواء الداخلية أو الخارجية ومنها توفر المنتوجات الزراعية، والحيوانية، والصناعية، زيادة على كثرة المواني‌ء النهرية والبحرية والاستقرار السياسي، وتوفر الأمن في بعض المراحل السياسية خاصة في عصر عبد الرحمن الأوسط، وعصر الخلافة الأموية .

-التجارة الداخلية:

خصصت أماكن للتجارة الداخلية في الأندلس عرفت بالأسواق، وهي أنواع؛ فتوجد الأسواق المتخصصة؛ أي لكل حرفة سوق أو لبيع سلعة معينة، واشتهرت قرطبة بكثرة الأسواق [4]، فكان بها بها سوق للكتب، وسوق للحديد، وسوق للخشابين، وسوق الدواب، وسوق العطارين، وسوق البزازين وفي مدينة غرناطة، كان يوجد فيها سوق للدباغين، وسوق الطوابين، وسوق الفخارين[5] .

وتوجد كذلك الأسواق اليومية، والأسبوعية، والموسمية التي تعج بمختلف أنواع السلع [6]، فالاسواق اليومية هي دائمة، وتوجد في كل مدن الاندلس، بينما الاسواق الاسبوعية تعقد في يوم واحد من الاسبوع كسوق الثلاثاء في مدينة شوذر [7]، وسوق الخميس في كل من مدينة قبرة [8]، ومدينة قرمونة[9]، وكان التجار يتنقلون من سوق الى سوق للترويج لبضائعهم مما انعش التجارة الداخلية في الأندلس، وأما الاسواق الموسمية؛ فهي التي كانت تعقد في السنة ثلاث مرات او اربع مرات

---

[1] الإدريسي نفسه. محمد الأمين بلغيث, **الحياة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين,** " أطروحة دكتوراه", قسم التاريخ , جامعة الجزائر, الموسم الجامعي2002-2003, ص156 .

[2] محمد الأمين بلغيث , المرجع نفسه , ص 161 .

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص ص 91-92.

[4] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص6.

[5] عمر زعل محمد المزايدة، المرجع السابق، ص 158.

[6] إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص99.

[7] من كور جيان، وهي قرية تعرف بغدير الزيت لكثرة زيتونها، وهي كثيرة المياه والبساتين، كثيرة السقي، بها جامع من ثلاث بلاطات على أعمدة رخام. الحميري، المصدر السابق، ص 351.

[8] بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلا ، ذات مياه سائحة من عيون شتى، وتحسن بها الغراسات وأنواع الثمرات، يكثر فيها الزيتون. نفسه، ص 453.

[9] تقع شرق اشبيلية على بعد عشرين ميلا، بينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلا، وهي مدينة قديمة وهي باللسان اللطيني "كارب مويه" بمعنى: "صديقي"، وهي على سفح جبل . نفسه، ص 461.

فتقام دوريا على فترات متباعدة، ويقصدها التجار من مختلف المناطق سواء القريبة او البعيدة وأطلق عليها إسم الاسواق المشهودة، ومنها على سبيل المثال سوق حصن بكيران [1]، وسوق اشر [2] اشر [2] وسوق القبذاق [3].

وبالإضافة إلى الأسواق توجد القيساريات التي كانت تنظم بجوار المساجد الجامعة، وهي عبارة عن مجموعة من المباني العامة تكون على شكل أروقة حولها حوانيت، ومصانع، ومستودعات والفرق بينها وبين الأسواق أن القيسارية أكثر إتساع من الأسواق، ويكثر بها الدهاليز المسقفة التي تتوزع فيها الحوانيت من كلا الجانبين، وكانت تضم الواحدة منها أكثر من مائتي حانوت على الجانبين، ووجدت قيساريات متخصصة في بيع البضائع، والسلع؛ فهناك قيسارية خاصة بالمنسوجات الحريرية، أو الكتانية والقطنية، وقيسارية خاصة ببيع الذهب، وقيساريات لبيع الصوف والعطور، وأنواع التوابل، وأخرى لبيع الخضر والفواكه، والطيور، والمجبنات، وغيرها، كما وجدت رحبات خاصة بالحبوب، وأخرى خاصة بيع الدواب والماشية، بالإضافة إلى جهة خاصة ببيع الجواري والعبيد [4].

-**التجارة الخارجية:** ربطت الدول المتعاقبة على الأندلس بعلاقات تجارية مع مختلف الدول في العالم الإسلامي، والعالم المسيحي وحتى مع الهند والصين، وغيرها من الدول فتنوعت الصادرات والواردات في التبادل التجاري بين الأندلس وهذه البلدان.

-**الصادرات الأندلسية:** ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ)-**المواد الغذائية:** ومن أهمها كزيت الزيتون الذي تنتجه معظم المدن الأندلسية وخاصة إشبيلية زيتا، وزيتونا، ويصدر إلى المغرب، ومصر، وجنوب أوروبا وبعض ممالك إسبانيا المسيحية [5] وكذلك التين الذي كان يصدر إلى بلاد الإفرنج والمغرب، ومصر، والشام والعراق، وربما وصل إلى الهند، والصين [6].

---

[1] وهو حصن منيع، وعامر كالمدينة، وحوله عمارات متصلة، وتصنع به ثياب بيض تباع بالأثمان الغالية، ويعمر الثوب منها سنين كثيرة ، وهي من أبدع الثياب عتاقة، ورقة حتى لا يفرق بينه وبين الكاغد في الرق والبياض، ومن بكيران إلى دانية أربعون ميلا. الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ص 557.

[2] وهو حصن حسن، كثير العمارة آهل، بينه وبين ارشذونة عشرون ميلا. نفسه، ص ص 570-571.

[3] بينه وبين جيان مرحلة خفيفة، وهو حصن كبير عامر، وهوفي سفح جبل . نفسه، ص571.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص100. عمر زعل محمد المزايدة، المرجع السابق، ص ص 163-164.

[5] الحميري، المصدر السابق، ص 59.

[6] نفسه، ص511. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص 133.

ب)-**المنسوجات:** كالكتان الذي كان يصدر إلى اليمن، ومصر، ومكة [1]، وأما القطن الذي كانت تنتجه بكثرة سرقسطة، وإشبيلية، ووادي آش فقد كان يصدر افريقية، وسجلماسة [2]، زيادة على طرز الحرير، والبسط الذي اشتهرت به مرسية الذي كان يصدر إلى مصر وخراسان[3].

ج)-**المعادن:** اشتهرت الأندلس بكثرة المعادن وتنوعها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر معدن الزئبق ورغم انه ليس من النوع الجيد الا انه كان يصدر الى سائر بلاد الاسلام والكفر كما عبر المؤرخ المقري التلمساني[4].

د)-**العبيد:** وخاصة الجواري، وكان الأندلسيون يقومون بسبي الرقيق، والغلمان في حروبهم مع الإفرنج، والجلالقة في أقصى شمال شبه الجزيرة الإيبيرية، ويصدرون بعضهم إلى المشرق[5].

-**الواردات:** ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ-**المواد الغذائية:** كالسكر الذي كان يجلب من بلاد المغرب والمشرق، والفاكهة كالجوز، واللوز، والفستق الذي كان يجلب من سبتة المغربية والقيروان[6].

ب-**الطيب:** كالمسك، والكافور، والعود التي كانت تجلب من الهند[7].

ج-**الجلود:** وكانت تستوردها الأندلس بكميات كبيرة، وخاصة جلود الثعالب والأفناك من مدينتي المهدية وفاس، ومن خراسان كذلك[8].

د-**الجواهر:** كاللؤلؤ الذي كان يجلب من المشرق، والعاج الذي يجلب من بلاد السودان والحبشة، وكان العاج يستخدم في صناعة التحف، وتزيين قصور الحكام[9].

هـ-الرقيق: كالصقالبة الذين كانوا يجلبون من سواحل البحر الأسود، ومن لومبارديا، وكلابريا في إيطاليا، ودول أوروبا الشرقية بالإضافة إلى ما كانوا يسبونهم من الحروب مع الممالك الإسبانية

---

[1] ابن حوقل(أبو القاسم النصيبي)، **صورة الأرض**،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 109.

[2] الحميري، المصدر السابق، ص ص 59-604. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص133.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص105.

[4] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص129.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص 105-106. عمر زعل محمد المزايدة، المرجع السابق، ص ص 197-198.

[6] عمر زعل محمد المزايدة، المرجع السابق، ص 198.

[7] ابن حوقل، المصدر السابق، ص106. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص166.

[8] عمر زعل محمد المزايدة، المرجع السابق، ص 199.

[9] نفسه.

في الشمال[1]، ونجد كذلك الرقيق الأسود الذي كان يجلب من السودان، وبلاد البربر، وكانوا يستغلون في أشغال البناء، والخدمة، ونقل الأحمال[2].

1-ب)-الضرائب: تنوعت المداخيل الضريبية بين التي فرضت على المسلمين كضريبة العشور التي تدفع من طرف أصحاب الأراضي والحبوب والمحاصيل الزراعية للدولة، والأخماس وهي مغانم الجيش بعد تغلبه على العدو، وأموال الزكاة عموما، والجزية التي فرضت على غير المسلمين كالنصارى، واليهود مقابل الحفاظ على أديانهم ونظير الحماية من طرف الحاكم المسلم وكان من يتولى هذه المداخيل أو الخراج يقال له صاحب الأشغال الخراجية في الأندلس، وهو أعظم من الوزير من حيث المرتبة الإدارية، وأكثر أتباعا وأصحابا، ودائما يكون تحت النظر؛ فإذا تأثلت حالته، واغتر بكثرة البناء والإكتساب نُكب وصُودرت أمواله[3].

وقد كانت السلطة في الاندلس في العصر الاموي(الامارة والخلافة) على سبيل المثال لا الحصر يفرضون المغارم والمكوس على التجار، وفرضت عليهم اداء ضريبة على الأبواب التي تدخل وتخرج منها البضائع فضلا عن زكاة السوق[4].

2)-الحياة الاجتماعية: بعد فتح المسلمين للأندلس، واستقراراهم بها، تنوعت العناصر السكانية بالأندلس من حيث العرق، والدين، والثقافة.

أ)-عناصر المجتمع الأندلسي:

-**العرب** : وهم الذين دخلوا إلى الأندلس على موجات متتابعة، مختلفة الأعداد سميت بالطوالع جمع طالعة، بالإضافة إلى الذين هاجروا إليها من الشام بعد انتصار الفاتح طارق بن زياد في معركة وادي لكة 92هـ/711م، والعرب هم أول الداخلين من المسلمين إلى أرض الأندلس بداية من الثلاثمائة نفر الذين دخلوا في جيش طارق بن زياد ثم تتابع دخول العرب في موجات مختلفة ومنها الطالعة الأولى مع موسى بن نصير سنة 93هـ/712م التي كانت عبارة عن جيش من الفاتحين جله من العرب[5].

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص106. عمر زعل محمد المزايدة، المرجع السابق، ص ص 199-200.

[2] نفسه.

[3] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص179. عمر زعل محمد المزايدة، المرجع السابق، ص ص 202، 204.

[4] صباح خابط عزيز سعيد الحميداوي، المرجع السابق، ص 429.

[5] مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص 24. حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص 400.السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص ص119-120. حسين يوسف دويدار، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ /755-1030م)**، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1994، ص14.

وكان العرب يعيشون كالسادة في الأندلس، يمتلكون إقطاعيات كبيرة، ووكلوا أمر العناية بأراضيهم، وزراعتها إلى الفلاحين الإسبان والمولدين من العامة بينما يقيمون في ضيعاتهم أو منياتهم بالقرب من المدن، فكان العرب أشبه بالملوك من خلال تمتعهم بحياة الترف [1]، كما أن العرب هم الذين كانت لهم السيادة في الحكم بالأندلس في مختلف مراحله سواء في عصر الفتوحات أو الولاة أو الإمارة أو الخلافة، وأما في عصر ملوك الطوائف فقامت دويلات بحسب العرق، ومنها العربية كمملكة بني جهور بقرطبة، وبني عباد في إشبيلية، وبني هود في سرقسطة وبني صُمادح في المرية.

-**البربر**: ساهم البربر بدور كبير في الفتح الإسلامي للأندلس؛ وكان أول دخول للبربر إلى الأندلس مع حملة الفتح الأولى التي قادها الفاتح البربري طارق بن زياد سنة 92هـ/711م، وقد كان جيشه أغلبه من البربر[2].

وازداد عدد البربر بعد حملة موسى بن نصير حيث وصلت إلى بربر المغرب أخبار الفتح والانتصارات، والغنائم ؛ فأقبلوا إلى الأندلس من كل وجه، وخرقوا البحر ، ولحقوا بطارق بغية إلتماس المغانم أو الإستقرار في هذه البلاد الغنية، وظلت بلاد المغرب مصدرا للهجرات البربرية إلى الأندلس إلى الأندلس حتى قيام دولة بني أمية، وشهد عصر ملوك الطوائف هجرات بربرية أخرى إذ أستطاع البربر أن يؤسسوا دويلات في الأندلس، ومنها دولة بني زيري الصنهاجية في غرناطة ودولة بني الأفطس في بطليوس، ودولة بني ذي النون في طليطلة [3]، كما أن البربر هم الذين أسسوا دولتي المرابطين والموحدين في المغرب، وكانت الأندلس تابعة لهما .

وقد قام البربر بدور كبير في تاريخ الأندلس منة خلال مشاركتهم العرب في نشر الإسلام في مرحلة الفتح الإسلامي، كما أنهم اختلطوا مع أهل البلاد، وأصبح الجنوب الأندلسي يحمل الطابع البربري[4].

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص122.

[2] مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 17. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص419-428.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص262 وما بعدها.ابن سعيد، المصدر السابق، ج2، ص106 وما بعدها. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص431 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص206 وما بعدها. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص ص250،341،340. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي-عصر الطوائف والمرابطين ص11وما بعدها. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص122. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص446 وما بعدها.

[4] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 125.

- **الموالي :** وهم "مجموعة عناصر تجمع بينهم رابطة الولاء بين المولى، وسيده أو التابع ومتبوعه وكان بعضهم قد رافق الشاميون الداخلون إلى الأندلس، وبعضهم من البربر الموالين للأمويين وبعضهم يرجع لأصول محلية إسبانية، وموالي الاصطناع أو النعمة الذين أنعم عليهم الأمويون بالولاء، إضافة إلى الرقيق المشترى ممن أنعم عليه أسيادهم بالعِتق"[1].

وقد دخل عدد كبير من الموالي مع جيش الفاتح البربري طارق بن زياد إلى الأندلس[2]، ولما عين كلثوم بن عياض القيسي على إفريقية من طرف الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، جاء معه عشرة آلاف من موالي بني أمية وعشرون ألفا من بيوتات العرب، وهو ما سهل دخولهم إلى الأندلس بعد ذلك، ودخلت جماعات كثيرة من موالي بني أمية في طالعة بلج بن بشر، الذي كان جيشه يتألف من ألفي مولى، وثمانية آلاف من العرب، وأصبحوا يعرفون بالأمويين[3].

وكان للموالي مركز اجتماعي رفيع بسبب خدمتهم وحظوتهم عند حكام بني أمية، من أشهر البيوتات المعروفة: بني أبي عبدة، وبني شهيد، وبني حدير ، وغيرهم[4]، وقد تقلدوا أرفع المناصب لتفانيهم وإخلاصهم لبني أمية؛ فكان منهم الوزراء، والكتاب، والقواد، والقضاة، ونجحوا في تأسيس إمارة لهم في كورة إلبيرة أيام الفتنة القرطبية، كما استطاعوا أن يؤسسوا دويلات لهم في عصر ملوك الطوائف، ومنها مملكة دانية والجزائر الشرقية التي أسسها أحد الموالي العامريين المعروف بمجاهد العامري(413-436هـ/1023-1044م)، ويكنى بأبي الجيش[5].

-**المسالمة: أو الأسالمة**، وهم جماعات الإسبان الذين دخلوا في الإسلام، نتيجة لسياسة التسامح التي أبداها الفاتحون، والحكام، وهو ما أثر في عدد كبير من الإسبان يعتنقون الإسلام، الأمر الذي يجعلهم على قدم المساواة مع المسلمين الآخرين سواء من العرب أو البربر أو الموالي ، وقد يكون بعضهم قد دخل إلى الإسلام من أجل مصلحة شخصية أو إيمانا صادقا بهذا الدين، ويرجح أن أغلبية الجماعات الأولى التي أسلمت من الإسبان كانت من العبيد ورقيق الأرض؛ فقد كانت

---

[1] العيدروس محمد حسن ، **العصر الأندلسي تاريخ العرب في بلاد الأندلس-دراسة في الحياة الاجتماعية** ، دار الكتاب الحديث القاهرة، 2012، ص14. حسين مؤنس، المرجع السابق، ص436 وما بعدها.

[2] الحميري، المصدر السابق، ص9.

[3] ابن القوطية، مصدر سابق، ص39-40. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 125-126.

[4] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص ص 436-437.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص155 وما بعدها . ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق، ج3، ص ص21-22. ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص ص110-111. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 126. محمد عبد الله عنان المرجع السابق ص187وما بعدها.إحسان عباس المرجع السابق، ص3. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص322.

حالتهم من السوء أن رأوا في الإسلام هو مخرجهم من المتاعب التي كانوا يعانون منها، كما دخل منهم أهل المدن فتساووا جميع في الإسلام[1].

-**المولدون:** يذكر حسين مؤنس بأن المولدين يشمل عنصرين من المجتمع الأندلسي؛ فهم إما أبناء الإسبان الذين دخلوا في الإسبان، أو أبناء المسملين الذين تزوجوا من الإسبانيات، بينما يذكر السيد عبد العزيز سالم يذكر بأن المولدين هم أبناء المسلمين من العرب والبربر الذين تزوجوا من الإسبانيات، ويعد الوالي عبد العزيز بن موسى أول من تزوج بإسبانية؛ فقد تزوج من إيخيلونا أرملة لذريق الحاكم القوطي قبل الفتح الإسلامي، وحذا حذوا عبد العزيز الكثير من رجال العرب[2].

ومع مرور السنين بعد الفتح الإسلامي أصبح المولدون هم الأكثرية في المجتمع الأندلسي[3]، والفرق بين المسالمة والمولدين هو أن المسالمة هم الإسبان الذين دخلوا إلى الإسلام أما المولدين فهم أبنائهم ، وأحفادهم [4]، واحتفظ الكثير من المولدين بأسمائهم القديمة أمثال: بنو أنجلين(Angelino)، وبنو شبرقة (Sabarico)، وبنو الجريج (Jorge)، وبنو لنقو(Longo) وبنو القبطرنة (Kabturno)، وبنو مردنيش (Martinez)، وبنو غرسية (Garcia)، وبنو ردلف(Rodolfo)[5].

وقد تقلد الكثير من المولدين المناصب العليا في الأندلس كالولاية على الكور، واحتفظوا بأسمائهم القديمة مثل بني فرتون (Fortun) وهم بنو موسى بن فرتون القس وي أصحاب تطيلة والثغر الأعلى أيام بني أمية، وكان جدهم فرتون قومس(Comes) في عهد القوط [6]، ولقد تألفت جماعات كبيرة من المولدين في أكبر المدن الأندلسية كطليطلة التي أصبحت مركزا لعصبيتهم وكانوا كثيروا الخروج عن السلطة الحاكمة في قرطبة في عصر حكم بني أمية، وبرزت في ببشتر حركة عمر بن حفصون الذي استغل ضعف الإمارة الأموية في بعد وفاة عبد الرحمن الأوسط،وفي

---

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص460. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 127-128.

[2] ابن القوطية،المصدر السابق، ص25.مؤلف مجهول، المصدر السابق،ص27. حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، ص70. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص128.

[3] نفسه، ص128. دويدار، المرجع السابق، ص41 وما بعدها.

[4] سحر السيد عبد العزيز سالم ، "**الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس** " ضمن أعمال **الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى** ، تنسيق محمد حمام، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط 1، 1995 ص48 وما بعدها.

[5] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص128-129.

[6] نفسه، ص 129. ليفي بروفنسال، **تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية** ، ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002، ج1، ص174.

ماردة، وبطليوس ظهرت حركة عبد الرحمن بن مروان المعروف بابن الجيليقي، وكانت حركته عصبية المولدين على الحكم العربي[1].

-**العجم أو المستعربون:** وهم نصارى الإسبان، ويسمون بعجم الأندلس أو عجم الذمة أو نصارى الإسبان الذين عاشوا مع المسلمين في الأندلس وعاشروهم، ويتكلمون العربية مع إحتفاظهم بدينهم، ولذلك عرفوا بالمستعربين، وأما من كان لهم عهد منهم فقد سموا بالمعاهدين، وقد كانوا يشكلون أكثرية في المجتمع الأندلسي في السنوات الأولى بعد الفتح الإسلامي إلى أن عددهم بدأ يتناقص تدريجيا بينما أخذ عدد المسالمة والمولدين يزداد يوما بعد يوم، وما لبث المستعربون أن أصبحوا بمرور الزمن أقلية في الأندلس بالنسبة للمسالمين، والمولدين، وقد عومل هؤلاء المستعربون معاملة طيبة من طرف المسلمين سواء الحكام أو العامة؛ فتمتعوا بحرية كبيرة في إقامة شعائرهم الدينية[2].

وقد عاش المستعربون جنبا إلى جنب مع المسلمين في أحياء خاصة لهم، وكان لهم رئيس في كل مدينة يعرف بالقومس[3]، كما كان لهم قاض نصراني يفصل في منازعاتهم يعرف بقاضي العجم وإذا كان المتخاصمون مسلمين ومسيحيين فإن القاضي الذي يفصل بينهم كان قاضيا مسلما يعرف بقاضي الجند، ثم سمي فيما بعد بقاضي الجماعة، لهذا فعلى القاضي المسلم أن يكون ملما إلماما كبيرا بالقانون القوطي والشريعة الإسلامية[4].

وقد برز العديد من المستعربين في تاريخ الأندلس؛ فكان منهم الكتاب والمترجمين، والسفراء في بلاط الحكام الأندلسيين، ومنهم على سبيل المثال الكاتب قومس بن أنتنيان بن يليانة الذي كان كاتبا عند الأمير محمد بن عبد الرحمن[5]، والسفير هشام بن كليب الذي أرسله الخليفة عبد الرحمن الرحمن على رأس سفارة إلى إمبراطور بيزنطا سنة 338هـ/949م ردا على سفارة مماثلة أرسلها

---

[1] ابن القوطية، المصدر السابق، ص ص117-118. ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص175-176.السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 130.

[2] نفسه. زيبب نجيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس** ، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995، ج3، ص 257.

[3] منصب القومس وضعه الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية، وكان قومس الأندلس القومس الأعلى للبلاد، وهو زعيم النصارى بالأندلس، وتعيينه يكون على يد الأمير الأموي بينما تعيين القمامسة المحليين يكون بالانتخاب من طرف النصارى في كل مدينة ويعد القومس حلقة اتصال بين النصارى، والسلطة الإسلامية في البلاد، وسلطة القومس تنحصر في المسائل الدينية الخاصة بالنصارى . نفسه. وينظر: عبادة كحيلة، **تاريخ النصارى في الأندلس** ، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط 1، القاهرة، 1993، ص ص 85-86.

[4] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 130-131. صباح خابط عزيز سعيد الحميداوي،المرجع السابق، ص30.

[5] ابن القوطية، المصدر السابق، ص95.

الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع [1]، والأسقف ربيع بن زيد المعروف في المدونات الإسبانية بـريسيموندو (Recemundo)، ومطران طليطلة عبيد الله بن قاسم، وأسقف قرطبة أصبغ بن عبد الله بن نبيل، وساهم الكثير في ترجمة كثير من الكتب القشتالية إلى العربية بفضل إيجادتهم للغة العربية، واللغة اللاتينية الحديثة؛ فكانوا حلقة الإتصال بين الثقافة العربية والأوروبية[2].

وعلى الرغم من التسامح الذي وفره المسلمون للمستعربين النصارى إلا أنه كان للمستعربين دور سلبي في بعض المراحل من التاريخ الأندلسي؛ فقد كانوا سببا في إحدى الثورات ضد الحكام المسلمين، ومنها فتنة النصارى بقرطبة سنة 235هـ/850-851م في أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وهي حركة تمرد واحتجاج قام بها مجموعة من الغلاة المستعربين، والسبب الحقيقي لهذه الفتنة هو حسرة بعض الرهبان المسيحيين على اكتساح الإسلام وسيادته في معظم أرجاء الأندلس، فظهرت موجة من المتعصبين الذين أخذوا يسبوا في النبي محمد صلى الله عليه وسلم في وضح النهار، وهو ما أثار استفزاز مشاعر المسلمين، فأمر الأمير عبد الرحمن الأوسط بتتبع أصحاب هذه الحركة وإعدامهم، مما ولد ثورة للنصارى المستعربين [3]، وكان رأس هذه الفتنة هو الراهب النصراني أولوخيو ، وآخر يدعى ألفارو [4]، ولم تخمد إلا في عصر الأمير محمد بن عبد الرحمن(238 -273هـ/852- 886م)[5].

5-الصقالبة: يرجع أصل الصقالبة إلى الرقيق أو العبيد من سبي الشعوب السلافية[6]، لهذا فكلمة فكلمة الصقالبة كانت تطلق في الأندلس على الخصيان والأسرى من الأجناس السلافية، ومع

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق،ج2، ص 183.ابن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص183. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص ص 284-285. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص 316-317. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص ص 340 - 341.

[2] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص132.

[3] سيد أمير علي، **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي**، ترجمة: رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة 1938، ص ص 415- 416.

[4] ر. دوزي، المسلمون في الأندلس، ج1، ص ص 85-86.

[5] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1، ص ص274- 275. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 244 وما بعدها. Cunat(D.),op-cit,p.58

[6] السلاف، وهم الشعوب التي استوطنت المنطقة الممتدة من بحر قزوين شرقا إلى بحر الأدرياتيك غربا ، والتي كانت تعرف في العصور الوسطى ببلغاريا العظمى بالإضافة إلى سكان روسيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا، وكلمة السلاف Esclave تعني العبد أو الرقيق، والتي حرفها العرب إلى "صقلبي". يُنظر : مريم قاسم طويل، **مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح** ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994، ص68. حسين يوسف دويدار، مرجع سابق ص51. ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا ص85. العيدروس محمد حسن، المرجع السابق، ص43 وما بعدها.

مرور الزمن أصبحت تطلق على الأجانب الذين يخدمون في البطانة، وفي القصر؛ فكان الصقالبة مزيجا من مختلف البلاد الأوروبية أي من الألمان، والفرنسيون، واللومبارديون، والإيطاليون، وحتى من جيليقية، وشمال إسبانيا المسيحية[1].

ونميز فئتين من الصقالبة: فحول وخصيان، وكانت عملية الخصي يقوم بها تجار يهود؛ فقد اشتهرت مدينة فردان الفرنسية كأهم مركز لإعداد الخصيان الذين كان أهل الأندلس يصطنعونهم في خدمة النساء[2].

ولقد استعمل الكثير من حكام الأندلسيين الصقالبة، ومنهم الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي استخلص أحدهم بالإستشارة في تدبير الإمارة ، وهو نصر الخصي(ت 236هـ/850م) الذي وصل به الأمر أن دبر مكيدة لقتل الأمير عبد الرحمن الأوسط بالتواطؤ مع الجارية وخليلة الأمير "طروب" من اجل أن يتقلد ابنها عبد الله بدل من الأمير محمد، وقد فطن الأمير عبد الرحمن الأوسط لهذه المكيدة؛ فقتل نصر الخصي بالسم الذي كان قد وضعه للأمير عبد الرحمن الأوسط [3] وهذه الحادثة تبين المكانة التي وصلها إلى الصقالبة في بلاط حكام الأندلس؛ إذ كانوا بالقرب من صناع القرار السياسي.

وفي عصر الخلافة بلغ الصقالبة أقصى نفوذ لهم في عهد عبد الرحمن الناصر ، وابنه المستنصر[4]، وكان الهدف من استكثار الناصر الصقالبة هو إضعاف الحزبين المتصارعين العرب، والبربر، واستحداث قوة ثالثة يكون ولاؤها للأمويين إلا أن ذلك أدى إلى ازدياد المنافسة والعصبية بين عناصر المجتمع؛ فبدلا من أن يكون الصراع بين عنصرين أصبح بين ثلاثة[5].

---

[1] خميسي بولعراس، **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف(400-479هـ/1009-1086م)**، "مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي"، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الموسم الجامعي2006-2007، ص48.

[2] نفسه. كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص295.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص ص 67-68. ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 49-50. الجارم علي **العرب في إسبانيا**، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص79.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص232.العيدروس محمد حسن، المرجع سابق، ص15. كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص295.

[5]- العيدروس محمد حسن، المرجع السابق، ص46.

وقام الحاجب المنصور بالحد من نفوذهم؛ فعزل قائد حرس الخلافة "جوذر"، ونفى "فائق" إلى الجزائر الشرقية، وقتل نحو ألف من أتباعهما، وما لبثو أن برز الصقالبة في أيام الفتنة البربرية، حيث تحالفوا مع بعض المتغلبين من الأمويين[1].

وفي عصر ملوك الطوائف استطاع الصقالبة أن يؤسسوا دويلة لهم في المرية ومرسية من طرف خيران العامري، وبنيه؛ فحكم هذه الدويلة خيران الصقلبي العامري(405-419هـ/1015-1028م)، ثم خلفه زهير العامري(419-429هـ/1028-1038م) الذي تلقب بعميد الدولة[2].

6-اليهود: يعد اليهود ثاني أكبر طائفة من أهل الذمة[3] بعد النصارى، وقد تمتعوا بسياسة التسامح التي كانت سمة المسلمين في العصور الوسطى في الأندلس، وتوزعوا في معظم مدن الأندلس حتى أن مدينة غرناطة اشتهرت باسم مدينة اليهود لوجود أكبر جالية يهودية بها؛ فسميت باغرناطة اليهود[4].

وترواح دور اليهود في تاريخ الأندلس بين الايجابي والسلبي، فمن أعمالهم الإيجابية أنهم دخلوا في خدمة بعض حكام الأندلس كسفراء أو وزراء ومنهم على سبيل المثال اليهودي حسداي بن إسحاق الذي أرسله الخليفة عبد الرحمن الناصر في سفارة إلى جيليقية لعقد صلح مع رذمير الثاني في سنة 329هـ/ 941م، وطلبا لإطلاق سراح القائد محمد بن هشام التجيبي الذي أسر في موقعة الخندق سنة 327هـ/ 939م، ولقد حققت هذه السفارة أهدافها، وعاد القائد مع السفير اليهودي[5].

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 2، ص ص 263-264. محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص ص 363-364.

[2] لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 517 وما بعدها. ابن خلدون، المصدر السابق، ص208.

[3] أهل الذمة لغة: أهل العهد أو القوم المعاهدون، وهم الذين يُؤَدُّون الجِزْيَة من المشركين كلهم، وسُميَّ أهل الذمة بهذا الاسم لدخولهم في عهد المسلمين وأَمَانِهم ، واصطلاحا فقد ركز علماء الإسلام على نقطتين في أهل الذمة، وهي أن يكونوا من أهل الكتاب زيادة على دفع الجزية نظير حمايتهم، وحرية ممارسة نشاطهم ،وشعائرهم الدينية . ابن منظور الإفريقي(جمال الدين محمد بن مكرم)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، م 3، ص1517. الماوردي(أبو الحسن علي بن محمد)، **كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط1 مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989، ص182.

[4] الحميري، المصدر السابق، ص 45. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 133.

[5] عبادة كحيلة، المرجع السابق، ص 157. علي أحمد، " **اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى** " مجلة دراسات تاريخية، السنة17، العددان57-58، جامعة دمشق، 1996، ص178.

وكذلك أبو يوسف حسداي بن إسحاق بن عزر بن شبروط (ت 359هـ/971م) المتمكن في اللغة العربية، والمعارف والعلوم الإسلامية؛ فقد اشتغل عند الخليفة عبد الرحمن الناصر، والحكم المستنصر زيادة على خدمته لهما بالطب[1].

وأما دور اليهود السلبي فهو مشهور بمحاولات تدبير المؤامرات، وخلق الدسائس لضرب إستقرار الدولة الإسلامية في مختلف العصور، ومنها المحاولة التي قاموا بها في مملكة غرناطة في عصر ملوك الطوائف؛ إذ ظهر على مسرح الأحداث الوزير اليهودي إسماعيل بن النغزيلة وزير حبوس بن ماكسن بن زيري صاحب غرناطة (414-429هـ/1023-1037م)، وابنه باديس(429-465هـ/1037-1072م)؛ فقد قام هذا اليهودي بالتطاول على المسلمين والدين الإسلامي، وألف كتابًا في الرد على الفقيه الظاهري بن حزم علي بن أحمد بن سعيد(ت 456هـ/ 1063م) جاهر فيه بالطعن على ملة الإسلام، وراح ينظم القرآن الكريم في أشعار وموشحات لِيُغَنَّى بها، ولم تسلم منه حتى ديانته اليهودية من السخرية، والاستهزاء، وأصبح اليهود في حد ذاتهم يتشاءمون من ذكر اسمه لظلمه، وجوره [2]، ولم يكتف بهذا، بل لاحق الفقهاء ؛ فاضطروا للخروج من غرناطة، ومن هؤلاء الفقهاء على سبيل المثال محمد بن سعيد بن عمر ذي النون الثعلبي الالبيري الذي رحل إلى طليطلة[3] .

وأما ابنه يوسف بن إسماعيل بن النغريلة ؛ فقد زاد في تقوية نفوذ اليهود أكثر من ذي قبل وأخذ يعينهم في أرفع مناصب الدولة [4]، وهو الذي دبر مقتل بلقين بن باديس بالسم (قُتل456هـ/1064م) لما علم بأنه تكلم مع أبيه حول استفحال أمره، واليهود من معه في

---

[1] صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص ص 88-89. علي أحمد، المرجع السابق، ص ص 167- 168.

[2] ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق 1، م2، ص 266 .ابن سعيد المغربي ، المصدر السابق، ج2، ص114. ويبدوا أن ابن بسام وابن سعيد وقعا في خلط بين إسماعيل بن النغريلة، وابنه يوسف، فالذي قام بالازدراء على الإسلام، والتطاول عليه، ونظم القرآن الكريم في أسفار هو يوسف وليس إسماعيل. ينظر للدراسة التي قام بها المحقق إحسان عباس في مقدمة كتاب رسائل ابن حزم. ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد) ، رسالة في الرد على ابن النغريلة **(ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي 384- 456هـ)**، تحقيق: إحسان عباس،ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1987، ج3 ، ص ص18-19.

[3] ابن سعيد ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 132 .

[4] لسان الدين بن الخطيب(محمد بن عبد الله) ، **تاريخ إسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام** ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، ط2، دار المكشوف، ، بيروت، 1956، ق2، ص ص 232-233.

المناصب الحساسة، ومقته لهذا النفوذ الخطير على مستقبل الدولة [1] ، كما حاول قتل ماكسن بن باديس بعد أن خشي انتقامه لأخيه[2] .

ونتيجة للأسباب السالفة الذكر حول نفوذ الوزيرين اليهوديين في مملكة غرناطة، وأعمالهما في حق المسلمين والدين الإسلامي، ومخططاتهما خاصة الدور الخطير الذي قام به يوسف ابن النغريلة لإقامة دولة يهودية على أنقاض دولة بني زيري بغرناطة، وبني صمادح بالمرية، أنشأ الفقيه أبو إسحاق الالبيري قصيدته التي حرَّض فيها باديس (429-465هـ/1037-1072م) صاحب غرناطة ، وأهل صنهاجة للقضاء على يوسف، واليهود، والتخلص منهم ؛ فكانت ثورة المسلمين في غرناطة ضد اليهود في سنة 459هـ/ 1066م التي انتهت بمقتل الوزير اليهودي يوسف بن النغريلة، كما تتبع المسلمون اليهود حتى قُتل منهم أزيد من أربعة آلاف شخص [3]،ونهبوا أموالهم، وهي أقل مما سلبه اليهودي يوسف بن نغريلة من مسلمي غرناطة، ومستضعفيها[4].

ب)-دور المرأة الأندلسية : ساهمت المرأة الأندلسية في العديد من المجالات الحضارية سواء السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية أو العلمية؛ وإذ يعجب الدارس من كثرة النماذج ممن خلدهن تاريخهن الحافل بالكثير من الإنجازات، لهذا سيقتصر هذا البحث على تقديم بعض الأسماء كنماذج فقط على سبيل المثال لا الحصر.

وبرزت في الميدان السياسي صبح البشكنسية زوجة الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/ 961-977م)، وهي أم الخليفة هشام المؤيد التي قربت الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر(ت392هـ/1002م)، وقد ساهمت السيدة صبح أو كانت سببا في تدرج ابن أبي عامر في المناصب؛ فاستدعته لما كان صاحب دكان في سوق قرطبة، وعينته كاتبا لها في القصر ثم تدرج إلى أن أصبح حاجبا للخلافة الأموية بالأندلس، ثم استنجدت به ليؤمن لها كرسي الخلافة لابنها

---

[1] ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 265. خير الدين الزركلي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 74 .

[2] الأمير عبد الله بن بلكين، **كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة**، تحرير علي عمر، ط1 مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 66.

[3] ابن بسام الشنتريني ، المصدر السابق ، ق 1 ،م2 ، ص 769.ابن عذارى المراكشي ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 266. لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 266. لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م 1 ، ص 440. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج5 ص 235.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 206.محمد الأمين بلغيث، **دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم** ،ط1 دار الوعي، الجزائر، 2009، ص 275 .

هشام؛ فتغلب المنصور على الدولة الرسمية، واستبد بالسلطة، وأصبح هو الآمر، والناهي كما أسس أسرة حاكمة نافذة من ذويه تحت مظلة خلافة هشام المؤيد عرفت بالدولة العامرية[1].

وفي الميدان العلمي شهد الأندلس إقبال المرأة على طلب العلم، مثلها مثل الرجل، وإن الدارس لهذا الجانب ليُعجب بوجود أسماء الكثيرات منهن، خاصة في ميدان الفقه، والأدب،والشعر في كتب التاريخ، والتراجم، والطبقات.

ومن النساء اللاتي اشتهرن في الأندلس نذكر على سبيل المثال الشاعرة حسانة التميمية بنت أبي المُخَشَّى الشاعر(عاصرت الأمير الحكم الربضي، وابنه عبد الرحمن الأوسط) التي تأدبت وتعلمت الشعر[2]، ويرجح أن أباها الشاعر هو الذي علمها الشعر، وكذلك عبدة بنت الفقيه بشر بن حبيب التي تربت في عائلة فقه، وعلم من أب، وجد، وجدة؛ فقد كانوا يصنفون ضمن طبقة فقهاء الأندلس، وأبوها بشر بن حبيب المعروف بالحبيبي، وجدها حبيب بن الوليد الملقب بدحون(ت بعد200هـ/815م)، وجدتها عابدة المدنية التي كانت تروي عن الإمام مالك بن أنس(ت 179هـ/ 795م)[3]، وقد كانت عبدة بن بشر تروي عن أبيها، لهذا فقد تلقت على يديه الفقه، والحديث، ويعد أبوها من العلماء المشهورين بقرطبة، والأندلس، وحتى في المدينة المنورة[4].

وفي عصر الخلافة الأموية بالأندلس برزت في مجال الفقه الجارية عابدة المدنية، وهي أم ولد الفقيه حبيب بن الوليد المعروف بدحون(ت بعد 200هـ/815م)، وعابدة من النساء القادمات من المشرق الداخلات إلى الأندلس، وهي جارية سوداء من رقيق المدينة المنورة وكانت تروي عن الإمام مالك بن أنس(ت 179هـ/795م)، وغيره من علماء المدينة، وقيل أنها تروي عشرة آلاف حديث[5] ، وأنجبت هذه الأسرة العلمية الفقهية ولد ، وبنت صنفا ضمن طبقة الفقهاء وهما على التوالي بشر، وعبدة ، و اشتهرت في الأندلس كذلك خديجة بنت جعفر بن نصير بن التمار

---

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج 2، ص 253 وما بعدها. المقري التلمساني المصدر السابق، ج 1، بيروت، 1998 ص 311.

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج5 ، ص 101 .

[3] ابن الأبار القضاعي(محمد بن عبد الله) ،**التكملة لكتاب الصلة**، ج1، تعليق ألفريد بل، ابن أبي شنب، المطبعة الشرقية الجزائر، 1919، ج1، ص ص182- 183.ج4، ص ص240، 243. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص ص117، 396 .

[4] ابن الأبار ، المصدر السابق ،ج4 ، ص 243 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 117 .

[5] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ،ج 1 ، ص ص 182- 183 .ج4، ص ص240 ، 243 . المقري التلمساني، المصدر السابق، ج3، ص ص 117 ، 396 .

التميمي(توفيت بعد 394هـ/1003م) بأنها حدثت عن زوجها قراءة عليه، وقيدت سماعها بخطها سنة394هـ/ 1003م، وقامت بتحبيس كتبها لابنتها[1].

وأما في ميدان الشعر فقد برزن الكثير من اللواتي نبغن فيه، ومنهن على سبيل المثال لا الحصر عائشة بنت أحمد بن محمد قادم القرطبية(ت 400هـ/1009م) والتي قيل في حقها بأنه لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدلها علمًا، وفهمًا، وأدبًا، وشعرًا، وفصاحةً وعفةً، وجزالةً وهي شاعرة كانت تمدح الملوك، وتخاطبهم ، وكاتبة حسنة الخط، تكتب المصاحف، وتهتم بجمع الكتب،ولها مكتبة تحتوى على عدد كبير من نفائس الكتب، وكانت تعلم النساء الأدب[2].

وبرزت كذلك راضية(ت423هـ/1031م) جارية الخليفة عبد الرحمن الناصر(350- 366هـ/ 961 -976م)، وكانت تدعى "نجم" أعتقها الحكم المستنصر عن أبيه، وتزوجت لبيب الفتى حيث حجَّا معًا سنة353هـ/964م، وكان يقرآن، ويكتبان في رحلتهما، ودخلا الشام، ومصر، وأخذا عن العلماء، ولما عادا إلى الأندلس كانت لراضية مجالس للإقراء ؛ فقد روى عنها بعض الأندلسيين وهي من هواة جمع الكتب، ولها مكتبة[3].

واشتهرت كذلك الجارية مزنة(ت 358هـ/968م) كاتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وهي أديبة حسنة الخط، والتي تعد من أخط النساء [4]، كما كانت لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م)حاذقة بالكتابة،وهي نحوية ، شاعرة، بصيرة بالحساب عروضيه، خطاطة، وتحسب ضمن طبقة العلماء [5]، ووصفت غالبة بنت محمد بالمعلمة الأندلسية [6]، ومريم بنت أبي يعقوب الأنصاري(ت400هـ/1009م) التي كانت تعلم النساء الأدب[7]، والشاعرة الغسانية البجانية،

---

[1] ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك)، **الصلة**، ج3، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة ، بيروت، 1989، ص 993 .

[2] نفسه ، ج3 ، ص 992 . المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 208 .

[3] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 994 .

[4] نفسه، ج 3، ص 992. الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 732 .

[5] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج 3، ص992. الضبي(أحمد بن يحيى) ، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ج2، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة، بيروت، 1989، ص 732 .

[6] ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص991. ويسميها الضبي الغالية , ينظر : الضبي ، المصدر السابق ، ج2 ص 732 .

[7] الحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966، ص 412 . ابن بشكوال، المصدر السابق ، ج3، ص995.الضبي ، المصدر السابق، ج2 ص 729 .

البجانية، وهي من أهل المائة الرابعة، كانت تمدح الملوك، ولها قصيدة طويلة في مدح خيران العامري صاحب المرية في عصر ملوك الطوائف[1].

وفي عصر ملوك الطوائف بالأندلس برزت طبقة كبيرة للكثير من الشاعرات التي ظهرن في قصور الملوك بل الأكثر من ذلك أنه اشتهر في كل قصر العديد من الشاعرات سواء الحرات منهن أو الجواري، ومن الحرات على سبيل المثال أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح(443-484هـ/1051-1091م) صاحب المرية الذي اعتنى بتأديبها بعد أن تفطن لذكائها، حتى أصبحت تنظم الشعر، والموشحات [2]، وفي اشبيلية عند قصر الملك المعتمد بن عباد(461-484هـ/1069-1091م) اشتهرت ابنته بثينة الشاعرة التي سُبيت بعد نهب قصر المعتمد في آخر أيام حكمه، وقد اشتراها أحد التجار لابنه[3].

وتعد ولادة بنت المستكفي(ت484هـ/1091) من شهيرات الشاعرات الأندلسيات اللواتي برزن في هذا العصر ، وهي أميرة أموية أديبة ، وشاعرة حسنة، كانت تخالط الشعراء وتساجل وتناظر الأدباء، وكان مجلسها بقرطبة يعد بمثابة منتدى للشعر، والنثر، وملتقى لأهل الأدب ووصفت بأنها كانت حسنة المحاضرة، ومشكورة المذاكرة [4]، ومهجة بنت التياني القرطبي التي تعلقت بولادة بنت المستكفي السالفة الذكر حيث أدبتها، حتى أصبحت شاعرة واشتهرت باسم مهجة صاحبة ولادة[5] .

وفي المائة الخامسة اشتهرت بالأندلس كذلك نزهون بنت القليعي أو القلعية [6]، وهي أديبة حافظة للشعر، ولها معرفة بالأمثال ، وكانت حسنة المحاضرة، وتذاكر، وتراسل نظرائها من

---

[1] ابن بشكوال، المصدر السابق ، ج3 ، ص ص 995-996 .الضبي، المصدر السابق، ج2، ص ص 730، 737. ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلي المغرب**، ج2، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1978، ص 202. المقري التلمساني ، المصدر السابق ،ج5 ، ص 103 .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج5 ، ص 103 .

[3] نفسه ، ج5 ، ص ص 203 -204 .

[4] ابن دحية الكلبي،المصدر السابق، ص7وما بعدها. ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ق1، م1، ص429 وما بعدها. ابن بشكوال، المصدر السابق،ج3، ص996. الضبي، المصدر السابق، ج 2 ، ص733. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 5 ص 133 وما بعدها .

[5] نفسه ، ج5 ، ص 210 .

[6] نسبة إلى القلعة، وهي إقليم بالأندلس من كورة قبرة، تشتهر بإنتاج وتصدير الرصاص. ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج4 ص389 .

الشعراء، والأدباء[1]، وصنفها المقري التلمساني ضمن الشاعرات القرطبيات مع زينب بنت زياد، وحفصة بنت الحاج، وغيرهن[2] .

وظهرت في هذا العصر امرأة مجهولة الاسم، عُرفت بالعروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون(ت450هـ/1058م)، والتي سكنت بلنسية، وأخذت عن مولاها النحو واللغة حتى فاقته في ذلك، وبرعت في العروض، وكانت تحفظ الكامل للمبرد(ت 286هـ/ 899م)، والنوادر للقالي(ت356هـ/967م) وتشرحهما، توفيت بدانية[3].

وفي قصور ملوك الطوائف اشتهرت عند بني عباد في اشبيلية العبادية جارية المعتضد بن عباد(433-461هـ/1042 - 1069م) التي أهداها إليه ملك دانية، وميورقة مجاهد العامري(412-436/1021-1044م)، وهي أديبة شاعرة ، ولغوية ، وصنفت ضمن عالمات اشبيلية[4] ، واعتماد الرميكية أم أولاد المعتمد بن عباد(461-484هـ/ 1069-1091م) فقد كانت شاعرة حسنة الحديث ، وكذلك جواريه الشاعرات "جوهرة" ، و"وداد" حيث كان المعتمد ينشد لهما الشعر، ويراسلهن به[5] .

ومما يلاحظ لدور المرأة في التعليم أن الأندلسيات لم يكتفين بالتعلم فقط، بل اقتحمن مجال التدريس ، وأثبتن كفاءتهن ، وجدارتهن في ذلك، واشتهرت العديد من مجالس العالمات الفقيهات، والأديبات، والشاعرات ، ومنهن على سبيل المثال فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي(ت319هـ/931م)وهي عالمة فقيهة، سكنت قرطبة، وبها توفيت، وكانت تدرس النساء وتذاكرهم[6]، وهذه العبارات تدل على أنه كان لها مجلس علم للإقراء، والمذاكرة.

3)-الحياة الثقافية: أبرز الحواضر الأندلسية، والمؤسسات العلمية بها، وأشهر العلماء:

1 – قرطبة: اشتهرت قرطبة كأهم حاضرة من الحواضر الأندلسية التي قصدها طلبة العلم ليس من الأندلس فقط، وإنما من خارجها كذلك، ويرجع دورها الحضاري الريادي منذ أن اتخذها الأمير عبدالرحمن الداخل عاصمة له، واتبعه في ذلك خلفه من الأمويين بعده، كما تدين قرطبة لجامعها الأعظم بالفضل في شهرتها، هذا المسجد الجامع الذي أعاد بناءه عبد الرحمن الداخل سنة 169هـ/785م بعد أن ضم إليه كنيسة قديمة، ولقد أتم هذه الزيادة خليفته هشام من بعده ثم زاد

---

[1] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج5 ، ص214 .

[2] نفسه، ج1 ، ص 149 . ج4 ، ص ص 44، 51 .

[3] المقري التلمساني، المصدر السابق ،ج 5 ، ص 103 .

[4] ابن الأبار، المصدر السابق، ج4، ص ص251- 252. المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 5، ص202.

[5] نفسه، ج 5، ص138 وما بعدها .

[6] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج3، ص991 .الضبي، المصدر السابق، ج2، ص733.

فيه من تبعهما إلى غاية أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي ، وقد وصف بأنه من أعظم مساجد الأندلس.[1]

وأصبحت قرطبة موطناً للفقهاء، والأدباء، والشعراء، والفلاسفة، والعلماء من مختلف ميادين المعرفة؛ إذ ذكر المقري التلمساني نقلاً عن الحجاري صاحب المسهب قوله : " كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الإسلام ومجتمع علماء الأنام الأعلام (...) وإليها كانت الرحلة في رواية الشعر والشعراء، إذ كانت مركز الكرماء ومعدن العلماء ، ولم تزل تملأ الصدور منها والحقائب ويباري فيها أصحاب الكتب أصحاب الكتائب..." [2] ، واشتهرت الحاضرة قرطبة ضمن أكثر مدن أوروبا سكاناً، إذ بلغ عدد سكانها لوحدها في أزهى عصورها- عهد عبد الرحمن الناصر- نحو نصف مليون نسمة [3]، وذاع صيتها في كل الأرجاء في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ونشطت الحركة العلمية فيها حتى أصبح اسمها يرتبط بالعلم، والذي أصبح من معالمها البارزة التي يتفاخر بها أبناؤها[4].

كما وفد علماء من المشرق في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) إلى قرطبة، إذ حلّ سنة 330هـ/941م اللغوي أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي(ت356هـ/967م)، ولقد عهد إليه الخليفة الناصر بتأديب ولده وولي عهده الحَكَم، وأهدى القالي كتابه الأمالي إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر [5]، وبوفود القالي إلى قرطبة ازدهرت حركة الدراسات اللغوية والأدبية أكثر، فعليه تتلمذ نخبة من طلبة العلم ومنهم أبوبكر الزبيدي(ت376هـ/989م)، وابن العريف الحسين بن الوليد (ت390هـ /1000م) وغيرهم[6].

وعرفت قرطبة في عهد الحكم المستنصر(350-366هـ/961-977م) نهضة علمية واسعة نتيجة الرخاء والثراء، واشتهر الحكم باهتمامه، وحبه للعلم، وتوقير العلماء، وشغفه للكتب

---

[1] المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، 1940، ص193. إسماعيل سامعي ، **معالم الحضارة العربية الإسلامية** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1983، ص302.

[2] المقري التلمساني، المصدر السابق ،ج 2 ،ص7.السيد عبد العزيز سالم ، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)** ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 1997 ،ج2 ، ص160.

[3] رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس،ج2 ، ص 56.

[4] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 159.عبد العزيز الثعالبي، **تاريخ شمال افريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية**، تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، بيروت 1987 ، ص99 .

[5] أنخل جنثالث بالنثيا، المرجع السابق، ص173.

[6] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 164 .

جمعاً وقراءةً، وفي بعض الأحيان تذييلها بتعليقاته وإضافاته، بل وُصف بأنه كان خليفةً وعالماً مشاركاً في علوم عصره، واشتهر بإتقانه لعلوم الشريعة حتى قيل أنه سمع منه الحديث بعض الشيوخ وأجازهم ما روى لهم ، وأجازوه ما رووا له [1]، إذ سمع من قاسم بن أصبغ (ت 340هـ/ 951م)، وأحمد بن دحيم ، وغيرهما [2] .

وشجع الخليفة الحكم العلماء في نشر مؤلفاتهم حتى يستفيد منها الناس في مجالات العلوم الرياضية والفلك والطب والصيدلة ، ونتج عن هذا ظهور مدرسة أبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي(ت427هـ/1036م)في الطب، وأبي الحسن علي بن سليمان الزهراوي(عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر للميلاد)في الهندسة[3].

ولم يقتصر على تشجيع العلماء المسلمين فقط بل كذلك غير المسلمين، وهذا لمكانة جامع قرطبة الذي يعد من الوجهة العلمية أكبر جامعة إسلامية تدرس فيها علوم الدين واللغة للمسلمين والمسيحيين على حد سواء من أجل الدراسة والتحصيل، ومن العلماء المسيحيين الذين برزوا في هذا العصر أسقف النصارى ريثموندو الألبيري المشهور باسم ربيع بن زيد الذي كان متمكناً في مجال الآداب العربية واللاتينية، واشتغل بوظيفة المترجم الرسمي أو ما يعرف بكبير المترجمين للخليفة الحكم المستنصر [4] .

أما في عصر ملوك الطوائف فقد ازدهرت الحركة العلمية بقرطبة أيام حكم الوزير الأديب أبي حزم بن جهور(ت 435هـ/1043م) فظهر علماء أجلة في مختلف المجالات والاختصاصات كالفقيه الظاهري ابن حزم (ت 456هـ/1063م)، والوزير الشاعر ابن زيدون (ت 463هـ/1071م) وغيرهم .

مما سبق ذكره يتضح أن قرطبة عرفت ازدهاراً عظيماً في مختلف العلوم والآداب والفنون جعلها بحق من أعظم الحواضر العلمية والثقافية في الغرب الإسلامي ككل، فكانت قبلة ومقصداً لطلبة العلم .

والملفت للانتباه أن الحركة العلمية بقرطبة لم تصل إلى ذروتها إلا في عصر الخلافة وبالأخص في ظل حُكم الحَكم المستنصر، ولولا العلم لما وصل المنصور محمد بن أبي عامر إلى السلطة بعد أن قصد قرطبة طالباً للعلم فقط .

---

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص383.

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق، ج1، ص 307. السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص163.

[3] صاعد الأندلسي، المصدر السابق، ص 70.المقري التلمساني، المصدر السابق، ج 4، ص20. السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق، ص165 .

[4] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص389 . السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص307.

2 – اشبيلية: التي ازدهرت بها الحركة العلمية مثلها مثل باقي الحواضر الأندلسية حتى أنه كثر فيها الشعراء والأدباء وأهل الفن والموسيقى ، فعُرفت بمدينة الأدب والطرب, واشتهر أهلها بحبهم للهو، وضرب بهم المثل في الخلاعة، وانتهاز فرصة الزمن ساعة بساعة على حد وصف المقري[1]، ويرجع شغفهم بالغناء ربما لتأثرهم بشخصية زرياب(ت 238هـ/852م) مغني الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط(206– 238هـ/ 822–854 م) [2] كما انتشرت بها المكتبات العامة انتشاراً واسعاً، وعرفت هذه الحاضرة نهضة أدبية بلغت ذروتها في عصر ملوك الطوائف أثناء حكم بني عباد[3].

ولقد اشتهر في اشبيلية العديد من العلماء الذين قصدهم طلبة العلم من باقي حواضر الأندلس وخارجها فكان منهم على سبيل المثال الأديب محمد بن حسن بن عبد الله الزبيدي(ت 379هـ/ 989م) الذي يعد وحيد عصره في علم النحو واللغة، وقد استأدبه الحكم المستنصر لابنه هشام المؤيد تعليمه علم الحساب والعربية [4]، وكذلك إسحاق بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الاشبيلي (ت420هـ/1029م) الذي كان بصيراً بالعلوم الرياضية، وهو أحد المتكلمين الأندلسيين، كما كانت له مشاركة في مختلف تخصصات المعارف والعلوم[5] .

3 – طليطلة [6]: اشتهرت كأحد أهم المراكز الثقافية في الأندلس، وانتشرت بها المكتبات العامة والخاصة، وساعد في شهرتها، وتميزها صناعة الورق ووفرته بها الذي لا مثيل من حيث الجودة [7] وكذلك مسجدها الجامع ، ومسجد الباب المردوم الذي على الرغم من صغر مساحته إلا أنه يعد أهم مسجد في الأندلس بعد جامع قرطبة من حيث الجانب الفني المعماري[8] .

---

[1] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 172 .

[2] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق، ص 200 .

[3] نفسه، ص ص 198 – 199 .

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق ، ق2 ، ص ص 89–90 .سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص199 .

[5] كرد علي، **غابر الأندلس وحاضرها**، المكتبة الأهلية، ط1، 1923، ص61 .

[6] عاصمة الثغر الأدنى، وقد قيل أن المقصود بطيطلة بمعنى أنت فارح أو فرح ساكنها لحصانتها ومنعتها، وتسمى كذلك مدينة الأملاك حيث قيل كذلك أنه ملكها اثنان وسبعون إنسانا عند المقري، ولساناً عند الحموي، ومدينة عاصمة القوط قبل الفتح الإسلامي، تشتهر بإنتاج نبات الزعفران، والصمغ. أبو عبيد البكري، المصدر السابق، ج2، ص907. ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج2، ص8. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص ص39–40.المقري التلمساني، المصدر السابق، ج ، ص140.

[7] سامية مصطفى مسعد ، المرجع السابق ، ص 200 .

[8] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص402 .

وبرز الدور الحضاري لمدينة طليطلة أكثر في عصر ملوك الطوائف تحت حُكم أسرة بني ذي النون البربرية [1]، وعاشت هذه الأسرة حياة الترف والبذخ، ومما يُحسب لملوكها أنهم شجعوا الأدباء والشعراء على إقامة مجالس الشعر والطرب، وبهذا كانت طليطلة من أكبر حواضر الأندلس الثقافية في مجال الأدب والشعر والموسيقى[2] .

ومن العلماء الذين اشتهروا بطليطلة ، وانتسبوا إليها الفقيه العلامة عيسى بن دينار بن واقد الغافقي (ت212هـ /827م)[3] الذي كانت الفتيا تدور عليه لا يتقدمه في وقته أحد حتى قيل أنه كان أفقه من يحيى بن يحيى الليثي (ت 234هـ/848م)[4]، وكذلك الفقيه والمحدث محمد بن عبد الله بن عيشون(ت341هـ/952م)[5].

وتجدر الإشارة على أن الإشعاع العلمي والفكري لم يقتصر على الحواضر الأندلسية الثلاث السالفة الذكر ، وإنما قدمناها كنماذج فقط على سبيل المثال لا الحصر، إذ لا يمكن الإغفال على أن معظم حواضر الأندلس كانت بمثابة منارات للعلم ، ومحط اهتمام طلابه، وقد تميزت كل حاضرة بخاصية وميزة معينة تنفرد بها عن غيرها أو تشترك معها خاصة في عصر ملوك الطوائف الذي تسابق فيه ملوك الطوائف لاحتضان العلماء، فقد كان بعضهم يحسبون ضمن نخبة الأدباء، والشعراء، والعلماء أمثال بنو عباد في اشبيلية في مجال الأدب والشعر، وبنو هود في سرقسطة في مجال الفلك.

4)-العمارة والفنون:

1 - المنشآت المدنية:

أ) - **المدن:** اهتم الأندلسيون بتشييد المدن منذ الفتح الإسلامي ، ومن بين المدن التي تم بناؤها نذكر على سبيل المثال مدينة مرسية (Murcia) التي بناها الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة 210هـ/ 825م بعد أن أمر بتخريب مدينة تدمير(Tudmir) التي كانت عش بعض المتمردين وتقع مرسية على الساحل الشرقي الأندلسي التي ما لبثت أن صارت قاعدة للكورة باسمها[6].

---

[1] من بربر هوارة ، واستقروا في عهد الإمارة ببلدة شنتمرية بالقرب من طليطلة . حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص418 .

[2] المقري التلمساني، المصدر السابق، ج1 ، ص340. السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ص105.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ق1، ص 331.

[4] نفسه. ياقوت الحموي، المصدر السابق ،ج4 ، ص49 .

[5] يكنى بأبي عبد الله، سمع بطليطلة، وبقرطبة، ثم رحل إلى المشرق، وسمع من المحدثين، ولما عاد الى الأندلس اشتهر بالعلم فأُخذ عنه ، توفي بطليطلة . ابن الفرضي، المصدر السابق، ق2 ، ص61.

[6] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج8، ص 24. ابن سعيد المغربي، المصر السابق، ج1، ص48.

ومدينة الزهراء التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر على أطراف قرطبة على بعد خمسة أميال إلى الشمال الغربي منها في سفح جبل العروس، وشرع في تدشينها سنة في محرم 325هـ/نوفمبر 936م، والتي استمر بناءها لأعوام، وكانت مدينة الزهراء تتألف على العديد من القصور والحدائق، والمساجد، والحمامات، والمعامل والدور العسكرية[1].

وأما مدينة الزاهرة التي بناها الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر بشرقي قرطبة، وجعلها قصره الملكي، وبنى فيها مسجدا، ومخازن للأسلحة، وانتقل إليه في سنة 370هـ/980م[2].

ومدينة غرناطة التي مدَّنَها، وحصّن أسوارها، وبنى قصبتها حبوس الصنهاجي ثم خلفه ابنه باديس الذي أكمل بناءها، وعمرها، وقد انتقل إليها سكان إلبيرة التي خلت بعد تعمير غرناطة[3].

والجدير بالذكر أن الأندلسيين لم يغفلوا بإمداد هذه المدن بمتطلبات الحياة الضرورية، ومنها بالأخص توفير المياه اللازمة لعمارة المدن والأراضي الفلاحية التي تقع في الضواحي، كما اهتموا بشق الطرق داخل المدن.

ب)- المنازل والقصور: بعد بناء المدن، وتجهيزها بمتطلبات الحياة الضرورية تفنن الأندلسيون سواء العامة أو الخاصة في تشييد المنازل والقصور التي تتمايز من حيث طابع كل مدينة والظروف المناخية، والطابع الجغرافي المميز لكل منطقة مستغليين عاملين الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي في مختلف العصور التي مرت بها الأندلس ، فانتشرت حركة التنافس في بناء المنازل البديعة، والقصور الجميلة.

ب-1)-المنازل: يعد المنزل النواة الأساسية لقيام المدن، ولقد اختلفت طرائق بنائها من مدينة إلى أخرى بحسب الإمكانيات المتوفرة والظروف المحيطة لكل مدينة، والقاسم المشترك بين هذه البنايات أنها بنيت على الطراز الإسلامي .

اجتهد الأندلسيون في بناء منازلهم، وزودوها بما يلزم من مظاهر الزخرفة والزينة حتى يستمتعوا بترف الحياة داخلها، واشتهرن النساء الأندلسيات بلزومهن لبيوتهن، ولم يكن خروجهن إلا للضرورة لهذا أعطى الرجل الأندلسي أهمية واضحة للتفنن في هندسة المنزل وجماليته حتى يقلل من رتابة الحياة داخل المنزل[4].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق،ج2، ص229 وما بعدها. عبد الرحمن علي الحجي، المرجع السابق، ص304.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، ص 153 وما بعدها. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق ، ج2، ص256 ومابعدها. ابن خلدون المصدر السابق، ص 189. ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق ، م 1، ص 195. خير الدين الزركلي، المرجع السابق،ج 6 ص226.

[3] الحميري، المصدر السابق، ص45.

[4] السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص184.

ومما يلاحظ في طريقة بناء المنازل في الأندلس أنها مشابهة لما هو موجود في منازل حواضر المشرق، وهو ما يبين التأثيرات المشرقية في بناء هذه المنازل، والسبب في ذلك يعود لدور التجار الذين وفدوا من الكوفة وبلاد المشرق واقامتهم بالحواضر الأندلسية ، ونقلوا الى أهلها تجارب وخبرات البنائين من المشرق[1].

ب-2)-القصـــور: اهتم الأندلسيون بتشييد القصور سواء منها التي تخص الخلفاء وأصحاب السلطة من وزراء وغيرهم أو طبقة الأعيان والخاصة لكن الكثير لم يستطع مقاومة ظروف الزمن سواء منها السياسية من حروب وفتن، أو اجتماعية كالهجرة ، والنزوح ، أو طبيعية ، ومناخية متعددة...الخ.

ولقد تأثر الأندلسيون بحياة الترف والبذخ؛ فتفننوا في إبداع هندسة الحدائق والبرك، وأكثروا من زخرفتها بالنقوش الجميلة ؛ فكان القصر مكان الراحة والتنعم بهوائه بعد رحلات الصيد، ومقرا لمجالس اللهو، والأنس في وسط الرياض والبساتين.

واهتم الأندلسيون ببناء القصور التي تميزت بالسعة، والضخامة، وإحتوائها على كل ما يحتاجه صاحب القصر من فرش، وأنواع البسط الفاخرة، والستور الجميلة من الديباج وغيره، وكان الحيطان تزين بالحصر الفاخرة التي يؤتى بها مدينة بسطة [2] التي اشتهرت بصنعها، ويفترش في قاعات ديارهم نوع من المفصص المعروف في المشرق بالفسيفساء [3]، ويعرف عند الأندلسيين بالزليجي وهو يشبه الرخام الملون ، وكانت له ألوان عجيبة[4].

واهتم معظم حكام الأندلس بتشييد القصور، ومنهم الأمير عبد الرحمن الأوسط الذي استغل توفر الأموال في بناء القصور والمنتزهات [5]، وبنى عبد الرحمن الناصر في مدينة الزهراء قصرا، وسعى في تنيقه وزخرفته حتى غدا تحفة رائعة من الفخامة، وأحاط به الحدائق والجنان، وأنشأ فيه مجلسا ملوكيا جليلا سمي بقصر الخلافة[6].

---

[1] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 391.

[2] مدينة بالأندلس من أعمال جيان،ينسب إليها المصليات البسطية. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 422.

[3] ألوان تؤلف من الخرز ، فتوضع في الحيطان يؤلف بعضه على بعض وتركب في حيطان البيوت، ويظهر كأنه نقش مصور. ينظر : ابن منظور الافريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م9، ص181.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين في عصر الطوائف الثاني** ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1988، ص 324.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص283.

[6] محمد سهيل طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص345.

وفي عصر ملوك الطوائف تسابق حكام الدويلات في تشييد القصور حتى يصبغوا لحكمهم مظاهر القوة والترف، فشيدوا القصور، ومنها قصر الجعفرية [1] بسرقسطة، الذي يعد أبدع القصور في تجسيد الفن الأندلس، حيث تميزت بسور مستطيل الشكل، وأبراج مستقيمة ترد الهجومات عنه وأما داخله فيحتوي على غرف مرتبة على الحصن، ووضع المهندسيون الأقواس المتشابكة، حيث يحتوي كل قوس على نموذج من الخط العربي[2].

وتعد مدينة اشبيلية من أبرز المدن الأندلسية التي شهدت تشييد الكثير من القصور في عصر الموحدين؛ فقد بلغت في فترة حكمهم ذروة التوسع العمراني، ومن عمائرها المتميزة قصور البحيرة التي تأسست سنة 567هـ/ 1171م على يد الخليفة أبو يعقوب يوسف أثناء مقامه في إشبيلية[3].

كما جدد الموحدون بعض القصور التي كانت مشيدة قبلهم ومنها قصر ابن عباد فقد أضيفت بعض الأجزاء السفلية لهذا القصر من طرف الخليفة أبي يعقوب، وفي عهد ابنه المنصور تمت إضافة قاعات جديدة تتناسب زخارفها مع الأسلوب الشائع للفن الموحدي الذي يتميز بالجمع بين البساطة التي اتسمت بها عمائرهم في المغرب، والغلو في الحشد الزخرفي، والميل إلى التعقيد، كما أقام الخليفة يعقوب بن يوسف قصبة داخلية تضم قصور بني عباد، وما أضيف إليها من قصور الموحدين داخل نطاق المدينة[4].

وزيادة على ما سبق شيد الأمراء الموحدون قصورا للسادة منها على سبيل المثال: قصر السيد الذي بناه إبراهيم إسحاق بن أبي يعقوب يوسف سنة 615هـ/ 1218م على نهر شنيل خارج غرناطة، وقصر السيد الثاني بمالقة الذي بناه أبو علاء إدريس بن يعقوب المنصور سنة 623هـ/ 1226م حينما كان واليا على الأندلس[5] .

وفي عصر حكم بني الأحمر شهدت غرناطة تشييد قصر الحمراء الذي ما زال ماثلا إلى اليوم كدليل على العبقرية الأندلسية في الإبداع العمراني سواء من حيث هندسة بناءها أو ما يحتويه من مرافق، وقد شيده الأمير المؤسس للمملكة ابن الأحمر محمد بن يوسف(635-671هـ/1237-1273م)[6].

---

[1] نسبة إلى أحمد بن المقتدر بالله المكنى بأبي جعفر(438-475هـ/1046-1082م).

[2] خميسي بولعراس، المرجع السابق، ص ص 196-197.

[3] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص 167.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 138.

[5] أحمد مختار العبادي، **صور من حياة الحرب والجهاد**، ط1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000، ص 222.

[6] لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ص37. محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص582. خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7، ص151.

2 -**المنشآت الدينية:**

ويتمثل في العمائر الإسلامية، وهي من أبرز المعالم في الحضارة الإسلامية، فقد حظيت بنصيب كبير من العناية بالبناء والترميم والصيانة من قبل حكام الأندلس ؛ فشيدوا العديد من المساجد والخانقاوات والأربطة.

- **المساجد:** احتل المسجد المكانة الأولى في اهتمام وعناية المسلمين باعتباره أول مؤسسة بنيت في الإسلام تعتني بإدارة شؤون المسلمين بعد البعثة النبوية، كما كان مركزا روحيا وعلميا للعبادة والتعلم، ونظرا لهذه المكانة، والأهمية أولى المسلمون بتشييد الكثير من المساجد التي لا تعد ولا تحصى.

ومن اشهر المساجد التي شيدها المسلمون في الأندلس المسجد الجامع بقرطبة الذي بني ملاصقا لكنيسة النصارى الكبرى المعروفة بشنت بنجنت (St Vincent) عندما تم فتح قرطبة على يد مغيث الرومي، وأسس الفاتح والتابعي حنش الصنعاني قبلته، وفي عهد الأمير عبد الرحمن الداخل تم ضم الأرض التي كانت تشغلها الكنيسة بعد أن اشتراها من النصارى، وبني المسجد الجامع حتى يتناسب مع إزدياد المصلين، وحتى يبين عظمته وروعته مع فخامة الدولة الأموية، وكان ذلك سنة 169هـ/785م، فتم بناؤه وأكتملت أسواره سنة 170هـ/786م بعد أن هدم المسجد القديم والكنيسة[1]، وقد تواصلت عمليات الزيادة والترميم في العهود اللاحقة.

وقام الأمير عبد الرحمن الأوسط بتشييد العديد من المساجد، ومنها المسجد الجامع بمدينة جيان سنة 210هـ/825م[2]، والمسجد الجامع بإشبيلية المعروف بمسجد عمر بن عدبس على اسم القاضي بناه عمر بن عدبس(ت 214هـ/829م)، ويعد هذا المسجد من أجمل البنايات الأندلسية من خلال تحفته الفنية من خلال صومعته الفريدة من نوعها[3].

وفي اشبيلية كذلك شيد الموحدون جامعهم الكبير في عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف سنة 567هـ/1171م لاستيعاب الأعداد الكبيرة من المصلين، وقام على بنائه فريق من العرفاء والبنائين من العدوتين[4]، ولم يكتمل بناء صومعة المسجد إلا في سنة 591هـ/ 1194م بعد موقعة

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ص 383-384.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 213. ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 82.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 50. سامية أبوعمران، **أوربا في المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري: تحقيق، وترجمة إلى الفرنسية مع دراسة وتحليل**،" أطروحة دكتوراه"، جامعة السربون، باريس، 1993، ص310.

[4] ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص ص 384- 385.

موقعة الارك المشهورة، واستفاد الخليفة المنصور الموحدي في بناء الجامع والمأذنة من أعمدة مدينة الزهراء والتي نقل بعضها أيضا إلى مراكش وغرناطة[1].

3 -المنشآت العسكرية:

أولى الأندلسيون أهمية بالغة بالعمران العسكري؛ من خلال بناء منشآت دفاعية سواء في المدن أو خارجها أو في الثغور، والمناطق التي تكثر فيها القلاقل، فتحقيق الأمن، والاستقرار من خلال توفير التجهيزات العمرانية الحربية من بين أهم مظاهر وسمات الحضارة للدول.

ولقد تنوعت المنشآت العسكرية بين حصون، وقلاع، وأبراج، وأسوار، والتي انتشرت في ربوع الأندلس، وهذا لدرء أي خطر محدق خاصة من النصارى في شمال شبه الجزيرة الأيبيرية، ومن تلك المنشآت نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

-**سور اشبيلية:** الذي بناه عبد الرحمن الأوسط سنة 229هـ/843-844م بعد غارات النورمان على الأندلس[2].

-**حصن اشبيلية:** بناه الموحدون في اشبيلية باعتبارها مدينتهم المفضلة في الأندلس فضلا عن موقعها القريب من مملكة البرتغال الناشئة التي كثرت اعتداءاتها على الأجزاء الغربية الأندلسية وهو ما أجب على الموحدين بضرورة تحصينها وتأمين الطرق والجسور التي تربطها بمدن غرب الأندلس، كما قام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بتشييد جسر ضخم من السفن الكبيرة المشدودة ببعضها البعض بواسطة سلاسل حديدية ضخمة على الوادي الكبير المار باشبيلية حيث ساعد هذا الجسر في مرور العساكر المتجهة للغزو في غرب الأندلس إلى جانب عبور الناس عليه لقضاء مآربهم، كما قام ببناء قصبة اشبيلية الداخلية والخارجية[3].

-**حصن الفرج بالقرب من اشبيلية:** وبعد وفاة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن خلفه نجله يعقوب المنصور الذي سار على نهجه في الاهتمام بعمارة اشبيلية؛ فبنا خارجها حصنا منيعا لإيواء المجاهدين، وأطلق عليه اسم حصن الفرج تيمنا بحصن قديم بهذا الاسم، واحتفل المنصور بإتمام بنائه عام 591هـ/ 1195م[4].

وساد استخدام الأبراج حول المدن في الأندلس ومنها على سبيل المثال أبراج قصبة قاصرش الخمسة التي ترتفع عن ممشى سور المدينة، وتتصل به عن طريق قورجات، وهي في برج بوخاكو

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج1، ص255.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص282. ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج1، ص49.

[3] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص ص 218 220.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج5، ص 214.

(Bukaco) وهو اسم محرف من اسم الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف، وفي اشبيلية اشتهر برج الذهب الواقع جنوب غرب قصر بني عباد على ضفة نهر الوادي الكبير، أسسه الخليفة الموحدي أبو العلاء إدريس بن المنصور تدعيما لسور إشبيلية؛ فهو بمثابة مركز دفاع أمامي لباب القصر[1].

وأمر المنصور الموحدي بإنشاء الأسوار عند انهزام المسلمين في معركة حصن العقاب 609هـ/1212م وتكالب النصارى على أراضي المسلمين ؛ فكان الموحدون في أمس الحاجة إلى أسوار أكثر تحصنا، لذلك اتجهت أنظارهم إلى تزويد المدن بسور أمامي حتى يمنع العدو المهاجم من شق هجومه مباشرة على الأسوار الرئيسية، ويعطل تقدمه لفتح الثغرات التي تمكنه أن ينفذ عبرها إلى داخل المدينة[2].

وكانت الأسوار تبنى على شكل متعرج ومثنى في الأندلس في العهد الموحدي، وهذا التعرج من شأنه أن يزيد من مناعة المدينة، وتتخلل هذا السور أبراج متنوعة منها مربع الشكل، والمستطيل ونصف الدائري، وغيرها[3] .

4)- الفنون (الغناء والموسيقى): تعد الموسيقى والغناء وحتى الرقص في الأندلس أكثر وسائل اللهو شيوعًا وتفشيًّا في المجتمع، فقد حملت مجالس الأنس والسمر لكبار رجال الدولة والأعيان هذا النوع من الفنون، إما سماع غناء على نغم عود أو مزمار مع ذكر بعض الأشعار، وغيرها من تلك المظاهر[4].

ويُلاحظ أن الغالب من موسيقيي الأندلس ،ومغنييها إما من الجواري، أو العامة، أو من الوافدين إلى الأندلس[5]، ولقي هذا الفن تقبلًا وإقبالًا من طرف الأندلسيين منذ فجر عصر الإمارة، كما قام الأمراء والحكام برعاية وتشجيع هذا الفن، فقد اشترى عبد الرحمن الداخل(138-172هـ/756-929م) جارية تسمى العجفاء التي كانت تغني بأحد بيوت الموالي بالمدينة المنورة [6]، أما الحكم الربضي(180-206هـ/796-822م)؛ فقد ولع بالغناء ربما أكثر من غيره من الأمراء فكانت لديه العديد من الجواري المغنيات منهن عزيز، فاتن، وبهجة أو مهجة التي أكثر منهن إجادة، وكان هو في حد ذاته من يقترح لهن الأشعار، ثم يقمن بغنائها، ولم يكتف الأمير الحكم بالجواري المغنيات

---

[1] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 63.

[2] السيد عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص 230.

[3] السيد عبد العزيز سالم، "**وسائل الدفاع الإسلامي في الأندلس**"، مجلة الجيش، العدد: 82، السنة: 1957، ص52.

[4] السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج2 ، ص 78 .

[5] خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص 74 .

[6] المقري التلمساني، المصدر السابق ، ج3 ، ص 397 وما بعدها .

في الأندلس، بل أرسل في طلب الكتب المشرقية خاصة منها الدواوين الشعرية لغرض تلحين وغناء بعض القصائد، خاصة منها القديمة أي أشعار العرب الأوائل من الجاهلية إلى فطاحل الشعراء المسلمين الأوائل كجرير (ت 110هـ/728م) وغيره، وكان الحكم يقدم العطايا والجوائز لكل من نبغ في الغناء[1].

وهاجر بعض المغنيين من أهل المشرق إلى الأندلس في عهد الحكم الربضي بن هشام (180-206هـ/ 796-822م) كحلون، وزرقون اللذان يعدان أول من دخل الأندلس من المغنيين ولقد أنفق عليهما الأمير الحكم، وأجاز لهما العطاء [2]، وأرسل الأمير الحكم في طلب الموسيقي والمغني العراقي زرياب الحسن بن علي بن نافع(ت 238هـ/ 854م) بكتاب يدعوه فيه إلى دخول الأندلس؛ فأقبل زرياب بأهله، لكن بنزوله الجزيرة الخضراء بلغه وفاة الأمير الحكم بن هشام ؛ فهم بالرجوع والعودة، إلا أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الملقب بالأوسط (206 -238هـ/822-852م) أرسل إليه بكتاب يرغبه بالقدوم إليه والنزول عنده، فاستقبله بقرطبة وأكرمه [3]، وبقدوم زرياب إلى الأندلس يبدأ عهد جديد لتعليم الموسيقى والغناء في الأندلس، حيث أحدث ثورة في هذا المجال[4].

وفي عصر ملوك الطوائف ارتبط الغناء بالخلاعة واللهو، وأصبحت اشبيلية عاصمة الأدب واللهو والطرب[5]، وشهدت قصور بني هود في مملكة سرقسطة تنظيم مجالس الأغاني والطرب والموسيقى مع تمتع هذه المملكة من جمال الطبيعة، فقد شهد قصر الذهب الذي بناه أبو جعفر أحمد المقتدر بالله(438-475هـ/1046-1082م) تنظيم مجالس للأنس والطرب والموسيقى[6].

---

[1] إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص53 وما بعدها .

[2] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 388 . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص53

[3] ابن القوطية ، المصدر السابق ، ص 62. المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 384 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص ص 74 – 75 .

[4] المقري التلمساني ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 387 . خوليان ريبيرا ، المرجع السابق ، ص77 .

[5] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص100 .

[6] السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ج2 ، ص108 .

-قائمة المصادر والمراجع:

1)-المصادر:

- ابن الأبار القضاعي(محمد بن عبد الله)،**التكملة لكتاب الصلة**، تعليق ألفريد بل، ابن أبي شنب المطبعة الشرقية الجزائر، 1919.

-ابن الأبار القضاعي(أبو عبد الله محمد بن عبد الله)، **الحلة السيراء**، وضع حواشيه وعلق عليه: علي إبراهيم محمود،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

- ابن الأثير الجزري (علي بن أبي الكرم)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت،1987 .

- ابن الأثير الجزري (علي بن أبي الكرم) ، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، دار ابن حزم، ط1 بيروت، 2012.

- ابن بطوطة(محمد بن عبد الله)، **رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظار في غرائب الأنصار وعجائب الأسفار**، أكاديمية المملكة المغربية ،ج2، الرباط ، 1417هـ.

- ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل فرج)، **روض النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق بن منصور عبد الوهاب، منشورات القصر الملكي، الرباط، 1962.

- ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل فرج)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تقديم وتحقيق وتعليق: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية ط1، 2001.

-الإدريسي(محمد بن محمد)، **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهةالمشتاق في إختراق الآفاق** , مطبعة بريل, ليدن, 1863.

- الإدريسي الشريف(محمد بن محمد)، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس(مقتبس من نزهة المشتاق)**، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- الإدريسي الشريف(محمد بن محمد)، **نزهة المشتاق في إختراق الأفاق** ، عالم الكتب، ط 1 بيروت، 1409هـ.

- ابن أبي اصيبعة(موفق الدين أحمد بن بلقاسم) ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

- الباجي المسعودي(محمد بن أبي بكر)، **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية** ، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة 2012.

- الباروني النفوسي(سليمان بن عبد الله)، **كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**.

- ابن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقاف ة بيروت، 1997.
- البشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1991.
-ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك)، **الصلة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة ، بيروت، 1989.
- البكري أبو عبيد، **المغرب في ذكر افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- البكري أبوعبيد، **المسالك والممالك**، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن، أندري فيري ، بيت الحكمة قرطاج ، 1992 .
-البيذق(أبوبكر بن علي الصنهاجي)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** ، دار المنصور، الرباط، 1971.
- ابن تغري بردي الأتابكي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف) **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، (د.ت).
- التنّسي (محمد بن عبد الله)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق وتعليق: محمود آغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011.
- الحافظ الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول دار الكتب العلمية.
- ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد) ، رسالة في الرد على ابن النغريلة **(ضمن رسائل ابن حزم الأندلسي 384– 456هـ)**، تحقيق: إحسان عباس،ط 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1987.
- ابن عبد الحكم(ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله)، **فتوح مصر وأخبارها**، مطبعة بريل، ليدن 1920.
-الحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966.
- ابن حوقل النصيبي(أبو القاسم محمد بن علي)، **صورة الأرض** ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، 1992.
- ابن جلجل الاندلسي(أبو داود سليمان بن حسان)، **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق: فؤاد سيد، ط2، مؤسسة الرسالة بيروت، 1985.

- ابن حماد (أبو عبد الله محمد بن علي)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم** ، تحقيق ودراسة: التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة.
- الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت.
- الحميدي(أبو عبد الله محمد بن أبي نصر)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ، 1966.
-الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984.
- ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، القسم الأول، مطبعة بريل، ط2، ليدن.
- ابن حيان القرطبي، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، القطعة التي حققها: عبد الرحمن الحجي دار الثقافة بيروت، 1965.
- ابن حيان القرطبي، **المقتبس**، تحقيق وتقديم: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت 1973.
- ابن الخطيب لسان الدين (محمد بن عبد الله) ، **رقم الحلل في نظم الدول** ، المطبعة العمومية تونس، 1898.
- ابن الخطيب لسان الدين(محمد بن عبد الله)، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، تصحيح ووضع الفهارس: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، 1347.
- ابن الخطيب لسان الدين(محمد بن عبد الله)، **تاريخ إسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، ط 2، دار المكشوف،بيروت 1956.
- ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973.
- ابن خلدون(أبو زكرياء يحيى بن أبي ببكر محمد)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، مطبعة بيير فونطانا الشرقية الجزائر، 1903.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، ضبط المتن ووضح الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.
-ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 1994.

-ابن خياط العصفري، **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط2، الرياض، 1985.
- الدباغ (أبوزيد عبد الرحمن بن محمد)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تعليق: أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، (د,ت).
- ابن دحية المغربي، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار العلم للجميع، 1955.
-الرقيق القيرواني(أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم)، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس، 1968.
-ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، 1972.
- الزركشي(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة.
-ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلي المغرب**، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف، ط3 القاهرة، 1978.
- السلاوي الناصري(أحمد بن خالد)، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، (د.ت).
- ابن سماك العاملي (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت 2010.
- السيوطي جلال الدين، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: إبراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، 2003.
-صاعد الأندلسي(أبو القاسم صاعد بن أحمد) ،**طبقات الأمـــم**، نشره وذيله بالحواشي لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912.
-الضبي(أحمد بن يحيى) ، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ، تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة، بيروت، 1989.
- الطبري محمد ابن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- عبد الله الأمير الصنهاجي، **كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة** تحقيق ليفي بروفنسال دار المعارف، مصر.
- ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، بيروت 1983.

- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد)، **تاريخ علماء الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966.

- ابن الفقيه الهمداني (أبو عبد الله أحمد بن محمد)، **البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1996.

-ابن القاضي المكناسي أحمد، **جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس** ، دار المنصور، الرباط، 1973.

- قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس ، **إدارة الامبراطورية البيزنطية** ، عرض وتحليل وتعليق: سعيد عمران، دار النهضة العربية بيروت، 1980.

- ابن القطان المراكشي (أبو محمد حسن بن علي)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، دراسة وتقديم وتحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت.

- ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس** ، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 2، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري بيروت، القاهرة، 1989.

- ابن القنفذ القسنطيني(أبو العباس أحمد بن حسين)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر، عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، تونس.

- ابن الكردبوس وابن الشباط: **تاريخ الأندلس ووصفه** ، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد،1971.

- المالكي، **رياض النفوس**، تحقيق: بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

-الماوردي(أبو الحسن علي بن محمد)، **كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية** ، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989.

- المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1940.

- المقري التلمساني(أحمد بن محمد)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر، ط1 ، بيروت، 1998.

- المقريزي(تقي الدين بن أحمد)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف المصرية، ط2، القاهرة، 1996.

-ابن منظور الإفريقي(جمال الدين محمد بن مكرم)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

-مؤلف مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها**، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

- مؤلف مجهول، **فتح الأندلس**، دراسة وتحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي.
-النعمان القاضي، **كتاب افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية تونس، الجزائر، ط2، 1986.
- الوزان الحسن، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي، ط 2 بيروت، 1983.

2)-المراجع:

أ)-العربية:

- أحمد علي، " **اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى** " مجلة دراسات تاريخية السنة17، العددان57-58، جامعة دمشق، 1996.
-أرسلان ألب، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ،ط1، المكتبة التجارية الكبرى فاس 1936.
- أشباخ يوسف، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين** ، ترجمة محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996.
- بلغيث محمد الأمين, **الحياة الفكرية في الأندلس في عصر المرابطين,** " أطروحة دكتوراه", قسم التاريخ , جامعة الجزائر, الموسم الجامعي2002-2003.
- بلغيث محمد الأمين، **دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، دار التنوير، الجزائر،2006.
-بلغيث محمد الأمين، **دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم** ، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2009.
-بوتشيش إبراهيم القادري، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والإجتماعي** دار الطليعة، ط1، بيروت، 2002.
- بوعزيز يحيى، **الموجز في تاريخ الجزائر**، دار الطليعة، ط1، 1965.
-بولعراس خميسي، **الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ/1009-1086م)**، "مذكرة ماجستير في التاريخ الاسلامي"، جامعة الحاج لخضر، باتنة الموسم الجامعي2006-2007.
-بونار رابح، **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
-بيضون إبراهيم، **الدولة العربية في إسبانيا**، دار النهضة العربية، ط3، بيروت، 1986.

- التليسي بشير رمضان، **الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، ط1 ، بيروت، 2003.
-الثعالبي عبد العزيز، **تاريخ شمال افريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية** تحقيق أحمد بن ميلاد، محمد إدريس، تقديم ومراجعة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط 1 بيروت، 1987.
-الجارم علي **العرب في إسبانيا**، دار المعارف، القاهرة.
- جعيط هشام، **تأسيس الغرب الإسلامي القرن الأول والثاني هـ/السابع والثامن م**، دار الطليعة، ط1، بيروت.
- الجنحاني الحبيب، **الحياة الإقتصادية والإجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار** ، " مقالة منشورة في كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية ، منشورات شباب الجامعة، الإسكندرية 1998.
-بن حاج ميلود، **الصراع الإسلامي النورماني في عهد عبد الرحمن الثاني (206-238هـ/ 822-854م)**، "رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط"، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الموسم الجامعي: 1428-1429/2007-2008.
-الحاجري محمد طه، **دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية بالمغرب العربي** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1983.
- الحجي عبد الرحمن علي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92-897هـ/711- 1492م**، دار القلم، ط5، دمشق، 1997.
- حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.
- الحريري محمد عيسى، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس(160-296هـ)**، ط3، دار القلم، الكويت 1987.
- حساني مختار، **تاريخ الدولة الزيانية** ، منشورات الحضارة، الجزائر،2009.
- حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين** ط1،مكتبة الخانجي القاهرة، 1980.
-حسن العيدروس محمد ، **العصر الأندلسي تاريخ العرب في بلاد الأندلس-دراسة في الحياة الاجتماعية**، دار الكتاب الحديث القاهرة، 2012.
- حمودة عبد الحميد حسين، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي_ منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية**، ، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة، 2006.

-الحميداوي صباح خابط عزيز سعيد، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لأعيان الأندلس في عهدي الإمارة والخلافة**، دار ومكتبة عدنان، ط1، بغداد، 2014.

- الحنفي محمود أحمد، **زرياب(أبو الحسن علي بن نافع موسيقار الأندلس)** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

-دندش عبد اللطيف عصمت، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين في عصر الطوائف الثاني**، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1988.

- دويدار حسين يوسف، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ / 755-1030م)**، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1994.

- ذنون طه عبد الواحد وآخرون، **تاريخ المغرب العربي**، دار المدار الاسلامي، ط1، بيروت 2004.

- ذنون طه عبد الواحد، **تراث وشخصيات من الأندلس** ، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت 2009.

- أبو رميلة هشام، **علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس** ، دار الفرقان،ط1، عمان، 1984.

- بورويبة رشيد، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977.

- الزركلي خير الدين، **الأعـلام**، دار العلم للملايين، ط16، بيروت، 2005.

- سالم السيد عبد العزيز، " **وسائل الدفاع الإسلامي في الأندلس**" ، مجلة الجيش، العدد: 82 السنة: 1957.

- سالم السيد عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت 1981.

- سالم السيد عبد العزيز، **في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985.

-سالم السيد عبد العزيز، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس (دراسة تاريخية ، عمرانية أثرية في العصر الإسلامي)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

- سالم السيد عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي** ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.

-سامعي إسماعيل، **معالم الحضارة العربية الإسلامية** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983.

- سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، مطبعة الأطلس، القاهرة، 1978 .

- سعدون نصر الله، **تاريخ العرب السياسي في الأندلس** ، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت 1998.

- السويسي عبد الله ، **تاريخ رباط الفتح**، مطبوعات دار المغرب، الرباط، 1979.

- السيد عبد العزيز سالم سحر ، "**الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس** " ضمن أعمال **الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى** ، تنسيق محمد حمام منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 1995.

- السيد محمود، **تاريخ العرب في بلاد الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002.

- الصلابي محمد علي، **الفتح الإسلامي في الشمال الإفريقي**، مؤسسة إقرأ،ط1، القاهرة 2007.

-الصوفي خالد، **تاريخ العرب في الأندلس**، منشورات الجامعة الليبية.

- طقوش محمد سهيل، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس، ط3، بيروت، 2010.

- طقوش محمد سهيل، **التاريخ الإسلامي الوجيز**، دار النفائس، ط5، بيروت، 2011.

- العبادي أحمد مختار، **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة العربية، بيروت.

- العبادي أحمد مختار، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة.

- العبادي أحمد مختار، **صور من حياة الحرب والجهاد** ، ط 1، منشأة المعارف، الإسكندرية 2000.

- عباس إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي-عصر الطوائف والمرابطين**، مطبعة دار الشروق عمان، ط1 ، 1997.

- العربي إسماعيل، **دولة بني زيري ملوك غرناطة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1 1982.

- العزاوي عبد الرحمن حسين، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الخليج، ط1، عمان 2011.

- علام عبد الله علي، **الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن**، دار المعارف، القاهرة، 1971.

- أبوعمران سامية ، **أوربا في المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري: تحقيق، وترجمة إلى الفرنسية مع دراسة وتحليل**،" أطروحة دكتوراه"، جامعة السربون، باريس، 1993.

- عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها إلى حتى الفتح المرابطي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1997.
- عويس عبد الحليم، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، دار الصحوة، دار الوفاء، ط2، 1991، المنصورة، مصر.
-فيلالي بلقاسم، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من الفتح إلى قيام دولة المرابطين** المطبوعات البيداغوجية لكلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014.
- فيلالي عبد العزيز، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع**، الجزائر، 1982.
- فيلالي عبد العزيز، **المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس**، دار المعارف تونس،1991.
- فيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر، الجزائر، 2002.
- بن قربة صالح، **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين** ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1991.
- قاسم طويل مريم، **مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح** ، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1994.
-بن قربة صالح، **من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الإسلامية** ، دار الهدى،الجزائر 2013.
- كحالة عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**،ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- كحيلة عبادة، **تاريخ النصارى في الأندلس**، المطبعة الإسلامية الحديثة، ط1، القاهرة، 1993.
-كرد علي، **غابر الأندلس وحاضرها**، المكتبة الأهلية، ط1، 1923.
- لقبال موسى، **تاريخ المغرب الإسلامي**، دار هومة، الجزائر، 2001.
- المزايدة عمر زعل محمد، **الحياة الإقتصادية في الأندلس في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر**، "أطروحة دكتوراه"، جامعة مؤتة، 2009.
-المشهداني علياء هاشم ذنون محمد، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد** ، " أطروحة دكتوراه"، كلية التربية، جامعة الموصل، 2003.

- مصطفى مسعد سامية **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/ 912- 1008م** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2000.
- مؤنس حسين، **فتح العرب للمغرب**، مكتبة النهضة الدينية.
- مؤنس حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987.
- مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر**، العصر الحديث للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1992.
- مؤنس حسين، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، 2004 .
- مؤنس حسين ، **فجر الأندلس**، مراجعة ووضع الفهارس:عادل أبو المعاطي، ط8، دار الرشاد القاهرة، 2008.
- مؤنس حسين، **موسوعة تاريخ الأندلس تاريخ وفكر وحضارة وتراث** ، مكتبة الثقافة الدينية ط2، القاهرة، 2009.
- نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس** ، ط 1، دار الأمير للثقافة والعلوم بيروت، 1995.
-عبد الوهاب حسن حسني ، **خلاصة تاريخ تونس**، دار الكتب العربية الشرقية، ط3، تونس.

ب)-المترجمة إلى العربية:

- بالنثيا أنخل جنثالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية.
- بروفنسال.أ. ليفي، **الحضارة العربية في إسبانيا**، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1985.
- بروفنسال.أ. ليفي، **تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية** ، ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002.
- بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1981م.
- جوليان شارل أندري، **تاريخ إفريقية الشمالية** ، ترجمة: محمد مزالي البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978.
- دوزي رينهرت، **المسلمون في الأندلس** ، ترجمة وتعليق وتقديم: حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، 1998.
- ريبرا خوليان، **التربية الإسلامية في الأندلسية أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية** ، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994.

-رينو جوزيف، **الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا** ، ترجمة إسماعيل العربي، دار الحداثة، ط1، 1984.

- علي سيد أمير، **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي** ، ترجمة: رياض رأفت، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1938.

- كرباخال مارمول، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1988.

-كولان.ج.س، **الأندلس**، دار الكتاب اللبناني، ط1 بيروت، 1980.

-موريس لومبارد، **الإسلام في مجده الأول**، ترجمة العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979 .

- هونكه زيغريد، **شمس العرب تسطع على الغرب وأثرها على الحضارة العربية في أوروبا** ، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار الآفاق الجديدة، ط6، بيروت، 1981.

ج)-باللغة الأجنبية

-VALLVÉ BERMEJO Joaquin : **Al-Andallus : Sociedad e Instituciones**, Real Academia de La Historia, Madrid, 1999.

- VIARDOT Louis , **Histoire des Arabes et des Mores d'Espagne**, Pagnerre Editeurs, Paris.

-Cunat (D.) ,**AL-Andalus** , éd , Espanola , Madrid , 1991.

فهرس المحتويات

المحتوى **الصفحة**

مقدمة..... 1
المحاضرة الأولى: مدخل لشرح بعض المصطلحات..... 3
المغرب..... 3
المغرب الأدنى..... 4
المغرب الأوسط..... 5
المغرب الأقصى..... 5
الأندلس..... 6
المحاضرة الثانية: أوضاع بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي..... 7
سير الفتوحات الإسلامية في المغرب ومراحلها..... 7
تعريب المغرب والإنجازات الحضارية للفاتحين..... 12
دور القيروان الحضاري قبل عصر الولاة..... 14
فتح الأندلس..... 14
المحاضرة الثالثة: عصر الولاة في المغرب..... 19
المقصود بعصر الولاة في المغرب وأهم خصائصه..... 19
ولاة المغرب..... 20
المحاضرة الرابعة: عصر الولاة في الأندلس..... 36
التعريف بعصر الولاة في الأندلس وأهم خصائصه..... 36
ولاة الأندلس..... 37
المحاضرة الخامسة: الدول الإقليمية في المغرب..... 45
دولة الأغالبة في المغرب الأدنى..... 45
الدولة الرستمية في المغرب الأوسط..... 49
دولة الأدارسة في المغرب الأقصى..... 52
المحاضرة السادسة: الدول الإقليمية في الأندلس..... 58
الدولة الأموية في الأندلس..... 58
عصر الإمارة..... 58

عصر الخلافة..... 75
الدولة العامرية..... 81
المحاضرة السابعة: تابع للدول الإقليمية في الأندلس 84
عصر ملوك الطوائف..... 84
المحاضرة الثامنة: تابع للدول الإقليمية في المغرب..... 92
الدولة العبيدية(الفاطمية) الشيعية في المغرب الأدنى..... 92
الدولة الزيرية الصنهاجية بالقيروان والمهدية..... 95
الدولة الحمادية في المغرب الأوسط..... 101
المحاضرة التاسعة: تابع للدول الإقليمية في المغرب والأندلس..... 105
دولة المرابطين..... 105
دولة الموحدين..... 111
المحاضرة العاشرة: تابع للدول الإقليمية في المغرب والأندلس..... 133
الدولة الحفصية في إفريقية والمغرب الأدنى..... 133
الدولة الزيانية أو دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط..... 148
الدولة المرينية في المغرب الأقصى..... 152
دولة بني الأحمر في غرناطة..... 154
المحاضرة الحادية عشر: الحياة الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الإسلامي..... 156
1)-الحياة الإقتصادية في المغرب الإسلامي..... 156
الفلاحة..... 156
الصناعة..... 157
التجارة..... 157
الضرائب..... 159
2)-الحياة الإجتماعية..... 159
أ)-عناصر السكان..... 159
الأفارقة..... 159
البربر..... 160
الروم..... 161
طوائف أخرى..... 161

العرب..... 161
ب)-دور المرأة المغربية..... 161
المحاضرة الثانية عشر: الحياة الثقافية والفكرية في المغرب الإسلامي.....163
الحواضر المغربية، ومؤسساتها العلمية، وأشهر العلماء بها..... 163
القيروان..... 163
تاهرت..... 165
فاس..... 166
المحاضرة الثالثة عشر: العمارة والفنون في المغرب الإسلامي.....167
1)-المنشآت المدنية..... 167
2)-المنشآت الدينية..... 170
3)-المنشآت العسكرية..... 171
4)-النقود والمسكوكات..... 172
المحاضرة الرابعة عشر: الحضارة الإسلامية في الأندلس.....173
1)-الحياة الاقتصادية..... .173
الفلاحة..... 173
الصناعة..... 174
التجارة..... 176
الضرائب..... 179
2)-الحياة الاجتماعية..... 179
أ)-عناصر المجتمع الأندلسي..... 179
العرب..... 179
البربر..... 180
الموالي..... 181
المسالمة..... 181
المولدون..... 182
العجم أو المستعربون..... 183
الصقالبة..... 184
اليهود..... 186

ب)-دور المرأة الأندلسية..... 188
3)-الحياة الثقافية: أبرز الحواضر الأندلسية، والمؤسسات العلمية بها، وأشهر العلماء.....192
قرطبة..... 192
اشبيلية..... 195
طليطلة..... 195
4)-العمارة والفنون..... 196
المنشآت المدنية..... 196
المنشآت الدينية..... 200
المنشآت العسكرية..... 201
الفنون(الغناء والموسيقى)..... 202
قائمة المصادر والمراجع..... 204
فهرس المحتويات..... 216